

الرسائل الجامعية

دور ولاة مصر في تحرير المغرب العربي
(٢٢ – ٦٢ هـ / ٦٤٢ – ٦٨٢ م)

رسالة تقدم بها

احمد ناطق صالح مطلوب

إلى

مجلس كلية التربية في جامعة الموصل

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير

في التاريخ الإسلامي

بإشراف

الدكتور حازم غانم حسين الصميدعي

١٤٢٥ هـ **٢٠٠٤ م**

إقرار المشرف

اشهد بان إعداد هذه الرسالة جرى تحت إشرافي في جامعة الموصل ، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اختصاص التاريخ الإسلامي.

التوقيع:

المشرف: د. حازم غانم حسين الصميدعي

التاريخ: / /٢٠٠٤م

اقرار المقوم اللغوي

اشهد بأن الرسالة الموسومة: **﴿ دور ولاة مصر في تحرير المغرب العربي ٢٢-٦٢هـ/ ٦٤٢-٦٨٢م﴾** تمت مراجعتها من الناحية اللغوية وتصحيح ماورد فيها من اخطاء لغوية وتعبيرية وبذلك اصبحت الرساله مؤهله للمناقشة بقدر تعلق الامر بسلامة الاسلوب وصحة التعبير.

التوقيع:

المشرف: د. هناء محمود شهاب

التاريخ: / /٢٠٠٤م

اقرار رئيس القسم

بناء على التوصيات المقدمة من قبل المشرف والمقوم اللغوي ارشح هذه الرسالة للمناقشة.

التوقيع:

المشرف: د. هاشم يونس عبد الرحمن

رئيس لجنة الدراسات العليا

التاريخ: / /٢٠٠٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم والصلاة والسلام على الرسول الكريم وخاتم النبيين محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد: فيعد تاريخ المغرب العربي جزءاً لا يتجزأ من تاريخ الأمة العربية الإسلامية، وعلى الرغم من ذلك فأن الاهتمام بدراسة هذا التاريخ والكشف عن معطياته لم تنشط في العراق إلاّ في الربع الأخير من القرن الماضي، وظل الباحثون أو معظمهم عاكفين على دراسة تاريخ المشرق العربي الإسلامي من دون أن يعطوا لتاريخ المغرب حقه من الدراسة، ومن هنا كانت الدوافع في اختيار هذه الرسالة لتكون مساهمة متواضعة في سد ثغرة من ثغرات حروب التحرير العربية في المغرب والتي لا زالت بحاجة إلى دراسة علمية مفصلة تستكمل الجهود التي بدأت بالرسالة الموسومة: " المغرب في عهد عقبة بن نافع الفهري، دراسة سياسية " لنهلة شهاب أحمد[١]، والرسالة الموسومة " أحوال المغرب العربي بين استشهاد عقبة بن نافع الفهري وولاية موسى بن نصير "للمياء عز الدين مصطفى الصباغ[٢]. وظلت بدايات حروب التحرير وأحداث هذه الفترة بحاجة إلى توضيح وتحليل لكونها تمثل مرحلة من مراحل حروب التحرير العربية وتعد مرتكزاً أساسياً قامت عليه بعد ذلك جهود كل الولاة والقادة الذين تعاقبوا على تحرير المغرب.

وقد نالت حروب التحرير اعتناء الكثير من الباحثين والمؤرخين المحدثين، وللدكتور حسين مؤنس فضل السبق في دراسة هذه الفترة من تاريخ المغرب فأستوعب في كتابة " فتح العرب للمغرب "[٣] أحداث المرحلة منذ ولاية عمرو بن العاص على مصر وحتى نهاية ولاية حسان بن النعمان الغساني، وضمن السيد عبد العزيز سالم كتابة " تاريخ المغرب الكبير "[٤]حيزاً كبيراً لحروب التحرير في المغرب، ومثله فعل سعد زغلول عبد الحميد في كتابه: " تاريخ المغرب العربي "[٥].

---

[١] رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، ١٩٨٧.

[٢] رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، ١٩٨٧.

[٣] القاهرة، مكتبة الآداب، ١٩٤٧.

[٤] القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٦.

[٥] الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٧٩.

ومن المؤلفات الأخرى التي نهجت هذا المنهج كتاب: " تاريخ المغرب الكبير "[١] لمؤلفه محمد علي دبوز " وتاريخ المغرب العربي "[٢] لمحمد بن عبد السلام بن عبود و " تاريخ المغرب العربي "[٣] للسامرائي وآخرون. وخص الطاهر أحمد ألزاوي فتح ليبيا بمؤلف سماه " تاريخ الفتح العربي في ليبيا "[٤] وكل هذه المؤلفات وغيرها لم تمنع من الكتابة والتعرض للفترة موضوع الرسالة والتفصيل في أحداثها وتوضيح غوامضها مما أهملته معظم الدراسات التي ذكرناها وركزت على ماهو كبير من الأحداث الدائرة على الساحة المغربية ومرت مروراً سريعاً على بدايات حروب التحرير وأهملت الكثير من الجوانب التي تحتاج إلى تحليل وتعليق وتوضيح.

وإذا كان ثمة صعوبات واجهت الباحث فأن تلك الصعوبات تعود إلى تعدد التواريخ واضطراب توقيتها للأحداث المهمة ضمن نطاق فترة البحث. فضلاً عن انعدام المعلومات التي تفسر بعض الأحداث المهمة من عزل وتولية، مثل عزل عقبة بن نافع الفهري عن ولاية المغرب بعد استكماله لبناء مدينة القيروان سنة (٥٥هـ/٦٧٥م) والأسباب التي كانت وراء إساءة خليفته أبو المهاجر دينار أليه وسجنه، وتكبيله بالحديد.

وإهمال المؤرخين لأعمال ومنجزات أبي المهاجر دينار كانت عقبة أخرى في أعطاء هذا الرجل حقه في حروب التحرير،فقد مرّ المؤرخون على أعماله مروراً سريعاً مختصراً وظلت معظم أحداث الفترة في طي النسيان، والذي يثير العجب والاستغراب معاً أن ابن يونس ألصدفي المصري (ت٣٤٧هـ/٩٥٨م) والذي ترجم في كتابه[٥] لجميع الرجال المصريين من القادة والولاة والقضاة والعلماء وغيرهم ممن كان له شأن فضلاً عن الغرباء الذين دخلوا مصر، أو ساهموا في تحريرها لم يشر إلى أبي المهاجر دينار، ولو بإشارة واحدة تكشف عن حاله قبل الولاية أو بعدها ناهيك عن ترجمته. وقد حاولنا قدر الأمكان معالجة هذا النقص عن طريق تحليل النصوص التاريخية القليلة والاجتهاد في بعض الأحيان للتعويض عن قصور المصادر في هذا الجانب.

---

(١) القاهرة، مطبعة عيسى الحلبي، ١٩٦٤.

(٢) تطوان، دار الطباعة المغربية، ١٩٥٧.

(٣) الموصل، دار الكتب، جامعة الموصل، ١٩٨٨.

(٤) القاهرة، ١٩٦٣.

(٥) جمع تاريخ أبن يونس ألصدفي وحققه الدكتور عبد الفتاح فتحي وصدر في جزئين عن دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠ م.

وقد تضمنت الرسالة من مقدمة وخمسة فصول وخاتمة:

الفصل الأول؛ أحوال المغرب العربي قبيل حروب التحرير ، بدأ بالكلام عن مدلول تسمية المغرب وتسمية أفريقية وحدود كل منهما، والسكان الذين استوطنوا هذه البلاد من أقدم العصور، والأصول التي انحدروا منها والأقليات الأخرى التي سكنت البلاد في عصور تاريخية مختلفة، ثم عرض الباحث للغة أهل البلاد والمعتقدات الدينية التي كانوا عليها، ومن ثم البحث بشيء من التفصيل في الأحوال السياسية للمغرب قبيل حروب التحرير.

والفصل الثاني؛ بدايات حروب التحرير في زمن عمرو بن العاص ، وتضمن هذا الفصل تحرير مدينة برقة، ومدينة طرابلس، وصبرة، ومن ثم تحرير المناطق الجنوبية مابين زويلة وفزان. والأسباب التي كانت وراء إعفاء عمرو بن العاص من ولاية مصر زمن الخليفة عثمان بن عفان (رض) في سنة ٢٥هـ/٦٤٥م.

أمّا الفصل الثالث؛ ولاية عبد الله بن سعد بن أبي سرح على مصر ودوره في تحرير المغرب فقد تحدث عن واقعة سبيطلة سنة (٢٨هـ/٦٤٨م) أسبابها ونتائجها، ومشكلة تقسيم الغنائم التي أثيرت ضد أبن أبي سرح وما قيل في ذلك من أقوال، واستكمالا لنشاط أبن أبي سرح العسكري فقد عرضنا بشيء من الاختصار لواقعة دنقلة سنة ٣١هـ/٦٥١م في أرض النوبة والصلح الذي تم بين أهل النوبة وابن أبي سرح والذي عُرف بصلح البقط.

وكانت واقعة ذات الصواري البحرية سنة ٣٤هـ/٦٥٤م آخر الحملات العسكرية الموفقة التي قادها عبد الله بن أبي سرح ضد القوات البيزنطية.

وأمّا الفصل الرابع ؛ ولاية مصر بعد عبد الله بن أبي سرح ، فقد عرض لأهم الأحداث التي دارت في ولاية مصر بعد مغادرة أبن أبي سرح إلى المشرق، والفتنة التي أودت بعد ذلك بحياة الخليفة عثمان بن عفان (رض). ومن ثم عرض لأهم الأحداث التي دارت في الولاية والولاة الذين تعاقبوا عليها وصولاً إلى ولاية عمرو بن العاص الثانية على مصر بعد أن تمكن من إقرار الأمور فيها لصالحه.

ومن ثّم فقد عقدنا فقرة لحملة معاوية بن حديج المشهورة سنة ٤٥هـ/٦٦٥م وفقرة أخرى لتقويم أعماله ومنجزاته على الساحة المغربية.

أمّا الفصل الخامس؛ فقد ركز على فقرتين أساسيتين: الأولى؛ بناء مدينة القيروان سنة ٥٠-٥٥هـ/٦٧٠-٦٧٥م على يد عقبة بن نافع الفهري وأهمية قيام هذه المدينة وفي هذا الوقت بالذات ، والفقرة الثانية؛ تضمنت البحث في ولاية أبي المهاجر دينار على المغرب سنة ٥٥-٦٢هـ/٦٧٥-٦٨٢م وحملاته العسكرية وعلاقته مع عقبة بن نافع الفهري وما نسب إلى أبي المهاجر دينار من الإساءة إلى عقبة بن نافع الفهري وتخريبه مدينة القيروان.

وقد اعتمدت الرسالة على مجموعة طيبة من المصادر والمراجع المغربية منها والمشرقية، وسنحاول قدر الأمكان بيان مقدار الاستفادة من هذه المصادر والمراجع.

أ. **المصادر التاريخية:**

١. **فتوح مصر والمغرب لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (ت٢٥٧هـ/٨٧١م)** [١] .

يعد كتاب فتوح مصر والمغرب من أقدم الكتب المؤلفة في تاريخ المغرب وهو من المؤلفات القليلة التي وصلت إلينا ومؤلفه فقيه من فقهاء مصر وأحد مؤرخيها جاءت أخباره كلها مسندة عن شيوخه عن مصدر الخبر، وقد أعتمد البحث اعتمادا كبيراً على ما ذكره أبن عبد الحكم عن حروب التحرير ابتداء بجهود عمرو بن العاص وانتهاء بأبي المهاجر دينار، فقد أستوعب ابن عبد الحكم أخبار هذه الفترة التاريخية وذكر نصوصاً قلّما نجدها في مصدر آخر ومن ذلك على سبيل المثال تقديره لمقدار الجزية التي فرضت على قبائل لواتة من أهل برقة، والشرط الذي تضمنه الصلح بينهم وبين عمرو بن العاص من بيع الأبناء في جزيتهم[٢] والكيفية التي تم فيها تحرير مدينة طرابلس ومدينة صبرة بعدها[٣]، وتسمية بعض القبائل التي شاركت في واقعة سبيطلة وعدد رجالها وتسمية مشاهيرهم[٤] ومصير ابنة جرجير بعد مقتل والدها في واقعة سبيطلة[٥]، ومن النصوص التي تفرد بها ابن عبد الحكم أيضاً ما رواه عن إرسال عبد الله بن سعد بن أبي سرح لمروان بن الحكم الذي أرسله من أفريقية إلى المدينة المنورة[٦] وهو وإن لم يذكر الأسباب التي كانت وراء ذلك فقد أخذنا برأي من استعان بهذا النص وذهب من أن إرساله كان لطلب المدد من دار الخلافة كما هو مفصل في موضعه من الرسالة، ومارواه أيضاً عن نفل معاوية بن حديج جنده النصف بعد الخمس في الحملة التي قادها سنة ٤٥هـ/٦٦٥م وإشارته أيضاً إلى الخلاف الذي وقع بين معاوية بن حديج وعبد الملك بن مروان حول تقسيم غنيمة مدينة جلولاء بعد تحريرها[٧].

---

(١) تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة، لجنة البيان العربي، ١٩٦١.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٠٦.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٣٠ و ٢٣١.

(٤) المصدر نفسه، ص٢٤٧.

(٥) المصدر نفسه، ص٢٤٨.

(٦) المصدر نفسه، ص٢٥٠ و ٢٥١.

(٧) المصدر نفسه، ص٢٦٠ و ٢٦١.

وعلى الرغم من أهمية المعلومات الواردة في كتاب أبن عبد الحكم عن تاريخ المغرب غير أنه لا يخلو من اضطراب في توقيت بعض الحملات وبعض التواريخ المشهورة مثل توقيته لعزل عقبة بن نافع الفهري وولاية أبي المهاجر دينار في سنة ٥١هـ/٦٧١م(١) وإغفاله لحملة أبي المهاجر دينار وأعماله خلال ولايته ولم يذكر إلاّ ماروي عن إساءة أبي المهاجر دينار لعقبة بن نافع الفهري بعد عزله عن الولاية(٢).

٢. تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م) (٣) .

قدم لنا اليعقوبي نبذة مفيدة عن أصول قبائل المغرب العربي والمواطن التي نزلتها هذه القبائل(٤) ثم عرض لواقعة سبيطلة وحدد تاريخها بسنة ٢٧هـ/٦٤٧م وكأنه أراد بذلك البدء بحشد القوات وليس الواقعة نفسها والنتائج التي تحققت من وراء هذه المعركة، وذكر اليعقوبي رواية مفادها أن الخليفة عثمان بن عفان (رض) أمر بخمس الغنائم لمروان بن الحكم(٥) وعنه تسربت هذه الرواية إلى من أعقبه من المؤرخين وهي من الأكاذيب التي نفاها معظم المؤرخين.

٣. تاريخ الرسل والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ/٩٢٢م) (٦).

اعتنى الطبري بذكر الأحداث المهمة من حروب التحرير دون غيرها فقدم الكثير من الروايات عن أصول قبائل المغرب العربي ونسبتهم مع إقراره بعروبة صنهاجة وكتامة من بينها(٧) وعرض بعد ذلك لأحداث حروب التحرير وباختصار وروى عن الواقدي رواية تنص عن أن الخليفة عثمان بن عفان (رض) وعد عبد الله بن سعد بن أبي سرح بخمس الغنائم إن حقق الانتصار على قوات جرجير في واقعة سبيطلة وقد منحه ذلك بعد المعركة، مما أثار سخط بعض المقاتلين فرد الخليفة ما أمر به من الأموال لأبن أبي سرح(٨) كما قدم معلومات مفيدة عن واقعة ذات الصواري وأسلوب القتال الذي أعتمده عبد الله بن أبي سرح(٩).

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٦٥.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٦٥ و ٢٦٦.

(٣) بيروت، دار صادر، (د.ت).

(٤) اليعقوبي: المصدر السابق: ١٩٠/١ و١٩١.

(٥) المصدر نفسه: ١٦٥/٢.

(٦) بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

(٧) المصدر نفسه: ١٨٥/١ و ٢٦١.

(٨) المصدر نفسه: ٥٩٧/٢ و ٥٩٨.

(٩) المصدر نفسه: ٦١٩/٢.

٤. **كتاب الولاة وكتاب القضاة، لمحمد بن يوسف الكندي (ت٣٥٠هـ/٩٦٠م) [١] .**

أفاد البحث من هذا الكتاب في توثيق تراجم ولاة مصر وأفاد من بعض النصوص التاريخية التي تضمنتها تلك التراجم وعليه أعتمد البحث في توضيح أوضاع ولاية مصر بعد مغادرة عبد الله بن سعد بن أبي سرح والولاة الذين تعاقبوا عليها بعد استشهاد الخليفة عثمان بن عفان (رض) والصراع الذي دار بين المتنافسين على ولايتها[٢].

٥. **الكامل في التاريخ لأبي الحسن عز الدين علي بن الأثير (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) [٣].**

أستوعب أبن الأثير في كتابه الكامل الكثير من المصادر التاريخية المغربية التي لم تصل إلينا أو وصل بعضها ناقصاً مثل كتاب الرقيق القيرواني كما يتضح أن من بين معلومات أبن الأثير أخباراً مستمدة من كتب أجنبية قديمة في تاريخ المغرب والأندلس قبل الإسلام[٤]، ويمتاز أبن الأثير بروايته الدقيقة والمهذبة عن حروب التحرير وقد أثرانا كتابه عن أصول قبائل المغرب والهجرات التي توالت عليه[٥] ولأبن الأثير الفضل في تقديم معلومات مهمة عن واقعة سبيطلة وأسلوب القتال ودور عبد الله بن الزبير في واقعة سبيطلة وإن كان أبن الأثير من خلال كلامه يبدو متحيزاً إلى جانب عبد الله بن الزبير مقللاً من قدرة عبد الله بن أبي سرح القيادية[٦]، وتضمن كتابه أيضاً معلومات قيمة عن أهمية بناء مدينة القيروان واتخاذها قاعدة للمسلمين[٧]، وهو أيضاً كسابقيه من المؤرخين لم يأتِ بشيء يستفاد منه عن ولاية أبي المهاجر دينار.

٦. **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، لأحمد بن محمد المعروف بابن عذارى المراكشي (كان حياً سنة ٧١٢هـ/١٣١٣م) [٨].**

يُعد كتاب البيان المغرب والجزء الأول منه من أوسع الكتب التي تعرضت لحروب التحرير في المغرب العربي فقد ذكر أبن عذارى حدود المغرب وأفريقية وذكر نبذاً من فضائل المغرب وما ورد فيه من الأخبار والآثار ثم عرض بعد ذلك لحروب التحرير وهو غالباً ما يعتمد على الأقسام المفقودة من كتاب الرقيق القيرواني وغيره من مؤرخي المغرب

---

(١) تحقيق حسين نصار، بيروت، دار صادر، ١٩٥٩.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٨-٥٤.

(٣) تحقيق عبد الله القاضي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥.

(٤) عبد الحميد: المرجع السابق: ١/٣٤.

(٥) أبن الأثير: المصدر السابق: ١/١٥٥.

(٦) المصدر السابق: ٣/٩٠.

(٧) المصدر السابق: ٣/٤٦٦ و ٤٦٧.

(٨) تحقيق ج.س.كولان وليفي برفنسال، بيروت، دار الثقافة، ١٩٨٠.

والأندلس[١]. أفاد البحث كثيراً من المعلومات الواردة في هذا الكتاب وأستوفى معظم ما ذكره عن حروب التحرير خاصة فيما يتعلق بدور عبد الله بن الزبير في واقعة سبيطلة وفي توثيق أعمال معاوية بن حديج والحملة البحرية التي وجهت إلى صقلية بأمره[٢] وأهمية قيام مدينة القيروان في ولاية عقبة بن نافع الفهري الأولى[٣].

٧. **التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان بن عفان (رض)، لمحمد بن يحيى المالقي (ت ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م)** [٤].

عرض المالقي في هذا الكتاب الأسباب التي أدت إلى الفتنة ومن ثم مقتل الخليفة عثمان بن عفان (رض) سنة ٣٥هـ/٦٥٥م.

ونقل بعض ما أتهم به الخليفة وروج عنه خاصة في الست الأواخر من خلافته كاستعمال أقاربه وأهل بيته في الولايات ومنح مروان بن الحكم خمس غنائم أفريقية إلى غير ذلك من التهم الباطلة[٥] ثم ردّ عليها وقد أفاد البحث من عدة نصوص وضعت في مكانها من الرسالة.

٨. **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، لعبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م)** [٦].

ويعد تاريخ ابن خلدون هذا من أهم مصادر تاريخ المغرب العربي وأهمية الكتاب لا تعود إلى الفترة التي عاصرها أبن خلدون فقط بل أيضاً بالنسبة لأقدم عصور التاريخ المغربي. ذلك لأن أبن خلدون كان يمتلك حساً تاريخياً جعله يفهم التاريخ بمعناه الحقيقي الشامل والذي يتلخص بأن الحدث التاريخي اكبر من أن يكون حدثاً سياسياً فقط، بل إن ذلك الحدث ماهو في حقيقته إلاّ نتيجة لتفاعل عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية وجغرافية ومن ثم فأن فائدة تاريخ أبن خلدون تتحدد أيضاً بكثرة المصادر التي أعتمد عليها والكثير من هذه المصادر لم يصل إلينا[٧].

أفاد البحث إفادة كبيرة من الأجزاء التي بحثت في قبائل المغرب العربي وعليها أعتمد في تكوين الفقرة المفقودة لسكان بلاد المغرب. فقد وصف أبن خلدون أحوال السكان

---

(١) ينظر على سبيل المثال: ١/٥ و ١٧.

(٢) المصدر نفسه: ١٦/١ و١٨.

(٣) المصدر نفسه: ١٩/١و٢٠.

(٤) تحقيق محمود يوسف زايد، قطر، دار الثقافة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(٥) ينظر: على سبيل المثال، ص٢٨.

(٦) بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٣.

(٧) عبد الحميد: المرجع السابق: ٣١/١ و٣٢.

ومعيشتهم وطبيعتهم بفقرات موجزة موفية للغرض ثم تعرض للغتهم وسبب تسميتهم بالبربر ومن ثم دخل في الكلام عن القسمين الكبيرين البتر والبرانس والتي تتفرع منهما جميع قبائل المغرب وأنسابهم والأصول التي انحدروا منها وفصل في ذلك وأبدى آراءه في تلك الأصول[١].

وعلى الرغم من اختصار أبن خلدون في أحداث حروب التحرير فقد أفاد البحث منه في مواضع كثيرة في هذه الرسالة[٢].

ب كتب التراجم والطبقات:

١. طبقات علماء أفريقية وتونس، لأبي العرب محمد بن أحمد بن تميم القيرواني (ت٣٣٣هـ/٩٤٤م) [٣].

وهو من أقدم المؤلفات القليلة التي وصلتنا، والكتاب وإن كان يختص بتراجم شيوخ إقليم القيروان وتونس فقد تضمن فضلاً عن ذلك بعض الأخبار التاريخية المهمة التي له فضل السبق في ذكرها. فقد روى أبو العرب بشيء من التفصيل عن شيوخه بأسانيدهم معظم الأحاديث النبوية التي ذكرت في فضل المغرب وأفريقية وما ورد من أخبار في مدحها وشرف المرابطة في ثغورها[٤] وعلى الرغم من ضعف هذه الأحاديث والأخبار وكونها أحاديث فضائل حيث لا نجد لها سنداً في كتب الحديث المعتمدة فقد جوز أبو العرب وغيره روايتها رداً على من أختلق الأحاديث والأخبار في ذم المغرب وأهله وعن أبي العرب هذا نقلت هذه الأحاديث والأخبار وأستوعبها المؤلفون في مؤلفاتهم. وقد أفاد البحث من نص الحوار الذي دار بين الخليفة عثمان بن عفان (رض) وبعض الصحابة عندما استشارهم في تجهيز القوات وإرسالها إلىسبيطلة ويُعد هذا الحوار من النصوص المهمة التي لم تذكر في أي مصدر آخر بالتفصيل الذي ذكره أبو العرب[٥]. كما أفاد البحث من تسمية القبائل التي شاركت في واقعة سبيطلة وبذلك أكمل أبو العرب النص الذي ذكره أبن عبد الحكم عن القبائل المشاركة في تلك الواقعة[٦].

---

(١) ابن خلدون: المصدر السابق: ٦/١٨١-١٩٢.

(٢) ينظر على سبيل المثال: ٤/١٠٠٢ و ١٠٠٥ و ١٠٠٦.

(٣) تحقيق علي ألشابي ونعيم حسن أليافي، تونس، الدار التونسية، ١٩٦٨.

(٤) المصدر نفسه، الصفحات ٤٣-٥٣ و ٦٣ و ٦٤.

(٥) المصدر نفسه، ص٦٥-٦٨.

(٦) المصدر نفسه، ص٧٣-٨٠..

٢. **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية، لأبي بكر عبد الله بن محمد المالكي (كان حياً سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٧م)** [١].

والمالكي شأنه شأن أبي العرب القيرواني صدر كتابه بمقدمة ذكر فيها كل ما قيل في فضائل أفريقية والمغرب من أحاديث وأخبار[٢]وقد أفاد البحث كثيراً من المقدمة التي عقدها المالكي لحروب التحرير العربية في المغرب ومن الإشارات المفيدة التي اعتنى بها المالكي؛ إشارته إلى الطلائع التي كانت تتقدم قوات ابن أبي سرح الزاحفة باتجاه سبيطلة وتسمية بعض الرجال الذين كانوا يتولون أمر تلك الطلائع. كما فصل المالكي في الحوار الذي دار بين رسل عبد الله بن أبي سرح وجرجير ودعوته إلى الإسلام أو دفع الجزية أو القتال[٣]، وللمالكي أيضاً تفصيلات عن الهيئة التي ظهر فيها جرجير واستعراضه لعسكره قبل واقعة سبيطلة[٤]. كما تفرد المالكي برواية تشير إلى مبارزة بين مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير من ناحية وجرجير من ناحية أخرى[٥] وهي رواية غريبة في بابها، كما أنفرد من دون الآخرين بتسمية من قام بتقسيم الغنائم على المسلمين بعد انتهاء واقعة سبيطلة[٦] كما أفاد البحث من المعلومات المفيدة التي قدمها المالكي عن ولاية أبي المهاجر دينار وحملته العسكرية ومصالحته لقبائل أوربا[٧].

٣. **تاريخ دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسين بن عساكر (ت٥٧٣هـ/١١٧٦م)** [٨].

والكتاب موسوعة كبيرة في تاريخ دمشق وعلمائها ورجالها ومشاهير الداخلين إليها من بقية علماء ورجال العالم الإسلامي ممن كان لهم شأن وقد أفاد منه البحث في تراجم القادة والولاة الذين تعاقبوا على ولاية مصر مثل عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي سرح، ومعاوية بن حديج، وعقبة بن نافع، وغيرهم من القادة وقد تعرض ابن عساكر بشيء من التفصيل إلى الأسباب التي دفعت الخليفة عثمان بن عفان (رض)

---

(١) تحقيق بشير البكوش، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٣م.
(٢) المصدر نفسه: ١/٥-٧.
(٣) المصدر نفسه: ١/١٧.
(٤) المصدر نفسه: ١/١٨-٢٢.
(٥) المصدر نفسه: ١/١٩.
(٦) المصدر نفسه: ١/٦١.
(٧) المصدر نفسه: ١/٣٣.
(٨) تحقيق: سهيل زكار، ط١.

إلى عزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر والخلاف الذي كان بين أبن العاص وعبد الله بن سعد بن أبي سرح[1].

كما تعرض للأسباب التي جعلت ابن العاص يلتزم جانب معاوية بن أبي سفيان خلال الصراع على الخلافة بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان (رض) [2] إلى غير ذلك من النصوص التي أفاد منها البحث في مواضع مختلفة من فقراته.

كما أفاد البحث من كتب تراجم الصحابة إفادة كبيرة ويأتي في مقدمة هذه الكتب:

٤. الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م) [3].

٥. أسد الغابة في معرفة الصحابة لأبن الأثير[4].

٦. الإصابة في تمييز الصحابة لأحمد بن علي بن حسن العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م) [5].

ج. الكتب البلدانية والجغرافية:

١. المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م) [6].

وهو جزء من كتابه الكبير المعروف بالمسالك والممالك وقد تضمن كتاب المغرب فضلاً عن وصف المدن والأماكن الجغرافية في بلاد المغرب معلومات مفيدة عن حروب التحرير ونصوصاً لم تتوفر في المصادر الأخرى، فالبكري يعتمد في كتابه على كثير من المؤلفات المغربية التي لازالت في عداد المفقودات، ومن ذلك كتاب فتوح أفريقية لعيسى بن محمد بن سليمان بن أبي المهاجر دينار، وكتاب تاريخ أفريقية وحروبها لعبد الله بن أبي حسان اليحصبي (ت٢٢٧هـ/٨٤١م) وكتاب مغازي أفريقية لأبن الجزار أحمد بن إبراهيم الطبيب القيرواني (ت٣٦٩هـ/٩٨٠م) وغيرها من المؤلفات الأخرى[7].

---

(١) المصدر نفسه: ٣٧/٢٩.

(٢) المصدر نفسه: ١٦٧/٤٦-١٧٠.

(٣) القاهرة، دار العلوم الحديثة، ١٣٢٨هـ/١٩١٠م.

(٤) تحقيق: إبراهيم ألبنا، ومحمد أحمد عاشور، القاهرة، (د.ت).

(٥) القاهرة، دار العلوم الحديثة، ١٣٢٨هـ/١٩١٠م.

(٦) نشرة دي سلان، الجزائر، ١٨٥٧.

(٧) عبد الواحد ذنون طه، دراسة في موارد أبي عبيدة البكري عن تاريخ أفريقية والمغرب، بحث منشور في مجلة دراسات أندلسية، تونس، العدد (٣)، ١٩٨٩.ص٣٤-٣٩. وينظر: وميض محمد شاكر، أبو عبيد البكري ومنهجه التاريخي في كتاب المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية التربية، ٢٠٠٣م، ص٦٠-٦٢.

وقد أفاد البحث من كتاب البكري في التعريف بالكثير من المدن والأماكن الواردة في الرسالة، كما أفاد من النصوص الواردة عن المعتقدات الدينية التي كانت عليها بعض قبائل المغرب قبل الإسلام[١]. والتفاصيل المهمة عن حملة معاوية بن حديج[٢] وحملة عقبة بن نافع الفهري في الصحراوات الجنوبية[٣] وأهمية موقع مدينة القيروان[٤].

٢. **كتاب الأستبصار في عجائب الأمصار، لمؤلف مجهول[٥]:**

وهو أيضاً من الكتب التي أعتنت في وصف المدن والأماكن الجغرافية. وقد أفاد البحث منه كثيراً في تعريف المدن والأماكن الجغرافية فضلاً عن بعض الروايات التاريخية التي تعرض لذكرها، ومن ذلك مواطن بعض قبائل المغرب[٦] ومواطن الروم وأشهر مدنهم[٧]، وعرض أيضاً لمدلول لفظة أفريقية وحدودها[٨].

٣. ومن المراجع الحديثة التي أفاد منها البحث كثيراً:

١. فتح العرب للمغرب، للدكتور حسين مؤنس[٩] وهو أوسع من تعرض لحروب التحرير في المغرب العربي وناقش الكثير من الروايات الواردة بشأنه، وقد أفاد البحث منه ومن تحليلاته خاصة، فضلاً عن آراء بعض المستشرقين الذين أعتمد عليهم ولم يتيسر لنا الإطلاع على آرائهم[١٠].
٢. تاريخ المغرب الكبير، للدكتور عبد العزيز سالم[١١].

وهو من المراجع الذي قدم معلومات مهمة عن أحوال المغرب قبل حروب التحرير والثورات التي قامت في المغرب العربي ضد القوات المحتلة من الرومان والبيزنطيين،

---

(١) البكري: المصدر السابق، ص١٢ و١٥٣.
(٢) المصدر نفسه، ص٣٢ و٣٣ و٣٥.
(٣) المصدر نفسه، ص١٣.
(٤) المصدر نفسه، ص٢٤.
(٥) تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، بغداد، دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٦.
(٦) المصدر نفسه، ص١٣٥ و١٥٧.
(٧) المصدر نفسه، ص١٥٠.
(٨) المصدر نفسه، ص١١١ و١١٢.
(٩) القاهرة، مكتبة الآداب، ١٩٤٧.
(١٠) المرجع نفسه، ص١٤٥ و١٤٦ و١٧٣-١٧٥.
(١١) القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٦.

كما أفاد البحث من الآراء والتحليلات عن بعض الأحداث مثل العلاقة بين عقبة بن نافع الفهري وأبي المهاجر دينار، وعلاقة والي مصر بذلك[1].

٣. تاريخ المغرب العربي، للدكتور سعد زغلول عبد الحميد[2].

أفاد البحث منه في مواضع مختلفة ونقل عنه بعض الآراء التي طرحها، ومن ذلك تعليله للشرط المفروض على قبيلة لواتة في بيع أبناءهم استيفاء لجزيتهم، وتقويمه لحملة معاوية بن حديج والأسباب التي كانت وراء عزل عقبة بن نافع الفهري وتولية أبي المهاجر دينار[3].

٤. كما أعتمد البحث على عدة بحوث أهمها:

- واقعة سبيطلة، للدكتور ناطق صالح مطلوب[4].
- معاوية بن حديج ألسكوني وجهوده في بناء معسكر القرن في أفريقية، للدكتور حازم غانم حسين[5].

وفي الختام آمل أن يكون هذا البحث المتواضع قد أسهم في توضيح دور ولاة مصر في تحرير المغرب العربي، وسدّ بعض الفراغ في مكتبتنا العربية بما يسهم في المعرفة التاريخية ومن الله التوفيق.

---

(١) المرجع نفسه: ٢/٢١٢ و٢١٣.

(٢) الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٧٩.

(٣) المرجع نفسه: ١١/١٧٤ و١٨٨.

(٤) بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي، جـ ٢، م ٤٩، ٢٠٠٠م.

(٥) بحث منشور في مجلة التربية والعلم، جامعة الموصل، كلية التربية، العدد ١٦، ١٩٩٤.

الفصل الأول

أحوال المغرب العربي قبيل حروب التحرير

١. التسمية (المغرب، افريقية، حدود المغرب، حدود افريقية).

٢. السكان

أ. البربر (قبائل المغرب)

١. البتر

٢. البرانس

ب. الأفارقة

ج. الروم

د. السودان

هـ. اليهود

٣. اللغة

٤. المعتقدات

٥. الأوضاع السياسية للمغرب قبيل حروب التحرير

١. في تسمية المغرب وافريقية:

يراد بمصطلح المغرب كل الأقاليم الواقعة غرب مصر حتى المحيط الأطلسي، وهو بذلك مصطلح عام قصد من ورائه للدلالة على البلاد الواقعة في اتجاه غروب الشمس، عكس البلاد الواقعة في اتجاه شروق الشمس،والتي يطلق عليها تبعاً لذلك ببلاد المشرق[١].

غير إن المؤرخين الذين أرخوا لتاريخ المغرب العربي أطلقوا على ما يلي مصر غرباً اسم افريقية[٢] واصل هذه التسمية فينيقية وهم الذين أطلقوا على سكان المغرب اسم " أفري " وعن الفينيقيين اخذ اليونان هذه التسمية فأطلقوها على كل من يسكن هذه البلاد من حدود مصر غرباً إلى المحيط الأطلسي ، ومن ثم سميت البلاد ببلاد الافري أي افريقية[٣] ، وعندما احتل الرومان مدينة قرطا جنة[٤] في سنة ١٤٦ قبل الميلاد أطلقوا اسم افريقية على جميع المناطق التي دخلت تحت نفوذهم[٥].

وعلى الرغم من الاختلافات الواضحة في مدلول لفظة افريقية ولفظة المغرب وتحديد نطاق كل منهما على الأرض، فان افريقية كانت تعني الأقاليم التي تتوسطها مدينة القيروان، ويمتد غرباً إلى مدينة بجاية[٦] ثم يلي ذلك بلاد المغرب إلى المحيط الأطلسي[٧].

---

(١) ابن خلدون: العبر: ١٩٣/٦.

(٢) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص٢٣٢.

(٣) مؤنس : المرجع السابق ، ص٣ .

(٤) قرطا جنة: مدينة من بناء الفينيقيين بنيت في سنة ٨١٤ قبل الميلاد وكانت عاصمة البلاد ومن أهم المدن في بلاد المغرب ويعد ميناء المدينة من أهم المنشآت التي خدمت البلاد للأغراض التجارية والعسكرية. رشيد الناضوري: تاريخ المغرب العربي، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٦: ١٨٠/١؛ اندري شارل جوليان: تاريخ أفريقيا الشمالية، ترجمة محمد مزالي والبشير بن سلامة، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٧٨: ٨٦/١؛ عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب، الرباط، المطبعة الملكية، ١٩٦٨: ٥٧/١؛ احمد صقر: مدنية المغرب العربي عبر التاريخ، تونس، ١٩٥٩، ص٩٧.

(٥) سالم: المرجع السابق: ١٢٥/٢.

(٦) بجايه؛ مدينة تقع على البحر المتوسط في الجزائر الحالية، وهي قديمة من بناء الفينيقيين وكانت تعرف باسم صلداي وقد أعاد اعمارها المنصور بن حماد واتخذها داراً لدولته وتعد مدينة بجاية من المراسي المهمة. الاستبصار في عجائب الأمصار، ص١٢٨ وما بعدها؛ شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، بيروت، دار الفكر: ٣٣٩/١؛ ابن منصور: المرجع السابق: ٢٥٧/١.

(٧) مؤنس: المرجع السابق، ص١-٤؛ احمد مختار ألعبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، بيروت، ١٩٧٠، ص٩و١٠.

ويبدو إن الخلط بين افريقية والمغرب ظل ماثلاً لدى الكثير من الجغرافيين والمؤرخين، فالبكري (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م) يحدد افريقية بقوله ((وحد افريقية طولها من برقة[١] شرقاً إلى طنجة الخضراء[٢] غرباً ... وعرضها من البحر إلى الرمال التي هي أول بلاد السودان[٣])) ومعنى هذا أن البكري يجعل مصطلح أفريقية مساوياً لمصطلح المغرب في التحديد على الأرض طولاً وعرضاً، وبهذا القول أخذ صاحب الأستبصار[٤] وابن أبي دينار[٥] (ت١٠٩٢هـ/١٦٨١م).

أما ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٦م) فيجعل حد أفريقية من برقة إلى بجاية، وطولها مسافة شهرين ونصف[٦]، في حين حدد المراكشي (ت٦٤٧هـ/١٢٤٧م) أفريقية من مدينة برقة إلى مدينة قسنطينة في الجزائر غرباً[٧].

وأطلق الناصري (ت١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م) على إقليم أفريقية أسم المغرب الأدنى وجعل قاعدته مدينة القيروان[٨].

ومهما كان اختلاف الجغرافيين والمؤرخين في تحديد ولاية أفريقية فأن مصطلح المغرب أستعمل للدلالة على الإقليم كله. وهذا ما نجده عند ابن حوقل[٩] (ت٣٦٧هـ/ ٩٨١م) والمقدسي[١٠] (ت٣٧٥هـ/ ٩٨٥م) والأصطخري[١١] (ت القرن الرابع الهجري)

---

(١) برقة؛ مدينة قديمة تمتاز بتربتها الحمراء، وكانت مقراً لقبائل لواته، والمدينة كثيرة الخيرات، مشهورة بأغنامها، ومعظم أغنام مصر ولحومها كانت تأتي إليها من برقة. البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، ص٤؛ الأستبصار، ص١٤٣؛ الحموي: المصدر السابق: ٧٣/١؛ الحسن بن محمد الوزان: وصف أفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط، الشركة المغربية، ١٩٨٠: ٢٤٣/١.

(٢) طنجة: مدينة في أقصى بلاد المغرب تقع على البحر وهي مدينة مأهولة بالسكان، وفيها الكثير من البساتين العامرة وخيراتها وفيرة. البكري: المغرب، ص١٠٤؛ الوزان: المصدر السابق: ٢٤٣/١.

(٣) المغرب، ص٢١.

(٤) مجهول، ص١١١و١١٢.

(٥) المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، تحقيق محمد شمام، تونس المكتبة العتيقة، ١٩٦٧، ص١٦.

(٦) معجم ال بلدان: ٢٢٨/١.

(٧) المعجب في تلخيص إخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، ومحمد العربي، القاهرة، ١٩٦٨، ص٣٤٩.

(٨) الأستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق ولدي المؤلف جعفر ومحمد، الدار البيضاء، مطبعة دار الكتب، ١٩٥٥، ص١٢٧.

(٩) صورة الأرض، بيروت، ١٩٦٢، ص٦٤.

(١٠) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، ١٩٠٦، ص٢١٦.

(١١) المسالك والممالك، القاهرة، ١٩٦١، ص٣٣؛ وينظر عبد الحميد: المرجع السابق: ٩٣/١.

وغيرهم[1]، فتكون لفظة افريقية على هذا الأساس تعني الولاية التي تتوسطها مدينة القيروان، وهي جزء من بلاد المغرب الكبير، وإقليم من أقاليمه.

وعلى هذا الأساس فقد تم تقسيم المغرب العربي إلى أربعة أقسام:

١. برقة وطرابلس؛ وهناك من المؤرخين من يجعل طرابلس أول بلاد المغرب دون مدينة برقة[2] وكان هذان الإقليمان يشكلان وحدة جغرافية مستقلة مرتبطة ارتباطاطبيعياً وسياسياً بولاية مصر أكثر من ارتباطها ببلاد المغرب العربي[3].

٢. ولاية أفريقية، أو المغرب الأدنى:

ويمتد من طرابلس حتى مدينة بجاية بالجزائر غرباً، وقاعدته مدينة القيروان ثم تونس بعدها[4].

٣. المغرب الأوسط:

سمَي بهذا الاسم لموقعه بين المغربين الأدنى والأقصى، ويمتد من مدينة بجاية إلى وادي ملوية وجبال تازة في الغرب، وقاعدته مدينة تلمسان[5]، ويشمل معظم بلاد الجزائر الحالية[6].

٤. المغرب الأقصى:

وحده من وادي ملوية حتى مدينة أسفي[7] على ساحل المحيط الأطلسي[8]، ويضم المغرب الحالي وموريتانيا.

---

(١) أبو عبد الله محمد بن احمد ابن الشماع: الأدلة البينة النورانية، تونس، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٤، ص٣٠و٣١؛ محمد بن محمد الأندلس بن الوزير السراج: الحلل السندسية في ذكر الأخبار التونسية، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، تونس، الدار التونسية، ١٩٧٠، ج١ ق: ٢٣٥/١.

(٢) الناصري: المصدر السابق: ١٢٧/١.

(٣) مؤنس: المرجع السابق، ص٥٠و ٥١؛ السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص١١.

(٤) ابن خلدون: العبر: ٢٠٤/٦؛ الناصري: المصدر السابق: ١٢٧/١؛ وينظر: مؤنس: المرجع السابق، ص٤.

(٥) تلمسان؛ مدينة قديمة وهي في سفح جبل أكثر شجره الجوز، وكانت دار مملكة زناتة، وهي مدينة كثيرة الخصب، كثيرة الخيرات، رخيصة الأسعار. البكري: المغرب، ص٦٦؛ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بيروت، عالم الكتب: ٢٤٨/١؛ الاستبصار، ص١٧٦.

(٦) المصدر نفسه، ص١٧٦؛ ابن خلدون: العبر: ٢٠٣/٦؛ الناصري: المصدر السابق: ١٢٧/١.

(٧) أسفي؛ مدينة قديمة على شاطيء المحيط الأطلسي فيها مرسى للسفن، وأرضها خصبة صالحة للزراعة. البكري: المغرب، ص٨٦؛ الحموي: المصدر السابق: ١٨٠/١؛ الوزان: المصدر السابق: ١١٦/١.

(٨) الأستبصار، ص١٧٩؛ ابن خلدون: العبر: ٢٠١/٦؛ الناصري: المصدر السابق: ١٢٧/١.

٢ . السكان:

شهدت بلاد المغرب منذ العصور الموغلة بالقدم، هجرات بشرية، وغزوات عسكرية كثيرة، خلفت ورائها الكثير من الآثار الاجتماعية على البلاد، وأول الهجرات التي عرفها المغرب جاءت من مصر في حدود الخمسة آلاف سنة قبل الميلاد عندما قام الملك مينا بتغيير مجرى نهر النيل من مجراه الطبيعي في صحراء لوبيا إلى مجراه الحالي فأضطر هذا التغيير اللوبيين الذين كانوا يعتمدون على الزراعة وتربية الأنعام إلى الهجرة ناحية الغرب ودخلوا في سبيل ذلك في قتال وحروب طويلة مع قبائل الجيتول(١) حتى أزاحوهم إلى ناحية الجنوب خلف جبال الأطلس(٢).

وفي أواخر الألف الثالث قبل الميلاد غزا المغرب أفريقش بن أبرهة، وقيل أفريقش ابن صيفي(٣) وعندما أنسحب وعاد إلى اليمن خلف وراءه جماعة كبيرة من جنده قيل أن أجداد قبيلة صنهاجة وقبيلة كتامة كانوا من هؤلاء الذين خلفهم أفريقش(٤).

وفي سنة ١٥٠٠ ق.م كانت الهجرة الفينيقية من بلاد الشام إلى المغرب فقاموا ببناء عدد من المراسي والمدن على طول السواحل المغربية مما ساعد على تدفق موجات بشرية أخرى من بلاد الشام إلى مناطق المغرب المختلفة(٥).

وعندما غلب طالوت الكنعانيين في فلسطين وقتل ملكهم جالوت في حدود سنة ١٠٩٥ ق.م. خرجت بقاياهم إلى مصر وعندما منعوا من دخولها توجهوا إلى المغرب في حين التجأت جماعة أخرى منهم إلى فينيقيا ومنها أبحروا إلى سواحل المغرب(٦).

وتعد الهجرة الكنعانية من أكبر الهجرات التي عرفها المغرب وكانوا من الكثرة بحيث أثروا تأثيراً كبيراً على الواقع الاجتماعي إلى درجة جعلت الكثير من المؤرخين يرجعون أصول البربر وسكان المغرب إلى هؤلاء الكنعانيين(٧)، وقد دخل المغرب بعد هجرة

---

(١) يقال أنهم أجداد قبائل جدالة وجزولة. ينظر: أبن منصور: المرجع السابق: ٢٥٣/١ هامش رقم (١).
JACQUE-MEUNIE, Le Maroc Saharien des origins Paris, 1982, p.189.

(٢) ابن منصور: المصدر السابق: ٢٥٣/١.

(٣) البكري: المغرب، ص٢١؛ وينظر: معجم ما أستعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، بيروت، ١٤٠٣هـ:١٧٧/١؛ عبد الرحمن بن محمد البكري ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: مصطفى عبد القادر، بيروت، ١٩٩٢: ٣٧٨/١؛ ابن خلدون: العبر: ١٧٦/٦.

(٤) المصدر نفسه: ١٧٧/٦. وينظر: المقدمة، بيروت، دار البيان، ١٩٧٨، ص١٢.

(٥) الناضوري: المرجع السابق: ١٥٠/١؛ ابن منصور: المرجع السابق: ٩٥/١.

(٦) المرجع السابق: ٢٥٥/١و٢٥٦.

٧) أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، بيروت دار الأندلس، ١٩٦٥ ٩٥/٢؛ ابن خلدون: العبر: ١٨٥/٦.

الكنعانيين مرحلة جديدة من الحياة فقد جاء هؤلاء بحضارة لم يكن لأهل المغرب بها عهد فبدأت الحياة الحضارية تسود معظم أقاليمه[١].

وكان لتأسيس مدينة قرطا جنة سنة ٨١٤ ق.م من قبل الفينيقيين واتخاذها عاصمة لهم نقلة نوعية في حياة البلاد السياسية، والاقتصادية، والتنظيمية فبقيام دولة الفينيقيين " يمكن أن يقال أن البلاد المغربية دخلت في التاريخ" [٢].

وقد أشار المؤرخ اليوناني هيرودوت الذي زار المغرب في القرن الخامس ق.م إن بلاد لوبيا، ويعني بها المغرب كله كان يسكنه جنسان من البشر هما: اللوبيون، والزنوج. وسكن اللوبيون المناطق الساحلية، في حين سكن الزنوج أو الأفارقة المناطق الجنوبية من البلاد[٣].

ومن ثم فقد كان لاحتلال الرومان ثم الوندال ثم البيزنطيين للمغرب آثاره على المجتمع المغربي وذلك بفضل استقرار جاليات كبيرة منهم في المدن الساحلية وغيرها، وعرفوا في كتب المؤرخين باسم الروم، والتي ظلت أعدادهم تتزايد مع تقادم قوات الاحتلال في بلاد المغرب[٤].

ومن خلال هذا العرض المبسط وما توالى على المغرب من هجرات يكاد يجمع الباحثون على أن بلاد المغرب تميزت ومنذ القدم بتنوع الأجناس سواء من المشرق العربي كاليمن ومصر وبلاد الشام أو من جهات أوروبية أخرى مثل أسبانيا وجزر البحر المتوسط مثل جزيرة صقلية[٥]. ومن هنا يمكن أن نميز سكان المغرب بالأجناس الآتية:

أ. البربر

وهم السكان اللذين عمروا المغرب منذ أقدم العصور وصفهم ابن خلدون بقوله: " هذا الجيل من الآدميين هم سكان المغرب القديم، ملأوا البسائط والجبال من تلوله وأريافه وضواحيه وأمصاره، يتخذون البيوت من الحجارة والطين ومن الخوص والشجر ومن الشعر والوبر... ومكاسبهم الشاة والبقر والخيل في الغالب في الركوب والنتاج، وربما كانت الإبل من مكاسب أهل النجعة منهم شأن العرب ومعاش المستضعفين منهم بالفلح ودواجن السائمة، ومعاش المعتزين أهل الانتجاع والإظعان في نتاج الإبل، وظلال الرماح، وقطع

---

(١) ابن منصور: المرجع السابق: ٢٥٦/١.

(٢) ابن منصور: المرجع نفسه: ٢٥٨/١.

(٣) المرجع نفسه: ٢٦٠/١.

(٤) نورمان بينز: الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة حسين مؤنس، القاهرة، ١٩٥٠، ص٥٥؛ وينظر:
Gautier (E.F) le passede l'Afrique du Nord, les siecles obscure. Paris, 1952, p.174 .

(٥) الناضوري: المرجع السابق: ٦٢/١؛ ابن منصور: المرجع السابق: ٢٥١/١؛ عبد الله العروي: مجمل تاريخ المغرب، الرباط، ١٩٨٤: ٤١/١.

السابلة، ولباسهم وأكثر أثاثهم من الصوف... ورؤوسهم في الغالب حاسرة وربما يتعهدونها بالحلق ولغتهم من الرطانة الأعجمية متميزة بنوعها، وهي التي اختصوا من أجلها بهذا الاسم "[١].

وأما تسمية سكان المغرب بالبربر فقد أختلف فيه المؤرخون والباحثون على حد سواء فذكر البعض أن لفظة البربر التي أخذها العرب عن البيزنطيين وقبلهم الرومان واليونان تدل على الغرباء عن الحضارة الرومانية وقد تعني أيضاً الأقوام الهمجية ذلك أن الرومان أطلقوا على جميع السكان المغلوبة والتي لم تأخذ بحضارتهم ولم تتكلم بلغتهم أسم البربر وهي تسمية تدل على استعلاء عرقي وحضاري كانت تشعر به الدول التي غزت بلاد المغرب[٢].

وأما المؤرخون العرب فيكاد يجمعون على أن أفريقش بن قيس بن صيفي الذي غزا بلاد المغرب هو الذي أطلق عليهم أسم البربر بعد أن سمع رطانتهم فقال: " ما هذه البربرة " وربما كان الاسم نسبة إلى أحد أجدادهم المسمى ببربر أو بر بن قيس بن عيلان[٣].

والحقيقة أن الاختلاف في هذه التسمية مازال قائماً وسكان المغرب يأنفون من هذه التسمية وكانوا قديماً يسمون باللوبيين وجيتول نسبة إلى الأماكن التي كانوا ينزلونها[٤]. وغالب السكان كانوا يطلقون على أنفسهم أسم أما زيغ بمعنى الرجل الحر أو قد يسمون بأسماء قبائلهم[٥].

وأما عن أصول البربر فقد أختلف فيه المؤرخون كاختلافهم في تسمية البربر فهنالك من يقول أن أصلهم من العرب من بلاد اليمن، وبلاد الشام، ومصر دخلوها في فترات مختلفة من الزمن.

فالطبري (ت٣١٠هـ/٩٢٢م). يذكر عدة روايات في أصولهم، ففي رواية ينسبهم إلى مصرابيم بن حام بن نوح، وفي رواية يجعلهم من العماليق وينسبهم إلى عمليق بن سام بن

---

(١) العبر: ١٧٥/٦و ١٧٦.

(٢) مؤنس: المرجع السابق: ٧٨/١و ٧٩.

(٣) احمد بن يحيى بن جابر البلاذري: فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٥٩، ص٢٣١؛ ابن حيان: كتاب الأنساب، مخطوط مصور على الميكروفيلم، الجامعة الأردنية، برقم ٣٣٠ ورقة ١٩؛ ابن خلدون: العبر: ١٨٦/٦. مجهول ؛ نبذة تاريخية في اخبار البربر ، تحقيق: ليفي بروفنسال ، الرباط المطبعة الجديدة ، ١٩٤٣ ، ص١٨.

(٤) ابن منصور: المرجع السابق: ٢٦٤/١.

(٥) المرجع نفسه: ٢٦٤/١؛ العبادي: المصدر السابق، ص١٣.

نوح، وينسبهم أيضاً إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام وأنهم من أبناء يقسان بن إبراهيم عليه السلام[١].

أما اليعقوبي (ت٢٧٨هـ/٨٩١م) فينسب البربر إلى جدهم الأعلى بر بن عيلان بن نزار، وفي رواية يجعلهم من جذام، ولخم وأنهم كانوا يسكنون فلسطين ثم أخرجهم عنها بعض الملوك[٢].

أما البلاذري (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م) فينفي نسبتهم إلى بر بن قيس بقوله: " وما جعل الله لقيس ولداً يقال له بر إنما هم من الجبارين الذين قاتلهم داؤد (عليه السلام)... فأتوا المغرب فتناسلوا به "[٣]. وبهذه الرواية أخذ الحموي[٤] وابن الأثير[٥] (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م).

وعلى الرغم من إنكار ابن خلدون (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) لمعظم الروايات التي ترجع أصول البربر إلى العرب إلاّ أّنه أعاد قول من قال أّنهم من أبناء كنعان بن حام بن نوح، وأستثنى من ذلك قبيلة صنهاجة وكتامة التي عدها من أصول يمنية[٦]، ويبدو أن ابن خلدون كان يرجح في ذلك قول مالك بن المرحل المالقي (ت ٦٦٩هـ/١٢٧٠م) [٧] بأن البربر من أصول متعددة حميرية ومصرية وكنعانية وقبطية وعماليق اجتمعت في بلاد الشام ثم هاجروا بعد ذلك إلى المغرب[٨].

ويقسم النسابة قبائل البربر إلى قسمين كبيرين هما:

١. البتر:

وهم نسبة إلى جدهم الأعلى مادغيس الأبتر بن بر[٩] والبتر من القبائل البدوية غير المستقرة، وتنتقل من مكان إلى مكان طلباً للكلأ وقبائلهم كثيرة تنتشر في أقاليم عديدة من

---

(١) تاريخ الرسل والملوك: ١/١٨٥ وينظر ابن خلدون: العبر: ٦/١٨٤. فودي ، محمد بلو ، انفاق الميسور ، تحقيق: بهيجه الشاذلي ، الرباط ، ١٩٩٦ ، ص٦٣ و ٦٤. عثمان سعدي ، الاصول العربية للبربر ، بحث منشور في مجلة افاق عربية ، العدد٩ ، السنة الخامسة ، ص٨ ومابعدها.

(٢) تاريخ اليعقوبي، بيروت، دار صادر (د:ت) ١/١٩٠و١٩١.

(٣) فتوح البلدان، ص٢٢٦، وينظر: علي بن احمد بن حزم: جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٧، ص٤٩٥.

(٤) معجم البلدان: ١/٣٦٨.

(٥) الكامل في التاريخ: ١/١٥٥.

(٦) العبر: ٦/١٩٠-١٩٢.

(٧) كان من الأدباء واللغويين شاعراً تولى القضاء في بعض نواحي غرناطة. ينظر: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: بغية الوعاة، تحقيق محمد أبو الفضل البجاوي، القاهرة، ١٩٦٥: ٢/٢٧١.

(٨) ابن خلدون: العبر: ٦/١٨٤.

(٩) ابن حزم: المصدر السابق، ص٤٩٥؛ ابن خلدون: العبر: ٦/٢٣٠.

أقاليم المغرب، ويمتاز هؤلاء البتر بالفروسية والشجاعة وكانوا شديدو الاعتزاز بعروبتهم وتدل على ذلك الكثير من القصائد المنسوبة إلى شعرائهم(١).وتعود أصول قبائل البتر إلى أربعة أصول كبيرة هم: نفوسة، وضريسة، وأداسة، وبنو لوا الأكبر، وتتفرع من هذه الأصول الأربعة قبائل كثيرة فنفوسة هم: بنو نفوس بن زحيك بن مادغيس الأبتر وهم من أوسع قبائل البتر، وضريسة بنو ضريس بن زحيك بن مادغيس، وأما بنو لوا الأكبر فهم من أبناء زحيك بن مادغيس، وأما أداسة فهم بنو أداسة بن زحيك(٢).

ومن أشهر قبائل البتر التي لها ذكر في التاريخ، قبيلة لواتة، ونفزة ومن قبائل لواتة تنحدر قبائل أخرى مثل مزاتة وسدراتة، ومواطن لواتة الأصلية برقة وما جاورها(٣).

وأما نفزاوة فتنحدر منها قبائل مثل قبيلة ولهاصة، وورفجومة، ومواطنها في جنوب شط الجريد بحيث تعرف هذه المنطقة باسم بلاد نفزاوة(٤).

وأما قبيلة نفوسة فمنهم بطون كثيرة استقر معظمهم في إقليم طرابلس وفي الجبل المعروف باسمهم أي جبل نفوسة(٥).

ومن قبائل ضريسة المشهورة قبيلة مطغرة ومطماطة وصطفورة ولماية ومغيلة ومديونة وقبيلة مكناسة وهم بطون عديدة لهم في تاريخ المغرب نصيب كبير ومواطنهم على وادي ملوية(٦).

وقبيلة زناتة: وهم ولد زانا أو شانا بن يحيى بن صولات وهي من أكبر القبائل البترية في المغرب ومواطنهم المغرب الأوسط حتى سمي باسمهم " وطن زناتة " ومنهم جماعة في المغرب الأوسط وفي أماكن أخرى من بلاد المغرب(٧).

ومن قبائل البتر أيضاً قبيلة زوارة ويقال أنها من قبائل كتامة من البربر البرانس، وسكناهم بنواحي بجاية ومن بطونهم بنو عيسى وبنو موسى وبنو شعيب وبنو تورغ(٨).

---

(١) المصدر نفسه: ١٨٧/٦، وينظر: ابن منصور: المرجع السابق: ٢٩٨/١-٣٠٠.

(٢) ابن خلدون: العبر: ٢٢٩/٦و٢٣٠و٢٣٤؛ الناصري: المصدر السابق: ٦٥/١و٦٦. وينظر أبن منصور: المرجع السابق: ٢٩٨/١و٢٩٩.

(٣) اليعقوبي: كتاب البلدان، ليدن، مطبعة بريل، ١٨٩١، ص٩٩؛ الإدريسي: المصدر السابق: ٢٢٢/١؛ ابن خلدون: العبر: ٢٣٤/٦ وما بعدها.

(٤) اليعقوبي: البلدان، ص١٠٢؛ ابن خلدون: العبر: ٢٢٣/٦و٢٣١.

(٥) اليعقوبي: البلدان، ص٩٩؛ ابن خلدون: العبر: ٢٣٠/٦. وينظر: ابن منصور: المرجع السابق: ٣٠٨/١.

(٦) البكري: المغرب، ص٩٣؛ الإدريسي: المصدر السابق: ٢٥٣/١. ابن خلدون: العبر: ٢٤٦/٦و٢٥٤و٢٦٥؛ ابن منصور: المرجع السابق ٣١٣/١.

(١) ابن حزم: المصدر السابق: ص٤٩٥؛ الإدريسي: المصدر السابق: ٢٢٢/١؛ ابن خلدون: العبر: ٤/٧ وما بعدها.

(٨) المصدر نفسه: ٢٦١/٦و٢٦٢. وينظر أبن منصور: المرجع السابق: ٣١١/١.

وأما قبيلة زواغة فقد قال ابن خلدون: " فلم يتأذ إلينا من أخبارهم وتصاريف أحوالهم ما نعمل فيه الأقلام، ولهم ثلاثة بطون وهي دمر بن زواغ وبنو وأطيل بن زحيك بن زواغ وبنو ماخر بن تيفون بن زواغة. ومن دمر بنو سمكان، وهم أوزاع في القبائل. ومنهم بنواحي طرابلس مفترقون في براريها ولهم هنالك الجبل المعروف بدّمر. وفي جهات قسنطينة أيضاً رهط من زواغة. وكذلك بجبال شلف بنو وأطيل منهم وبنواحي فأس آخرون " [١].

ومن القبائل المشهورة، قبيلة كومية وهم المعروفون قديماً بصطفورة وهم أخوة لماية ومطغرة، وكان موطن كومية بالمغرب الأوسط، وكان لهم قوة وشوكة ومساهمة كبيرة في قيام دولة الموحدين[٢].

٢. البرانس:

وهم من ولد برنس بن بر باعتبار أن البربر جميعهم من أب واحد، وإن كان هنالك روايات خلاف ذلك[٣]، والبرانس أهل استقرار وزراعة[٤]، يستوطن معظمهم في المناطق الساحلية القريبة من البحر، وهي المناطق التي تتميز بخصوبة التربة، ووفرة الأمطار التي تساعد على الزراعة والحياة المستقرة[٥].

وعلى الرغم من أن غالبية البرانس من أهل الاستقرار والحضارة إلاّ أنّ فيهم قبائل كانت تعيش حياة البداوة مثلهم في ذلك مثل البربر البتر ومن هؤلاء على سبيل المثال قبائل صنهاجة الصحراء وغيرهم[٦].

ومن أشهر قبائل البرانس سبع قبائل كبيرة مشهورة وتتفرع منها قبائل وبطون كثيرة وهي: صنهاجة، وكتامة، وعجيسة، ومصمودة، وأوربة، وأزداجة، وأوريغة[٧].

وتعد صنهاجة من أشهر هذه القبائل وأكثرها عدداً فهي تشكل ثلث البربر من ناحية العدد كما يقول ابن خلدون[٨]، ومن قبيلة صنهاجة قبائل ذات استقرار وحضارة ومنها قبائل كانت تنتقل من مكان إلى مكان وتعيش حياة البداوة كما ذكرنا.

---

(١) العبر: ٢٦٤/٦؛ وقارن البكري: المغرب، ص١٨.

(٢) المصدر نفسه، ص١٨؛ ابن خلدون: العبر: ٢٥٧/٦.

(٣) ابن حزم: المصدر السابق، ص٤٩٥؛ ابن خلدون: العبر: ١٧٦/٦، الناصري: المصدر السابق: ٦٤/١و٦٥.

4) Gautier, o.p.c.t, p.227.

(٥) ابن منصور: المرجع السابق: ٣٠١/١.

(١) ابن خلدون: المصدر السابق: ٣٧٠/٦ وما بعدها. وينظر: حسن محمود: قيام دولة المرابطين، القاهرة، ٩٥٧، ص٣٠و٣١؛ ابن منصور: المرجع السابق: ٢٩٣/١.

(٧) ابن حزم، ص٤٩٥؛ ابن خلدون: العبر: ١٧٧/٦.

(٨) العبر: ٣٠٩/٦.

وصنهاجة هم بنو صنهاج بن برنس والكثير من المؤرخين يعودون بأنسابهم إلى حمير في اليمن[١]، وتنتهي قبائل صنهاجة إلى أكثر من سبعين قبيلة تنتشر في عموم بلاد المغرب، لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسيط[٢].

ومن أشهر قبائل صنهاجة، قبيلة بجاية، ومواطنها ضواحي بجاية[٣] وقبيلة بطوية، ومواطنها في ريف المغرب الأقصى وتشتمل على عدة بطون يسكنون مناطق مختلفة[٤]، وقبيلة جزولة ومواطنها في إقليم السوس ومنهم جماعة في المغرب الأوسط[٥]، وقبيلة لمطة وهم قبائل كثيرة أكثرهم أهل بداوة سكنت جماعة منهم ضواحي مدينة فأس في المغرب الأقصى[٦]، وقبيلة مليانة ومواطنهم في المغرب الأوسط[٧]، وقبيلة فشتالة، وبطونها كثيرة وموطنها في شمال مدينة فأس[٨]، وقبيلة هسكورة، وهم أخوة صنهاجة من ناحية الأم وقد ينسبون مع مصمودة لمجاورتهم إياهم في السكن وكانت مواطنهم في جبل درن[٩].

وأما قبائل لمتونة، وجدالة، ومسوفة، فهم من صنهاجة الصحراء وفيهم بطون كثيرة ومواطنهم في المناطق الممتدة من غدامس إلى المحيط الأطلسي، وبلاد السودان في أقصى جنوب المغرب[١٠].

وأما قبيلة كتامة فهي من قبائل البرانس المشهورة وهم أهل استقرار وحضارة، ومواطنهم الأصلية في ضواحي قسنطينة وفي المغرب الأوسط وفي جبال أوراس، ومن مدنهم التي سكنوها مدينة سطيف[١١]، وميلة[١٢]، وباغية[١] وغيرها من المدن الأخرى.

---

(١) الطبري: المصدر السابق: ٤٣/١؛ ابن الأثير: الكامل: ١٥٥/١؛ المراكشي: المصدر السابق، ص٣٤٩، ابن خلدون: العبر: ٣٠٩/٦و٣١٠.

(٢) المصدر السابق: ٣٠٩/٦.

(٣) المصدر نفسه: ٣١٢/٦، وينظر: ابن منصور: المرجع السابق: ٣٣٠/١.

(٤) ابن خلدون: العبر: ٣١٢/٦. وينظر: ابن منصور: المرجع السابق: ٣٣١/١.

(٥) ابن خلدون: المصدر السابق: ٣١٠/٦، وينظر: ابن منصور: المرجع السابق: ٣٣١/١.

(٦) الإدريسي: المصدر السابق: ٢٤٩/١. وينظر: ابن منصور: المرجع السابق: ٣٣٢/١.

(٧) ابن خلدون: العبر: ٣١٠/٦، ابن منصور: المرجع السابق: ٣٣٣/١.

(٨) ابن خلدون: العبر: ٣١٠/٦. وينظر: ابن منصور: المرجع السابق: ٢٣٤/١.

(٩) ابن خلدون: العبر: ٥٥٢/٦ وما بعدها.

(١٠) الإدريسي: المصدر السابق: ٢٤٥/١؛ ابن خلدون: العبر: ٣٧٣/٦ وما بعدها. وينظر: ابن منصور: المرجع السابق: ٣٣٢/١.

(١١) سطيف: مدينة قديمة كان عليها سور مبني بالصخر، وهي مدينة رخيصة الأسعار كثيرة الخيرات، غزيرة المياه. البكري: المغرب، ص٧٦؛ الأستبصار، ص١٦٦.

(١٢) ميلة: مدينة قديمة، وهي عامرة آهلة بالسكان، رخيصة الأسعار بينها وبين مدينة سطيف مرحلة. البكري: المغرب، ص٦٣؛ الأستبصار، ص١٦٦.

ومن أشهر قبائل كتامة، قبيلة زواوة وهم أخوة زواغة البتريين، ولذلك ذكرهم أبن حزم مع قبيلة ضريسة البترية مرة، وذكرهم مرة أخرى مع كتامة، ومساكنهم الجبل المنسوب إليهم إلى الشرق من مدينة الجزائر، ولهم بطون كثيرة[٢].

وقبيلة مصالة من كتامة أيضاً ومواطنها قريبة من مدينة بجاية[٣]. ومن قبائل كتامة الأخرى قبيلة متوسة، وفلاسة، ودنهاجة وغيرها[٤].

ومن قبائل البرانس، قبيلة عجيسة، وكانوا مجاورين لصنهاجة في المغرب الأوسط، وبعضهم يسكن جبل قلعة بني حماد[٥].

وقبيلة مصمودة ، وهي من القبائل الكبيرة التي تنتشر في المغرب الأقصى، في إقليم الريف وحتى المحيط الأطلسي غرباً . ثم تمتد إلى الجنوب لتشمل تامسنا حتى تتصل بجبال الأطلس الكبيرة[٦].

ومن أشهر قبائل مصمودة، قبيلة برغواطة، ومساكنها منطقة تامسنا بالمغرب الأقصى، وقد نسبها ابن خلدون إلى مصمودة، ثم ذكر بعد ذلك إنهم شعوب كثيرة اجتمعت تحت أسم برغواطة[٧].

والى برغواطة هذه تنسب زندقة صالح بن طريف والذي شرع لقومه ديانة جديدة[٨].

ومن قبائل مصمودة قبيلة حامة ومواطنهم بين مدينتي الصويرة وأغادير في المغرب الأقصى[٩]. وقبيلة غمارة سموا باسم جدهم غمار بن مصمود ويقال له مصمودة الشمال[١٠]. ومن مصمودة أيضاً قبيلة رجراجة، ودكالة، وهنتانة، وهسكورة، ولمطة، وغيرها من القبائل الأخرى[١١].

---

(١) باغية: مدينة قديمة عند جبل أوراس فيها مزارع وعيون كثيرة الخيرات. البكري: المغرب، ص٥٠؛ الأستبصار، ص١٦٣.

(٢) البكري: المغرب، ص٦٣؛ ابن خلدون: العبر: ٦/٣٠١-٣٠٢.

(٣) المصدر السابق: ٦/٣٠٢. وينظر: ابن منصور: المرجع السابق: ١/٣٢١.

(٤) ابن خلدون: المصدر السابق: ٦/٣٠١.

(٥) المصدر نفسه: ٦/٢٩٥.

(١٠) المصدر نفسه: ٦/٤٢٧ وما بعدها، وينظر: ابن منصور: المرجع السابق: ١/٣٢٢؛ السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص٢١.

(٧) العبر: ٦/٤٢٨.

(٨) البكري: المغرب، ص١٣٤؛ الأستبصار، ص١٩٧و١٩٨؛ ابن خلدون: العبر: ٦/٤٢٨و٤٢٩.

(٩) ابن خلدون: العبر: ٦/٥٧٧؛ ابن منصور: المرجع السابق: ١/٣٢٤.

(١٠) ابن خلدون: العبر: ٦/٤٣٥و٤٣٦؛ ابن منصور: المرجع السابق: ١/٣٢٥.

(١١) ابن خلدون: العبر: ٦/٥٧٧.

وتعد قبيلة أوربة إحدى قبائل البرانس المشهورة، ومواطنهم المشهورة في المغرب الأقصى من نواحي تلمسان، ثم مدينة وليلي وضواحيها بعد ذلك، ومن مشاهير زعمائهم في حروب التحرير كسيلة بن لمزم الذي قتله زهير بن قيس البلوي في الحملة التي قادها ضده سنة ٦٩هـ/٦٨٨م[١].

ومن قبائل أوربة المشهورة نفاسة، ونعجة، وزهكوجة، ومزياتة، وديقوسة[٢] ، ومن قبائل البرانس أيضاً قبيلة إزداجة،ويعرفون أيضاً بوزداجة وكثير من نسابة البربر يعدونهم في بطون زناتة، وكانت مواطنهم في المغرب الأوسط بناحية وهران ومن بطونهم مسطاطة وعجيسة وبني مسكن[٣].

وأما قبيلة أوريغة، وهم بنو أوريغ بن برنس، وقيل إنّ أصلهم من اليمن[٤]، وتسمى أوريغة بهوارة[٥] أيضاً ، نسبة إلى هوار بن أوريغ بن برنس المذكور أعلاه.

وكانت مواطنهم بإقليم طرابلس وبعض المناطق الأخرى، ومن أشهر قبائلهم مليلة، ومسراتة، وزمور، وزكارة، وورغة، وغيرها[٦].

ب. الأفارقة:

وهم من العناصر التي سكنت المغرب في عصور غير معروفة وقد أختلف الباحثون في أصولهم كما اختلفوا في أصول البربر من قبل، فهناك من يجعل الأفارقة من الجماعات الذين اختلطوا بالروم فأصبحوا من المولدين الذين أخذوا بالحضارة الرومانية ودانوا بالديانة النصرانية[٧] ومنهم من ذكر أنهم من بقايا القرطاجيين[٨]، ومنهم من جعلهم من الفلاحين الذين اعتنقوا الديانة النصرانية وكانوا يتكلمون اللغة اللاتينية والبونيقية[٩].

---

(١) إبراهيم بن القاسم الرقيق القيرواني: تاريخ أفريقية والمغرب، تحقيق: المنجي ألكعبي، تونس، ١٩٦٨، ص٥١؛ ابن الأثير: الكامل: ١٠٩/٤.

(٢) ابن خلدون: العبر: ٢٩٦/٦ وينظر: ابن منصور: المرجع السابق: ٣١٤/١.

(٣) ابن خلدون: العبر: ٢٩٣/٦.

(٤) الإدريسي: المصدر السابق: ٢٢٣/١؛ ابن خلدون: العبر: ٢٨٢/٦.

(١٠) ابن حزم، المصدر السابق، ص٤٩٧. ابن خلدون، العبر، ٢٨٢/٦.

(٦) ابن خلدون: العبر: ٢٨٣/٦؛ وينظر: ابن منصور: المرجع السابق: ٣١٦/١و٣١٧.

(٧) عبد الحميد: المرجع السابق: ١٠٦/١.

(٨) هو بكنز: النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، ترجمة أمين توفيق ألطيبي، تونس، ليبيا، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٠، ص١٢٦.

Gautier, op, cit, p.144.

(٩) العروي: المرجع السابق: ص١١٣.

والكثير من الدارسين يذهبون بالقول أنهم من بقايا الهجرات التي تعاقبت على المغرب أي أنهم يعودون إلى العنصر القرطاجي والروماني، والوندالي[١].

وأما ابن عبد الحكم فقد عدّ الأفارقة من خدمة الروم، وكان من طبيعتهم الخضوع لمن غلب على البلاد[٢]، وتعد مدن الساحل، وإقليم قسطيلية[٣]، وبلاد الزاب، ومدينة قابس[٤]، من أشهر مواطنهم، فضلاً عن مدينة برقة[٥].

وقد دخل قسم كبير من هؤلاء الأفارقة في الإسلام عند تحرير المغرب، لكنهم ظلوا محافظين على لغتهم وعاداتهم، وكثيراً ما كانوا يتعاونون مع المتمردين والخارجين على السلطة المركزية[٦].

---

(١) مؤنس: المرجع السابق، ص٥؛ سالم: المرجع السابق: ١٣٣/٢؛ هو بكنز: المرجع السابق، ص١٢٧و١٢٨.

(٢) فتوح مصر والمغرب، ص٢٢٩.

(٣) قسطيلية: وهو إقليم في بلاد الجريد قاعدته مدينة توزر، ومن مدنها المشهورة مدينة نفطة، ومدينة الحامة، ومدينة طّرة، وغيرها ينظر: الأستبصار، ص١٥٥-١٥٨.

(٤) قابس: مدينة من مدن الجريد وهي مدينة قديمة فيها أرباض كثيرة واسعة ويحيطها خندق من جميع جهاتها. البكري: المغرب، ص١٧؛ الأستبصار، ص١١٢.

(٥) اليعقوبي: البلدان، ص١١٢؛ البكري: المغرب، ص٥-١٧-٥٦.

(١٠) عبد الحميد: المرجع السابق: ٢٢٦/١؛ السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص٢٣.

ج. الروم:

وهم بقايا الرومان وغيرهم من العناصر الأوربية التي احتلت المغرب وظلوا في البلاد بعد إجلاء القوات البيزنطية عنها ودخل بعضهم في الإسلام حفاظاً على أموالهم وأمتيازاتهم في حين ظل معظمهم على الديانة النصرانية[١].

وقد سكن الروم إقليم قسطيلية وإقليم الجريد ومن مدنهم طبّنة[٢]، وباغاية[٣]، وتوزر[٤] وغيرها من الأماكن الأخرى[٥].

د. السودان:

ووجد في بلاد المغرب جاليات كبيرة للسودان استقرت في المناطق الجنوبية خاصة[٦]، وكان للعلاقات التجارية بين بلاد المغرب وجنوب الصحراء أثره في ازدياد عدد السكان في بعض المدن كمدينة سجلماسة[٧]مثلاً بل أن هذه المدينة نفسها قامت وازدهرت على أساس التبادل التجاري[٨]. وكثيراً ما كان المؤرخون يصفون المدن

---

(١) السامرائي، وآخرون: المرجع السابق: ص٢٣.

(٢) طبنة: وهي مدينة من مدن إقليم بلاد الزاب، وهي مدينة قديمة فيها حصن، وأرياض واسعة، فيها بساتين كثيرة ومشهورة بالنخيل. البكري: المغرب، ص٥٠؛ الأستبصار، ص١٧٢.

(٣) باغية: مدينة في سفح جبل أوراس وهي غنية بالمياه كثيرة الزروع. البكري: المغرب، ص٥٠؛ الأستبصار، ص١٦٣.

(٤) توزر: وهي قاعدة إقليم الجريد، وكانت مدينة عامرة تشتهر بالتمور، الأستبصار، ص١٥٥.

(٥) اليعقوبي: البلدان، ص١٠٢؛ الأستبصار، ص١٥٥؛ عبد الله بن محمد التجاني: رحلة التجاني، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، تونس، المطبعة الرسمية، ١٩٥٨، ص١٥٩.

(٦) عبد الحميد: المرجع السابق: ١٠٨/١.

(٧) سجلماسة: مدينة كبيرة وهي على طريق الصحراء ، يسكنها قوم من مسوفة ، وهي مدينة بنيت سنة ١٤٠هـ/٧٥٧م ، وأصبحت من الأسواق التجارية في المنطقة ، وقاعدة لدولة الخوارج الصفرية. البكري: المغرب، ص١٢٨؛ الحموي: المصدر السابق: ٤٥/٣؛ الأستبصار، ص٢٠٠ وما بعدها.

(٨) البكري: المغرب، ص١٢٨؛ الأستبصار، ص٢٠١. وينظر: محمود إسماعيل: الخوارج في المغرب الإسلامي، بيروت–القاهرة، دار العودة – مكتبة مدبولي، ١٩٧٦، ص٨٦و ٨٩.

الصحراوية مثل غدامس[١]، وزويلة[٢] بأنها أبواب السودان، وذلك لوقوعها على الطرق التجارية التي كانت نشطة في ذلك الوقت[٣].

هـ. اليهود:

ووجدت في المغرب جاليات من اليهود، دخلوها في عصور مختلفة وأكبر هجرة عرفت لليهود إلى المغرب كانت في سنة ٥٨٠ ق.م عندما دخل الملك البابلي نبو خذ نصر بيت المقدس وطرد اليهود فسارت جماعة منهم، واستقروا في بلاد المغرب[٤].

وكانت الهجرة الثانية لليهود في سنة ٧٠م عندما طردهم الرومان من بيت المقدس بعد احتلالهم لبلاد فلسطين[٥] فدخلت جماعة منهم بلاد المغرب واستقرت في المناطق الساحلية في برقة، وما جاورها، غير أنهم بدأوا بإثارة الفتن والاضطراب في المنطقة، فنكل بهم الرومان وقتلوا أعداداً كبيرة منهم، وشردوا بقيتهم[٦]، فخرجوا باتجاه المغرب الأقصى، وسكنوا عند درعة[٧] والمناطق المجاورة لها، وسكنت جماعة منهم مدينة سجلماسة، وكانوا يعملون باستخراج التبر وفي البناء[٨].

٣. اللغة:

ويتكلم سكان المغرب لغة تعد من أقدم اللغات أرجعها الباحثون إلى أصول سامية، وحامية، وذلك حسب اختلافهم في أصول السكان السلالية، والغالب إن هذه اللغة تنتمي إلى الأسرة الحامية التي هي فرع من فروع السامية القديمة، خصوصاً سكان اليمن، وحضرموت، وهي قريبة الشبه أيضاً بلغة المصريين القدماء، وبعض لغات السودان[٩].

---

(١) غدامس: مدينة قديمة في ولاية أفريقيا، تشتهر بالجلود، وبالتمور ومن غدامس يدخل التجار إلى بعض مدن السودان. البكري: المغرب، ص١٨٢؛ الأستبصار ص١٤٥.

(٢) زويلة: مدينة كبيرة قديمة في الصحراء قريبة من بلاد كانم وفيها يجتمع التجار من السودان والمغرب وهي كثيرة النخيل والثمار. البكري: المغرب، ص١٠؛ الأستبصار، ص١٤٦.

(٣) عبد الحميد: المرجع السابق: ١٠٨/١؛ السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص٢٣.

(٤) ابن منصور: المرجع السابق: ٢٥٩/١.

(٥) موريس لومبارد، الإسلام في فجر عظمته، ترجمة حسين العودة، دمشق، ١٩٧٩، ص٦٩.

6) Gautier, op. cit, p.169.

(٧) درعة: مدينة من مدن المغرب الأقصى، تقع غرب مدينةسجلماسة وكانت مشهورة بالحناء، ومنها تُجلب إلى عموم بلاد المغرب.البكري، المغرب، ص١٥٥، الأستبصار، ص٢٠٦و٢٠٧ وينظر: ابن عبد الله، عبد العزيز، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، المحمدية، مطبعة فضالة، ١٩٨١، ص١٩٥.

(٨) البكري: المغرب، ص١٤٩؛ الأستبصار، ص٢٠٢.

(٩) عبد الحميد: المرجع السابق، ١١٠/١؛ ابن منصور: المرجع السابق: ٢٨٨/١.. Gautier, op. cit, p.35

وقد أثبت البعض أن التشابه بين اللغة التي يتكلم بها سكان المغرب ولغة المصريين والعرب يعود إلى كون هذه اللغات ترتد في الأصل إلى لغة واحدة قديمة(١).

ولازالت بعض اللهجات البربرية حية في بعض مناطق المغرب خاصة في المناطق الجبلية المعزولة، وتعد منطقة شرق الجزائر من أشهر المناطق التي لازالت تستخدم لهجتين هما: الشاوية والقبائلية(٢).

وكذلك نجد هذه اللهجات منتشرة في المغرب الأقصى عند سكان جبل درن، ووادي السوس الأقصى، ويطلق على لهجتهم تاشالحيت، وهي نسبة إلى قبائل الشلوح من بربر مصمودة، وعلى تخوم الصحراء تتكلم جماعة من البربر تسمى بالأمازيغ لهجة تعرف باسم تامازيغت، ويعتقد أنهم من قبيلة صنهاجة(٣).

٤. المعتقدات الدينية:

كان معظم سكان المغرب يدينون بالديانة الوثنية وقد عرفت هذه الديانة مع أقدم إنسان عاش على أرض هذه البلاد ومنها ما دخل عليها مع المهاجرين عبر العصور المختلفة، فقد كان سكان المغرب يقدمون القرابين لكثير من الآلهة التي عبدوها ومنها الإله ماكورتا، ويوتا، وماكورفوس، وماتيلا(٤).

وكان للفينيقيين إله يـُعرف بالإله تاميت فبنوا له المعابد في المدن التي وقعت تحت نفوذهم، وقد عبد هذا الإله الكثير من السكان(٥).

وكان من معتقدات سكان المغرب القدماء الأيمان بالروحانيات الذي تتمثل صورتها لديهم في وجود أرواح شريرة أو خّيرة تستقر في العناصر الطبيعية، كالعيون، والأنهار، والأشجار، والجبال، والأطلال، والأحجار، وكان في المغرب قبائل كثيرة تعظّم هذه العناصر، وتقيم لها المراسيم الدينية المناسبة، كما كان بعض القبائل يعبدون بعض الحيوانات ويقدسونها وربما كان ذلك بفعل تأثير ديانات مشرقية مثل الديانة المصرية(٦).

---

(١) عبد الحميد: المرجع السابق: ١/١١١.

(٢) ابن منصور: المرجع السابق: ١/٢٨٨؛ عبد الحميد: المرجع السابق: ١/١١١.

(٣) المرجع نفسه: ١/١١٢.

(٤) حسن السائح: الحضارة المغربية عبر التاريخ، الرباط، ١٩٧٥: ١/٥٨. وينظر: السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص٢٤.

(٥) الناضوري: المرجع السابق: ١/١٢٧.

(٦) ابن منصور: المرجع السابق: ١/٢٨٦.

ويقول ابن منصور: " وهذا النوع من الاعتقاد، والعبادة، يسمى بالطوطمية وهي: أن يعتقد الإنسان أو القبيلة أن جده الأعلى نوع من الحيوانات فيكون لزاماً عليه حينئذٍ أن يحترمه ويقدسه ولا يقتله ولا يأكل لحمه ولا يضربه ولا يؤذيه، ويسمى ذلك الحيوان بالطوطم، ومن الطواطم البربرية الأفعى، والبوم، والحمام، والطاؤوس، والقرد، والقط، والضفدع[١] ".

وقد عثر في جهات كثيرة من المغرب على آثار تحمل صورة الإله آمون وهو على شكل كبش يحمل بين قرنيه قرص الشمس المستدير وهو من الآلهة المصريين[٢].

وكانت عبادة الشمس والقمر من العبادات المنتشرة في أواسط قبلية واسعة[٣]فضلاً عن تقديس الملوك ورؤساء القبائل وبعض رجالاتها[٤]، وكان لبعض القبائل آلهة خاصة بها فقد كانت القبائل التي تسكن طرابلس وما جاورها تعبد ثوراً يسمى كرزيل[٥] وهو نفس الإله الذي كانت تعبده قبائل ودان، والذي سمّاه البكري باسم كرزة حيث كانت هذه القبائل تقدم إلى الإله القرابين ويتبركون به ويستشفي به مرضاهم[٦]. وكان ما بين مدينة أغمات[٧]، والسوس[٨]قبيلة تعبد كبشاً [٩].

وكانت قبائل جراوة في جبل أوراس يعبدون صنماً كبيراً من الخشب[١٠]. وانتشرت بين قبائل المغرب أعمال الشعوذة والسحر وقد حكم البعض لممارسته مثل هذه الأعمال الكثير من القبائل، وخير مثال على ذلك: الكاهنة ملكة جبل أوراس والتي كان قومها من جراوة لا يخالفون لها أمراً [١١]. كما أنتشر السحر والشعوذة عند سكان جبل درن. ودخلت

---

(١) قبائل المغرب: ٢٨٦/١.

(٢) المرجع نفسه: ٢٨٧/١.

(٣) ابن خلدون: العبر: ٩٤/٦.

(٤) السائح: المرجع السابق: ٥٨/١.

(٥) ابن منصور: المرجع السابق: ٢٨٧/١.

(٦) المغرب، ص١٢.

(٧) أغمات: وهما مدينتان أحداهما تسمى اغمات وريكة والأخرى أغمات هيلانة، وهي مدينة متسعة في المغرب الأقصى، كثيرة الرخاء والخصب. البكري: المغرب، ص١٥٣؛ الأستبصار، ص٢٠٧.

(٨) السوس: وهو إقليم واسع في المغرب الأقصى فيه عدة مدن مشهورة وقاعدته مدينة أيجلي. البكري: المغرب، ص١٦١.الأستبصار ، ص٢١١.

(٩) البكري: المغرب، ص١٦١.

(١٠) المالكي: المصدر السابق: ٣٥/١؛ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الدباغ: معالم الأيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق: إبراهيم شيوخ، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، ط٢: ٦٦/١.

(١١) الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص٥٥؛ ابن الأثير: الكامل: ٣٧٠/٤؛ الدباغ: المصدر السابق: ٦١/١.

المغرب الديانتين اليهودية، والنصرانية، فأخذت بها بعض القبائل ودان بها بعض الأشخاص مثل دونا توس، وهو من نصارى البربر الذي أبتدع مذهبه المعروف بالدوناتية، وأستطاع أن يزاحم الكاثوليكية[١].

وعلى كل حال فقد انتشرت النصرانية بوجود الرومان والبيزنطيين وأخذت بها بعض قبائل المغرب مثل قبيلة أوربة[٢].

٥. أحوال المغرب السياسية قبيل حروب التحرير:

شهد المغرب غزوات قامت بها القوى الأوربية بدأت بسقوط مدينة قرطا جنة سنة ١٤٦ ق.م على يد الرومان ثم من بعدهم الوندال ثم البيزنطيين الذين عاصروا حروب التحرير العربية.

وقد أتبع الرومان سياسة تقوم على تعزيز موقعهم في البلاد وبسط أيديهم على منابع الثروة فيه والقضاء على كل ثورة من قبل السكان قد تهدد وجودهم، ولكي يحققوا هذه الأهداف جميعاً قاموا بتقسيم البلاد إلى أربع ولايات رئيسية هي:

١- ولاية أفريقية، وتضم كل المناطق الواقعة بين مدينة طرابلس وعنابة.

٢- ولاية نوميديا، وتشمل على المناطق الواقعة في شرق الجزائر.

٣- ولاية موريطانيا، وتشمل كل الأقاليم في غرب الجزائر حتى وادي ملوية، وكانت تسمى بموريطانيا القيصرية وقاعدتها مدينة شرشال[٣].

٤- ولاية موريطانيا الطنجية، وكانت تشمل كل المناطق الواقعة غرب وادي ملوية في المغرب الأقصى حتى المحيط الأطلسي وكانت مدينة طنجة قاعدة هذه الولاية[٤].

وكان على كل ولاية من هذه الولايات حاكم روماني يرتبط بحاكم المغرب العام[٥].

وسار هؤلاء الحكام على سياسة تعسفية بدأت منذ الأيام الأولى لاحتلال البلاد يقول جوليان: " حولت روما الممتلكات القرطاجية والبربرية إلى أملاك عمومية، وكان على الرعايا الذين بقيت أملاكهم في حوزتهم بصفة وقتية أن يدفعوا ضريبة تعرف بضريبة المهزومين تستخلصها شركات ملتزمة وكانت المهام موزعة... بين الدوائر ثم بين الجباة

---

(٢) ابن منصور: المرجع السابق: ٢٨٧/١.

(٢) الناصري: المصدر السابق: ٨٠/١.

(٣) شرشال: مدينة من مدن المغرب الأوسط (الجزائر) وهي من المراسي البحرية فيها رباطات يجتمع فيها الكثير من الناس. البكري: المغرب، ص٨١و ٨٢؛ الأستبصار، ص١٣٢.

(٤) الناضوري: المرجع السابق: ٣٣١/١، وينظر: جوليان، المرجع السابق: ١٤٦/١-١٥٠.

(٥) الناضوري: المرجع السابق: ٣٣٢/١.

المرتزقة "[١]ولم يكن هم حكام الولايات إلاّ بتنمية المصالح ورعاية مستخلصي الضرائب ورجال الأعمال والتجار الكبار[٢].

وقد اعتمدت السلطات الرومانية على الأرستقراطية من الموظفين لتوطيد هيمنتها على البلاد وجمع أكبر قدر من الضرائب من دون الاكتراث بمصالح عموم السكان، وبذلك كانت البلاد كلها بالنسبة لروما مستعمرة للاستغلال لا للعمران[٣].

وقد قاوم السكان هذه السياسة بشتى الأساليب، وقامت عدة ثورات ضد الحكام المحليين، ومن أشهر هذه الثورات، ثورة يوغارتا التي دامت أربع سنوات (من ١١١ ق.م – ١٠٥ ق.م) ودخل في معارك عنيفة مع القوات الرومانية في أكثر من مكان من بلاد المغرب، وقد استخدمت القوات الرومانية بعد أن عجزت من القضاء عليه باستخدام القوة أساليب الخبث والمكيدة عن طريق إغراء بعض زعماء المغرب فغدر به ثم قتله سنة ١٠٥ ق.م[٤].

ومن الثورات الأخرى المشهورة في تاريخ المغرب ثورة تاكفاريناس التي استمرت مدة سبع سنوات قهر فيها جيوش روما مرات عديدة وكان الثائر في الأصل قائد نوميدي أنتظم بصفة مساعد في الجيش الروماني بالمغرب ثم قرر القيام بالثورة فألتف حوله عدد كبير من زعماء قبائل المغرب وكان هدفهم طرد الرومان وتحرير بلادهم وقد كان لثورته صدى كبير في عموم البلاد وتأييد ومؤازرة من عموم السكان[٥].

وعلى الرغم من ذلك فقد عدّه جوليان زعيم عصابة تمكن من قيادة جموع من قطاع الطرق والمشردين واللصوص وإن كان يعترف بأن تاكفاريناس قد تمكن بذكائه وشخصيته من جعل هؤلاء فرساناً من أشجع الفرسان الذين دانوا له بالولاء[٦].

وقد امتدت مناطق نفوذ الثائر ليسيطر على بعض جهات موريطانيا في جهة الغرب وسيرتا الصغرى في الشرق[٧]. وقد كبد القوات الرومانية خسائر كبيرة قبل أن تتمكن من القضاء عليه[٨].

---

(١) تاريخ أفريقيا الشمالية: ١٥٠/١.

(٢) المرجع نفسه: ١٥٠/١.

(٣) المرجع نفسه: ٢٠٤/١و٢٠٥.

(٤) المرجع نفسه: ١٥٥/١–١٦٢.

(٥) الناضوري: المرجع السابق: ٢٩٦/١.

(٦) تاريخ أفريقيا الشمالية: ١٧٨/١.

(٧) المرجع نفسه: ١٧٨/١.

(٨) الناضوري: المرجع السابق: ٢٩٧/١؛ جوليان: المرجع السابق: ١٧٩/١.

وفي سنة ٣٧٢م ثار فير موس على القوات الرومانية وتمكن من تحقيق تعاون سياسي وعسكري بين بعض القبائل المغربية ونجح في التحالف مع بعض العناصر النصرانية الخارجة على كنيسة روما وقد حقق فير موس انتصارا على الجيش الروماني وتمكن من دخول مدينة شرشال قاعدة ولاية موريطانيا القيصرية وسيطر عليها غير أن خيانة أخيه جيلدون ومحاولته للإيقاع بأخيه قائد الثورة دفعت هذا الأخير إلى الانتحار سنة ٣٧٥م[١].

وتعاقبت الثورات على حكم الرومان فأضعفت من كيانهم وأرهقت جيوشهم فكانت عاملا من عوامل انحلال دولتهم في المغرب ولينتهي بعد ذلك بسقوطها على يد الوندال[٢].

تمكن الوندال من السيطرة على المغرب بعد دحر جيوش الرومان سنة ٤٢٩م، ولم يكن الوندال إلاّ صفحة من صفحات الاحتلال المقيت للبلاد، فقد عُرف هؤلاء بهمجيتهم ووحشيتهم وبذلك زادت أحوال البلاد الاقتصادية سوءاً وقامت الثورات في أكثر من مكان ومن ثم جاء تنافس الوندال وكبار قادتهم على الحكم ليضعف كثيراً من سلطاتهم. وأستمر الحال في سوء حتى تمكنت قوة أخرى غازية تمثلت بالبيزنطيين الذين تمكنوا من احتلال البلاد سنة ٥٣٣م[٣].

وعلى الرغم من سيطرة البيزنطيين على المغرب ومساعدة بعض القبائل المغربية لهم في محاربتهم للوندال إلاّ أن سياسة المحتلين الجدد لم تراعِ مشاعر هؤلاء الذين تعاونوا معهم وبدأت بتغليب مصلحتها على مصالح المحكومين[٤].

أما نفوذ البيزنطيين السياسي فلم يكن يشمل عموم بلاد المغرب وإّنما شمل الخط الذي يبدأ من برقة ليشمل طرابلس ومنطقة تونس وبعض مناطق جبال أوراس والمناطق الساحلية لينتهي عند طنجة وسبتة.

أّما في الجنوب فلم يتجاوز أكثر من نصف أفريقية الرومانية وكانت حدودها تنتهي عند تبسة، والمسيلة، وبعض المناطق الأخرى[٥].

وقسم البيزنطيون بلاد المغرب إدارياً إلى سبع ولايات ثلاث منها قنصليات تُدار من قبل حاكم عسكري يحمل لقب قنصل وهي:

- زوجيتانا (زغوان)، وقاعدتها مدينة قرطاجنة.

---

(١) الناضوري: المصدر السابق: ٣٢٧/١و٣٢٨؛ السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص٤٤.

(٢) سالم: المرجع السابق: ١/٢و٢؛ السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص٤٤.

(٣) سالم: المرجع السابق: ٢٦/٢و٢٧؛ جوليان: المرجع السابق: ٣٥٧/١و٣٥٨.

(٤) سالم: المرجع نفسه: ٤١/٢و٤٤.

(٥) مؤنس: المرجع السابق ص١٤و١٥؛ السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص٤٥.

- بيزاسيون (بيساسين)، وتشمل على منطقة المزا ق جنوب تونس.
- ولاية طرابلس[١].

وأربع منها مديريات تُدار من قبل حاكم مدني يحمل لقب مدير وهذه المديريات هي:

- نوميديا، وهي مناطق شرق قسنطينة .
- موريطانيا الأولى، وقاعدتها مدينة أسطيف في الجزائر.
- موريطانيا الثانية،وتُسمى أيضاً بموريطانيا القيصرية، وتشمل مناطق وسط بلاد الجزائر، وقاعدتها مدينة شرشال وكانت أيضاً تضم موريطانيا الطنجية.
- والمديرية الرابعة هي سردينيا[٢].

وقد أمتد نفوذ البيزنطيين في بداية أمرهم إلى أبعد من هذه الحدود عندما دخلت في طاعتهم قبائل من المغرب الضاربين على حدود الصحراء[٣].

وقد أرتبط هذا التقسيم الإداري بنظام عسكري لتأمين الأراضي الواقعة تحت نفوذ البيزنطيين، ولذلك قسموا ما تحت سيطرتهم إلى أربع مناطق عسكرية وهي: طرابلس، وقاعدتها لبدة، وبيساسين، وقاعدتها قفصة، ونوميديا، وقاعدتها قسنطينة، وموريطانيا، وقاعدتها شرشال[٤].

وعلى كل قسم من هذه الأقسام الأربعة دوق أو رئيس مهمته الدفاع عن منطقته ويرتبط بالقائد الأعلى الذي يحكم بلاد المغرب، والذي كان يعتمد على الكثير من المستشارين والأعوان ومقره مدينة قرطاجنة[٥].

وكانت القوات البيزنطية في المغرب تتكون من قوات نظامية وأخرى مرتزقة، وكانت القوات النظامية تتكون من المشاة والفرسان، وأما المرتزقة فكانت واجباتهم تنحسر في الدفاع عن الحدود الجنوبية ويقيمون في حصون وقلاع بنيت في هذه المناطق[٦].

وكان البيزنطيون يعتمدون في الدفاع عن مناطق نفوذهم على سلسلة من التحصينات التي بنيت بناءً على توجيه الإمبراطور جستينيان (٥٢٧-٥٦٦م) وكانت هذه الدفاعات تعد بمثابة الحدود بين المناطق الخاضعة للدولة البيزنطية والمناطق الصحراوية والجبلية الوعرة[٧].

---

(١) مؤنس: المرجع السابق، ص١٥؛ جوليان: المرجع السابق: ٣٦١/١.

(٢) مؤنس: المرجع السابق، ص١٥؛ جوليان: المرجع السابق: ٣٦١/١.

(٣) مؤنس: المرجع السابق، ص١٥.

(٤) سالم: المرجع السابق: ٨١/٢؛ جوليان: المرجع السابق: ٣٦٢/١.

(٥) سالم: المرجع السابق: ٨١/٢؛ جوليان: المرجع السابق: ٣٦٢/١.

(٦) سالم: المرجع السابق: ٨١/٢.

(٧) مؤنس: المرجع السابق، ص١٩؛ جوليان: المرجع السابق: ٣٦٢/١.

ولم تختلف السياسة البيزنطية عن سياسة أسلافهم الرومان والوندال، فالحكام البيزنطيون من مدنيين وعسكريين لم يكن في حسابهم إلاّ استغلال البلاد إلى أقصى درجات الاستغلال عن طريق تشريع الضرائب المختلفة وفرضها على السكان من المزارعين وأصحاب المهن والتجار [١].

وكان هؤلاء الحكام كما يقول جوليان: " ينهبون أرزاق الأهالي من غير حياء وكانوا الإمبراطور يستأثر بجبي الأموال ولا يقبل في ذلك منافساً فكانوا يستنزفون ثرواتهم حتى الإرهاق "[٢].

ويظهر من هذه السياسة أنّ الإمبراطورية البيزنطية أرادت أن تعوض ما فقدته في احتلالها ولذلك فرض جستينيان على حاكم المغرب ما يعوضه عن تلك الخسائر مما دفع الحكام إلى استخدام أساليب مختلفة في جمع الأموال من السكان وشراء الحبوب وغيرها بأبخس الأسعار وإرسالها إلى القسطنطينية. وكان من نتائج هذه السياسة أن ترك المزارعون أراضيهم. كما ضعفت التجارة وقد بدأت هذه المظاهر تظهر في عصر الإمبراطور جستينيان الذي كان يصدر تعليماته إلى عماله بعدم إرهاق الرعية بالضرائب وفي نفس الوقت يحثهم على الاجتهاد في تحصيل الأموال[٣].

وقد وصف كودل هذه السياسة بقوله: " كانت الضرائب هي الغاية الوحيدة التي ترمي إليها الحكومة بل هي علة وجودها وسبب حياتها إذ كان من الضروري توفير الأسباب لحماية البلاد بالجند والحصون ودفع الجعالات لرؤساء الأهالي الذين عجزت الحكومة عن التغلب عليهم، وكان لابد من حراسة البلاد على هذا النحو حتى يتيسر الاحتفاظ بها والاستمرار في جباية الضرائب "[٤].

وبذلك أشترك الحكام والجند في نهب الممتلكات والإغارة على المزارع باسم الإمبراطور[٥].

ولم يحتمل سكان المغرب هذا الأمر طويلاً فبدأت الثورات تظهر في مناطق عديدة من البلاد وتهدد كيان البيزنطيين كله؛ السياسي والعسكري وقام أيابداس بثورة واسعة في جبل أوراس اجتاحت الكثير من مناطق نوميديا[٦].

---

(١) جوليان: المرجع السابق: ٣٦١/١.

(٢) تاريخ أفريقيا الشمالية: ٣٦١/١.

(٣) مؤنس: المرجع السابق، ص١٧.

(٤) المرجع نفسه، ص١٨.

(٥) السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص٤٧.

(٦) سالم: المرجع السابق: ٥٧/٢؛ جوليان: المرجع السابق: ٣٦٧/١.

وقاد كونتزيسنياس ثورة قامت في إقليم بيزاسين شاركت فيها عموم قبائل المنطقة وأنضم إليه أيضاً ثلاثة آخرين من زعماء القبائل، فتمكنوا من إبادة فرقة من فرق الجيش البيزنطي ثم دخلوا في معركة عنيفة مع قوات صولومونحاكم المغرب في مكان يُعرف باسم ممس، غير بعيد عن المكان الذي ستُقام عليه مدينة القيروان انسحب على أثرها الثوار، فأعادوا تنظيم قواتهم وعاودوا الهجوم على إقليم بيزاسين ولم يجد القائد صولومون غير قيادة قواته مرة أخرى فلقيهم قريباً من حدود نوميديا فدارت بين الطرفين معركة شديدة انتهت بانتصار صولومون في سنة ٥٣٥م. وبذلك تمكن من إخماد هذه الثورة(١).

ولسوء سياسة صولومون ومعاملة جنده معاملة العبيد ومماطلته في دفع رواتبهم فقد أضطر هؤلاء الجند على سلب ما يمكن سلبه من غنائم الحرب تعويضاً عن مرتباتهم، وكان لهذا التمرد على صولومون أثره السيئ على مركزه. فقد شارك فيه أيضاً عدد من ضباطه وأقترن ذلك بثورة قام بها السكان نتيجة الضرائب الثقيلة المفروضة عليهم، وكانت هذه الثورة سنة ٥٣٦م وكان صولومون في قرطا جنة يحتفل بعيد الفصح فلم يكن أمامه إلاّ الهرب والالتجاء إلى صقلية، والاستنجاد بالإمبراطور(٢).

ونصب الثوار بعد هزيمة صولومون ضابطاً من بينهم أسمه أستوزاس وأستطاع هذا من تكوين جيش حاصر مدينة قرطا جنة غير أن وصول القائد بلزاريوس إلى قرطا جنة أحبط مخططات الثوار ولم يتمكنوا من الصمود أمامه. وقام بلزاريوس بإلقاء القبض على صولومون وإرساله إلى القسطنطينية للتحقيق معه(٣).

ووقعت في بلاد المغرب أحداث كثيرة وقامت ثورات في عدة مناطق(٤) فرأى جستينيان إعادة صولومون إلى ولاية المغرب للمرة الثانية، وعندما وصل إلىمقر ولايته جهز جيشاً كبيراً للقضاء على الثوار، وكان يقودهم في هذه الفترة زعيم قبيلة لواتة أنطالاس وفي سنة ٥٤٤م وقعت بين الثوار وقوات صولومون معركة عرفت باسم معركة القصرين انتهت بدحر القوات البيزنطية ومقتل صولومون(٥).

ومن الثورات المشهورة على القوات البيزنطية ثورة جار مول التي استمرت خمس عشرة سنة كبدت البيزنطيين الكثير من الخسائر، وقتل فيها ثلاثة من كبارهم وهم تيودور سنة ٥٦٩م، وتيوكتيتوس سنة ٥٧٠م، وامابيليس سنة ٥٧١م. ولم تخف هذه الموجة العاتية من الأضطرابات

---

(١) سالم: المرجع السابق: ٥٧/٢؛ صقر: المرجع السابق، ص٣٩٦؛ جوليان: المرجع السابق: ٣٧٦/١.

(٢) سالم: المرجع السابق: ٥٩/٢؛ جوليان: المرجع السابق: ٣٦٧/١.

(٣) سالم: المرجع السابق: ٥٩/٢.

(٤) المرجع نفسه: ٦٠/٢و ٦١.

(٥) المرجع نفسه: ٦٣/٢؛ صقر: المرجع السابق، ص٣٩٦.

التي سببت في هجرة عدد كبير من السكان إلى أسبانيا إلاّ في سنة ٥٧٨م عندما تمكن اجناديوس من قتل جار مول[١].

ولم يكن لهذه الثورات من نتائج على الأرض المغربية إلاّ تمادي السلطات البيزنطية في سياستها التعسفية ضد السكان. فعندما تولى الإمبراطور موريس الحكم (٥٨٢-٦٠٢م) قام بإعادة تنظيم ولاية المغرب بما يحقق لسلطة الاحتلال المزيد من السيطرة والضغط على السكان فقام بفصل ولاية طرابلس عن أفريقية وضمها إلى مصر وكون من موريطانيا السطيفية وموريطانيا القيصرية ولاية واحدة أطلق عليها أسم ولاية موريطانيا الأولى، وأما موريطانيا الثانية فضمت سبتة وجزر البليار[٢].

وبذلك جعل الإمبراطور بلاد المغرب وكأنها منطقة عسكرية وعين عليها حاكماً عسكرياً يسمى بطريق له من الصلاحيات الواسعة بحيث يشرف الأشراف التام على جميع مرافق الولاية وموظفيها بما فيهم الحاكم المدني للولاية وأقام على الأقسام التي ذكرناها حكاماً عسكريين يحملون لقب دوق وكذلك على المدن الكبيرة، حيث تم تعيين قادة عسكريين لقيادة حامية كل مدينة، فضلاً عن حاكمها[٣]. وتعني هذه الإجراءات تحويل ولاية المغرب من ولاية مدنية إلى ولاية عسكرية، وعلى الرغم من ذلك فقد ظلت الأضطرابات تسود الولاية بين الحين والحين وظلت سياسة البطارقة تقوم على إرهاق السكان بفرض الضرائب.

وقد شهد المغرب في السنوات الأخيرة التي سبقت حروب التحرير الكثير من عوامل الضعف التي أصابت كيان البيزنطيين وسلطانهم، ففضلاً عن سوء الأوضاع الاقتصادية وفرض الضرائب الثقيلة على السكان، كانت الرشوة قد انتشرت في عموم مرافق الدولة وعمت الخلافات المذهبية بين السكان والسلطة الحاكمة مما أدى بهذه السلطة إلى اضطهاد الكثيرين ممن لم يكونوا على مذهب الدولة[٤].

هذه العوامل وغيرها شجعت بعض القادة الطموحين على التمرد والانفصال عن السلطة المركزية في القسطنطينية، ففي سنة ٦٤٦م خلع حاكم المغرب جريجوريوس والمسمى في المصادر العربية باسم جرجير الإمبراطور البيزنطي وأعلن استقلاله في المغرب[٥].كما سنبين ذلك لاحقاً.

---

(١) سالم: المرجع السابق: ٧٠/٢؛ جوليان: المرجع السابق: ٣٧٧/١.

(٢) مؤنس: المرجع السابق، ص٣٢؛ جوليان: المرجع السابق: ٣٧٧/١.

(٣) مؤنس: المرجع السابق، ص٣٢؛ السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص٤٨.

(٤) سالم: المرجع السابق: ٧٣/٢؛ جوليان: المرجع السابق: ٣٧٨/١؛ السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص٤٨. احسان حقي ، المغرب العربي ، دار اليقظة العربية ، ص٣١.

(٥) ينظر: عبد الحميد: المرجع السابق: ٢٢/١.

الفصل الثاني

بدايات حروب التحرير في زمن عمرو بن العاص

١. تحرير مدينة برقة.
٢. تحرير مدينة طرابلس.
٣. إعفاء عمرو بن العاص من ولاية مصر.

بدايات حروب التحرير في زمن عمرو بن العاص

١- تحرير مدينة برقة

بعد إن استكمل عمرو بن العاص سنة ٢١هـ/ ٦٤١م تحرير مصر قرر التوجه نحو الغرب لتحرير برقة وطرابلس وهما مدينتان كانتا قاعدتين لإقليمين واسعين يضم عدداً من المدن والقرى. فقد كانت مدينة برقة قاعدة لإقليم يعرف باسم أنطابلس أو (بنطابلس)[١]، وكانت مدينة طرابلس قاعدة لإقليم يعرف باسم طربليطة[٢] وكانا يتبعان الحاكم البيزنطي في المغرب ويدخلان ضمن اختصاصاته ومناطق نفوذه. حتى زمن الإمبراطور البيزنطي موريق (٥٨٢-٦٠٢م) والذي أصدر مرسوماً بفصل هذين الإقليمين عن ولاية المغرب وإلحاقها بولاية مصر، والظاهر أن ولاة مصر لم يهتموا كثيراً بهذين الإقليمين، ولا فكروا ببسط نفوذهم عليهما فظلت برقة وطرابلس وما يلحق يهما معلقتين بين مناطق نفوذ ولاية المغرب وولاية مصر. وعلى حالة قريبة من الاستقلال في أكثر الأحيان، إن لم تكن في حالة انقطاع تام عن نفوذ الولايتين[٣].

ولم يكن هذا الوضع بالنسبة لهذين الإقليمين مانعاً أمام البيزنطيين للنزول في مدينة برقة، أو مدينة طرابلس إذا ما وجدوا في ذلك ضرورة، لذلك كان أمر تحرير هذين الإقليمين يعد من المهمات الأساسية للقوات العربية بعد تحرير مصر، وذلك لتأمين حدودها من ناحية الغرب[٤].

ويفهم من بعض الروايات أن عقبة بن نافع كان أول من دخل ولاية المغرب، حيث يقول ابن عذاري (ت بعد سنة ٧١٢هـ/١٣١٣م)، بأن عمرو بن العاص وجه عقبة بن نافع إلى لوبيا وافريقية فأفتتحها[٥]. أما ابن أبي دينار فيقول: " ولما فتح عمرو بن العاص مصر بعث عقبة بن نافع إلى برقة وزويلة وما جاوراهما من البلاد فصارت تحت ذمة الإسلام "[٦].

---

(١) أنطابلس أو (بنطابلس): معناها باليونانية المدن الخمس، وهذه المدن هي برقة، وقورنية، وسوسة، وطوكرة، ويرنيق؛ البكري: المغرب، ص٤و٥؛ الأستبصار، ص١٤٣؛ عبد الحميد: المرجع السابق: ٦٣/١.

(٢) طرابليطة: وتعني باليونانية المدن الثلاث وهي مدينة إياس موضع طرابلس الحالية، ولبدة، وصبرت، البكري: المغرب، ص٧؛ الأستبصار، ص١١٠؛ وينظر: عبد الحميد: المرجع السابق: ٦٦/١.

(٣) مؤنس: المرجع السابق، ص٥٠؛ سالم: المرجع السابق: ١٤٣/٢؛ عبد الحميد: المرجع السابق: ١٣٠/١.

(٤) عبد الحميد: المرجع نفسه: ١٣٠/١ سرور ، محمد جمال الدين ، الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية ، بيروت ، دار الفكر ص٦٤ .

(٥) البيان المغرب في إخبار الأندلس والمغرب: ٨/١.

(٦) المؤنس: المصدر السابق، ص٢٦.

ويذهب عبد العزيز سالم إلى القول بأن عمرو لم ينتظر حتى ينتهي من تحرير مصر إنما بادر بإرسال عقبة بن نافع على رأس حملة استطلاعية إلى برقة مستنداً في رأيه هذا إلى ما قاله ابن عذاري وابن أبي دينار [(١)].

بينما يقول مؤنس بأن حملة عقبة بن نافع لم تكن إلا سرية صغيرة قادها للاستطلاع وليس للتحرير كما يفهم من رواية ابن عذاري وابن أبي دينار [(٢)].

وسواء كانت حملة عقبة بن نافع الاستطلاعية قبل استكمال تحرير مصر أو بعدها، فإن مثل هذه الحملات قد أعتمدها القادة العرب قبل أن يقودوا قواتهم إلى الهدف المنشود إذ على أساس هذه الحملات الاستطلاعية تقدر القوات وتوضع الخطط العسكرية.

زحف عمرو بن العاص سنة ٢١هـ/٦٤١م [(٣)] على رأس قوة مكونة من أربعة آلاف مقاتل[(٤)] كلهم من الفرسان[(٥)]، متخذاً الطريق الساحلي من الإسكندرية[(٦)]، وعندما أشرف على مدينة برقة ضرب عليها الحصار ثم تم الاتفاق على الجزية على أن يؤدي أهل برقة ثلاثة عشر آلاف دينار في السنة[(٧)].

وقال ابن عذاري : " دينار على كل حالم "[(٨)] وبهذه الرواية أخذ سعد زغلول[(٩)] وعبد العزيز سالم[(١٠)] ويبدو أن قول ابن عذاري إن الجزية كانت دينار على كل حالم ليس بالرقيق.

---

(١) المغرب الكبير: ١٤٢/٢ وينظر: فيرو ، الحوليات الليبية ، ترجمة محمد عبدالكريم الوافي ، طرابلس ، ص٤٥.

(٢) فتح العرب للمغرب، ص٥٤.

(٣) الطبري: المصدر السابق ١٤٤/٤؛ أبو عمر محمد بن يوسف الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة، تحقيق: حسين نصار، بيروت، ١٩٥٩، ص٩؛ الورثيالاني: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، بيروت، ١٩٧٤، ص٢٢١؛ الناصري: المصدر السابق: ١٢٩/١ وقال ابن الأثير في الكامل: ٢٥/٣ وإسماعيل أبي الفداء: في المختصر في إخبار البشر، بيروت، د.ت: ١٦٤/١ "في سنة ٢٢هـ".

(٤) عبد الواحد ذنون طه: الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقيا والأندلس، بغداد، دار الرشيد ١٩٨٢، ص١١١.

(٥) ابن عبد الحكم: لمصدر السابق ، ص٢٢٩.

(٦) عبد الحميد: المرجع السابق: ١٣١/١.

(٧) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص٢٢٩؛ البلاذري: المصدر السابق، ص٢٢٥؛ ابن الأثير: الكامل ٢٦/٣؛ جمال الدين يوسف الأتابكي ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، القاهرة، ١٩٦٣: ٧٥/١.

(٨) البيان المغرب: ٨/١.

(٩) تاريخ المغرب العربي: ١٣٢/١.

(١٠) تاريخ المغرب الكبير: ١٤٣/٢.

وقد علق البعض على ذلك بالقول " لأن الجزية كانت على المدينة ولم تكن على الرؤوس وكان أهل برقة يؤدونها متضامنين بمقدار ماتم الاتفاق عليه لا يزاد ولا ينقص، ولم يكن الحال بالتخصيص الذي قال به ابن عذاري ، فقد ذكر يحيى بن سعيد أن الجزية نوعان: جزية على رؤوس الرجال، وجزية جملة تكون على أهل القرية يؤخذون بها، فمن هلك من أهل القرية التي عليها جزية جملة ولم يكن له ولد ولا وارث، عادت أرضه إلى قريته في جملة ما على أهلها من الجزية، ومن هلك لمن جزية قريته على رؤوس الرجال ولم يدع وارثاً فأن أرضه للمسلمين والقول آنف الذكر يوضح بدون لبس أحكام الجزيتين وحقوق امتلاك الأرض من عدمه للمتوفين ممن لم يخلفوا ولداً أو وريثاً "[1].

ومن الغريب أن يتضمن هذا الصلح شرطاً على أهل لواتة فقد كتب عمرو بن العاص في الاتفاق الذي تم بين الطرفين أن يبيعوا أبنائهم استيفاء لدفع مبلغ الجزية. فأبن عبد الحكم ينص على أن عمرو بن العاص عندما قدم برقة " صالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار يؤدونها إليه جزية على أن يبيعوا من أحبوا من أبناءهم في جزيتهم "[2].وفي رواية البلاذري: " إن تبيعوا أبناءكم وبناتكم ونساءكم "[3].

وقد أشار إلى هذا الشرط مؤرخون آخرون[4] مما يبدو وكأنه شرط لازم لأهل لواتة إن لم يتمكنوا من أداء الجزية. ولا نعرف الأسباب التي دفعت عمرو بن العاص إلى فرض هذا الشرط على أهل لواتة إذ لم يسبق لقائد من قواد العرب المسلمين أن فرضوه على أهل البلاد المحررة قبل عمرو بن العاص[5]. فالمعروف أن أهل برقة وأطرافها كانوا من قبائل لواتة وهي من أكبر القبائل الموجودة في المنطقة شأناً وأشدها بأساً ومن بطونها قبيلة زواغة ولماية وتمتاز هذه القبائل بالقوة والأنفة وقد سبق أن ذكرنا ثورة زعيمهم أنطالاس على الحكم البيزنطي وتمكنهم من قتل حاكم البلاد البيزنطي صولومون في واقعة القصرين سنة ٥٤٦م. ومن ذلك التاريخ ظلت هذه

---

(١) ناطق صالح مطلوب، ولمياء عز الدين الصباغ: دور ولاة مصر في تحرير بلاد المغرب العربي، مجلة الأنسانيات، جامعة تكريت، م٧، ع٤، ٢٠٠٠، ص١٢٦.

(٢) فتوح مصر والمغرب، ص٢٢٩.

(٣) فتوح البلدان، ص٢٢٧.

(٤) ينظر: أبو عمر خليفة ابن خياط: تاريخ خليفة ابن خياط، تحقيق: أكرم العمري، النجف، ١٩٦٧: ١/١٣٨؛ أبو عبيد ابن سلام: كتاب الأموال، القاهرة، ١٩٧٥، ص٢٤٠؛ قدامة بن جعفر: الخراج وصنعة الكتابة: تحقيق: محمد الزبيدي، بغداد، ١٩٨١، ص٣٤٢؛ ابن زنجويه: كتاب الأموال، تحقيق: شاكر الفياض، الرياض، ١٩٨٦: ٢/٤٤٠؛ البكري: المغرب، ص٥.

(٥) مطلوب، وأخر: المرجع السابق، ص١٢٦.

القبائل على عداء دائم مع البيزنطيين. ولذلك رحبوا بقدوم العرب إلى بلادهم وهذا يفسر مبادرتهم إلى دفع الجزية، وتقديم فروض الطاعة لعمرو بن العاص[1].

والمؤرخون يشيرون إلى أن أهل برقة كانوا من أطوع الناس ومن الأوائل الذين دخلوا في الإسلام[2]. وعلى الرغم من ذلك فقد ظل هذا الشرط قائماً عليهم ولم يتغير حتى زمن الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/٧١٩-٧٢١م) عندما أمر بأبطاله، وطلب من ولاته أعادة اللواتيات إلى ذويهن أو أن يتم خطبتهن وفق الشرع من أهلهن[3].

وقد حاول الباحثون تبرير الشرط الذي وضعه عمرو بن العاص بآراء مختلفة منها:

١-خوف عمرو بن العاص من عدم وفاء أهل لواتة بمبلغ الجزية وذلك بسبب سوء أوضاعهم الاقتصادية[4].

٢-وقيل أن اللواتيين هم الذين شرطوا على عمرو بن العاص هذا الشرط وما كان أمامه إلا القبول به فقد كان بيع الأولاد أمراً عادياً متبعاً في ذلك الزمان، فقد كان أهل كورسيكا يبيعون أبناءهم لدفع الضرائب للحكومة البيزنطية، وكان بعض الملاك يبيعون أراضيهم ليتمكنوا من دفع ما في ذمتهم من أموال للدولة، وبذلك يظهر أن بيع الأبناء لدفع الضرائب كان من الأمور الشائعة عند بعض قبائل المغرب في زمن البيزنطيين[5].

٣-وذهب البعض أن الأبناء هم نوع من العبيد أو المماليك جرياً على ما فرضه عقبة بن نافع عند إخضاعه المناطق الصحراوية الجنوبية في ولاية معاوية بن أبي حديج[6] كما سيأتي بيانه في الفصول اللاحقة.

٤-ويرى سعد زغلول أن هذا الشرط يحقق ثلاث مزايا إيجابية.

"أولها: ديني، بتنشئتهم على العقيدة الإسلامية ونشر الدين. عمل من أعمال البر والتقوى، وثانيها: اجتماعي، بتعريبهم عن طريق تعليمهم اللغة العربية، وتربيتهم على العادات والتقاليد العربية ثم التزاوج معهم، ونشر العروبة كان رسالة العرب. وثالثها: سياسي، وهو نتيجة طبيعية لسابقيه، بتوثيق أواصر الصلة بين العرب والبربر، وفي ذلك توحيد وتقوية لدولة العرب "[7].

---

(١) سالم: المرجع السابق: ١٤٣/٢.

(٢) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص٢٣٠؛ البلاذري: المصدر السابق، ص٢٢٦؛ قدامة بن جعفر: المصدر السابق، ص٣٤٢.

(٣) ابن زنجويه: المصدر السابق: ٤٤٠/٢.

(٤) عبد الحميد: المرجع السابق: ١٣٢/١.

(٥) مؤنس: المرجع السابق، ص٥٦.

(٦) وهو رأي الأستاذ عبد الهادي شعيرة والذي نقله عنه سعد زغلول في كتاب تاريخ المغرب العربي: ٣٣/١.

(٧) تاريخ المغرب العربي: ١٣٢/١و١٣٣.

وصحيح أن بعض الفقهاء قد جوّز بيع العبيد والولائد وغير ذلك من الأملاك في أداء الجزية فقد ذكر ابن عبد الحكم: " أن ما باع القبط في جزيتهم وما يؤخذون به من الحق الذي عليهم من عبد، أو وليده، أو بعير، أو بقرة، أو دابة، فأن ذلك جائز عليهم لمن أبتاعه منهم غير مردود إليهم إن أيسروا "[١].

لكن ذلك لم يبرر الشرط الذي وضعه عمرو بن العاص، لأن أبناء وبنات قبائل لواتة لم يكونا من العبيد، ولم يذكر أحد ذلك.

والراجح من القول أن الصلح الذي أبرمه عمرو بن العاص مع أهل برقة في سنة ٢١هـ/٦٤١م لم يتضمن الشرط المذكور آنفاً وإنّما كان اتفاقا على مبلغ من المال يؤدونه في كل سنة آخذاً بنظر الاعتبار قدرتهم على الدفع ومن دون إرهاق، وقد روي عن عمرو بن العاص أّنه قال لأهل برقة: " عهد يوفى لهم به " وهذا دليل على التخفيف ووصية خير بهم، وقد ظل أهل برقة من أطوع الناس، ملتزمين بما عاهدوا عليه عمرو بن العاص. وبمقتل الخليفة عثمان بن عفان (رض) سنة ٣٥هـ/ ٦٥٥م واضطراب أمر المسلمين وانشغال الولاة عن أمر المغرب، أنقلب أهل لواتة على الصلح ونكثوا العهد مستغلين تلك الظروف، وظلوا على ذلك إلى أن وصل عمرو بن العاص إلى مصر في ولايته الثانية فبدأ في سنة ٤٠هـ/ ٦٦٠م بإرسال عدة حملات لإخضاع قبائل لواتة وإعادتها إلى الطاعة وكان أخرها حملة عقبة بن نافع الذي تمكن بعد قتال من إخضاع هذه القبائل[٢]. فسألوه الصلح والمعاهدة وقد وافق عقبة بن نافع على ذلك بعد تمنع وقال لهم: "إن شئنا أقررناكم وإن شئنا بعناكم "[٣]. ومن هنا يمكن القول أن الشرط الذي فرض على قبائل لواتة " ببيع أبنائهم وبناتهم في جزيتهم ". كان بعد نقضهم للعهد وخروجهم عن الطاعة ولم يكن أمام أهل برقة إلاّ القبول به دفعاً لسبة السبي.

وفي التاريخ أمثلة على ذلك منها نقض أهل تستر للصلح الذي كان بينهم وبين المسلمين فقوتلوا وسبوا، ولكن الخليفة عمر بن الخطاب (رض) أعادهم إلى ما صالحهم عليه بعد أن عادوا للطاعة[٤].

٢- تحرير مدينة طرابلس:

وبعد أن اطمأن عمرو بن العاص على أحوال مدينة برقة واصل زحفه باتجاه الغرب إلى مدينة طرابلس وفي الوقت نفسه أرسل عقبة بن نافع على رأس قوة توغلت جنوباً[٥]، وذلك

---

(١) فتوح مصر والمغرب، ص٢٠٨.

(٢) سيأتي تفصيل ذلك في ولاية عمرو بن العاص الثانية على مصر.

(٣) الكندي: المصدر السابق، ص٣٢؛ مطلوب، وآخر: المرجع السابق، ص١٢٨.

(٤) المرجع نفسه، ص١٢٨.

(٥) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص٢٣٠؛ البكري: المغرب، ص١٠.

لتأمين خطوط مواصلات قواته الزاحفة على الطريق الساحلي، ولمنع القبائل الساكنة في تلك المناطق من القيام بأي فعل مضاد من شأنه أن يعرقل تقدم القوات نحو طرابلس. وبذلك سارت العمليات العسكرية متزامنة مع بعضها البعض[١] ففي حين تمكن عقبة بن نافع من تحرير زويلة وفزان ودخول بعض المناطق الأخرى في الجنوب كان عمرو بن العاص قد بدأ بتحرير المدن الساحلية مما يلي برقة غرباً فدخل مدينة أجدابية صلحاً بدون قتال وأتفق معهم على أداء خمسة آلاف دينار[٢]. ثم واصل سيره على الطريق الساحلي فدخل مدينة سرت[٣] ومدينة لبدة[٤] والظاهر أن هذهالمدن الثلاث كانت مدناً صغيرة وليس لها شأن يذكر إذ لم يجد عمرو بن العاص أية مقاومة من قبل سكانها أو من قبل سكان المنطقة المحيطة بها. وواصل زحفه حتى أشرف على مدينة طرابلس وكانت مدينة محصنة تحصيناً جيداً تحيط بها أسوار منيعة من جهاتها الثلاث عدا الجهة الشمالية المواجهة للبحر المتوسط[٥] فعسكر عمرو بن العاص في الشرق منها وفي مكان مرتفع يشرف على المدينة كلها[٦]، والرواة يذكرون بأن مدينة طرابلس كانت خلال هذه المدة تحت سيطرة جرجير حاكم المغرب من قبل البيزنطيين والذي خلع طاعة الإمبراطور وحكم البلاد باسمه كما سبق وأن ذكرنا. فهم عندما يحددون مناطق نفوذه يكاد يجمعون على القول أن سلطانه كان من طرابلس إلى طنجة[٧]. ولكن واقع الحال يشير إلى عكس ذلك فقد كانت طرابلس مثل مدينة برقة تتمتع بنوع من الاستقلال عن حكم البيزنطيين وهي بصلتها إلى ولاية مصر أقرب منه إلى البيزنطيين في بلاد المغرب وعلى هذا الأساس ينتهي مؤنس بالقول: " فلو كانت طرابلس داخلة في حكم جرجير لأسرع للدفاع عنها أو لبعث على الأقل جنوداً من لدنه لرد العرب عن غزوها ولكنه لم يفعل "[٨].

---

(١) مؤنس: المرجع السابق، ص٥٨.

(٢) الحموي: المصدر السابق، ١٠٠/٤.

(٣) سرت: مدينة كبيرة قديمة على ساحل البحر (في ليبيا حالياً) وأهلها غير محمودين في البيع والشراء ولهم في ذلك أساليب مشهورة. البكري المغرب، ص١٥؛ الحموي: معجم البلدان، ٦٨/٣؛ الأستبصار: ١٠٩.

(٤) لبدة: وهي مدينة قريبة من مدينة طرابلس فيها حصن من بناء الأوائل ومعظم سكانها من العرب. البكري: المغرب، ص٩.

(٥) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص٢٣، البكري: المغرب، ص٧؛ ابن الأثير: الكامل: ٢٠٥/٣، الأستبصار، ص١١٠؛ وينظر: الطاهر أحمد الزاوي: تاريخ الفتح العربي في ليبيا، القاهرة، ١٩٦٣، ص٤٩.

(٦) ابن عبد الحكم: المصدر نفسه، ص٢٣١؛ البكري: المغرب ص٨.

(٧) سيأتي ذكره في واقعة سبيطلة.

(٨) فتح العرب للمغرب، ص٦٠.

ويبدو من سير العمليات العسكرية أن المدينة كانت خالية من القوات العسكرية بل أن مؤنساً يذهب إلى القول بأن أهلها كانوا من التجار ولم يكن فيها حامية عسكرية بيزنطية[١].

ولم يكن أمام سكان المدينة سوى إغلاق أبواب أسوارها والتحصن في داخلها، وأما عمرو بن العاص فقد ضرب الحصار عليها، وطال حصارها فقيل شهراً،وقيل أشهراً[٢] من دون أن يحقق أي نتيجة باتجاه تحرير المدينة ويكاد المؤرخون يتفقون على رواية مفادها: "فحاصرها شهراً، لا يقدر منهم على شيء، فخرج رجل من بني مدلج ذات يوم من عسكر عمرو متصيداً في سبعة نفر، فمضوا غربي المدينة حتى أمعنوا عن العسكر، ثم رجعوا فأصابهم الحر، فأخذوا على ضفة البحر، وكان البحر لاصقاً بسور المدينة، ولم يكن فيما بين المدينة والبحر سور، وكانت سفن الروم شارعة في مرساها إلى بيوتهم. فنظر المدلجي وأصحابه، فإذا البحر قد غاض من ناحية المدينة، ووجدوا مسلكاً إليها من الموضع الذي غاض منه البحر، فدخلوا منه حتى أتوا من ناحية الكنيسة، وكبروا، فلم يكن للروم مفزع إلاّ سفنهم؛ وأبصر عمرو وأصحابه الثلة في جوف المدينة، فأقبل بجيشه حتى دخل عليهم، فلم تفلت الروم إلاّ بما خفّ لهم في مراكبهم، وغنم عمرو ما كان في المدينة"[٣]. ويرى مؤنس عند عرضه لهذه الرواية أن الأمر قد أختلط على المؤرخين فالرواية المذكورة تشبه إلى حد كبير رواية تحرير العرب لحصن بابليون وذلك عندما صعد الزبير بن العوام على السلم الذي وضعه إلى جانب الحصن وأمر المقاتلين إذا سمعوا تكبيره أن يكبروا جميعاً فما شعروا إلاّ والزبير على الحصن يكبر فأجابه المسلمون من الخارج فلم يشك أهل الحصن أن القوات العربية قد اقتحمت الحصن فهربوا، وعندها قام الزبير وبعض المقاتلين بالعمل على فتح باب الحصن وفي كلا الحالين أستطاع نفر من المقاتلين – الزبير أو المدلجي وأصحابه – أن يدخلوا داخل المدينة ويكبروا مما أدى إلى هرب المدافعين عنها، ثم يقول: إن كلتا الروايتين عن الليث بن سعد وتأريخهما متقاربان في سنة ٢٠هـ و٢٢هـ ومصدرهما ابن عبد الحكم ولما كان ابن عبد الحكم قد كتب تأريخه بعد انقضاء أكثر من قرنين من الزمن، فهو لا يستبعد اختلاط الأمر على بعض الرواة فوصفوا في ثانيهما ما وقع في الأول[٤]. ويخلص في القول: "يغلب على الظن أن تلك هي الحقيقة ومصداق ذلك أن كثيراً من المصادر لا تكاد تشير إلى تكبير المدلجي وأصحابه وهم في داخل المدينة وأن ما تذكره أن

---

(١) فتح العرب للمغرب، ص٦١.

(٢) ينظر: ابن عبد الحكم، ص٢٣٠؛ البكري: المغرب؛ ص٨؛ ابن الأثير: الكامل: ٢٥/٣؛ التجاني: المصدر السابق: ص٢٣٩.

(٣) ابن عبد الحكم ص ٢٣٠ ، وينظر: البكري: المغرب، ص٧؛ ابن الأثير: الكامل، ٢٥/٣.

(٤) فتح العرب للمغرب ، ص٦٢ ؛ وينظر عن حصار حصن بابليون: ابن عبد الحكم: المصدر السابق ، ص٢٩٤.

الفتح كان بسيطاً أي أن عمراً قوتل حتى أفتتحها عنوة، والمعقول جداً أن تكون قصة التكبير قد حدثت في فتح حصن بابليون لا حصن طرابلس "[١].

وخالف عبد العزيز سالم رأي مؤنس هذا بقوله: " ولا نستبعد على الإطلاق ما رواه ابن عبد الحكم من قيام المسلمين بالتكبير، فعادة التكبير من العادات المتأصلة عند المسلمين في أوقات القتال والحرب، والأمثلة كثيرة على ذلك، فقد كبر المسلمون عندما ارتقوا الباب الشرقي من دمشق، ودخلوها عنوة، كذلك كبر أبو محجن الثقفي في القادسية، وكبر المسلمون في نهاوند، وكبروا أيضاً عند فتح حصن بابليون، وكبر المسلمون في موقعة سبيطلة، وكبر المسلمون كذلك عند فتح قرطبة، ولاشك أن عمرو بن العاص عندما أدرك أصحابه بداخل المدينة أشتبك مع حامية المدينة وتغلب عليها فليس في قتال عمرو تعارض مع قصة فتح طرابلس وفقاً لرواية أبن عبد الحكم "[٢].

وأما قول مؤنس أن رواية التكبير: " لاذكر لها في معالم الأيمان للدباغ، أو الخلاصة النقية للباجي، ولا يشير إليها الطبري، ونفر آخر من المؤرخين "[٣]. فليس دليلاً على بطلان ما ذهب إليه أبن عبد الحكم وابن الأثير وهما من أوثق المؤرخين في تحقيق أخبار المغرب العربي، وليس بالضرورة أن نجد إجماعاً لدى المؤرخين أو اتفاقا على حادثة من الحوادث فقد نجد في مصدر تفصيلات وافية، وفي أخرى روايات مختصرة وقد تصل إلى حد الإخلال بالمعلومات التاريخية المطلوب معرفتها.

---

(١) مؤنس: المرجع السابق، ص٦٢-٦٣.

(٢) المغرب الكبير: ١٤٨/٢ ، وينظر: فيرو ، المرجع السابق ص٤٥.

(٣) فتح العرب للمغرب، ص٦٢.

ومع أن قول مؤنس محتمل كما يقول سعد زغلول(١)، إلاّ أنّ فيما أضافه التجاني لرواية ابن عبد الحكم ما يمكن أن يفسر الحقيقة فقد ذكر التجاني أن المدلجي وأصحابه عندما شاهدوا البحر ينحسر من جهة المدينة بفعل الجزر مما يكون مسلكاً يمكن سلكه إلى داخل المدينة فأرسلوا إلى جماعة انضمت إليهم واقتحموها من هذا المسلك وهذا يعني أن هذه الجماعة الصغيرة كانت السبب في اقتحامها، وهكذا يفسر سعد زغلول خروج المدلجي وأصحابه على أنهم كانوا من طلائع الاستكشاف والاستطلاع، ولم يكونوا متصيدين أو متنزهين، وعندما وجدوا الثغرة أخبروا عمرو بن العاص بذلك ففاجأوا أهل طرابلس بدخولها على حين غفلة(٢). وبهذا الأسلوب تم تحرير مدينة طرابلس في سنة ٢٢هـ/٦٤٢م على أصح الأقوال(٣). وقيل في سنة ٢٣هـ/٦٤٣م(٤) وكانت الحملة في شهر رمضان. فقد ذكر ابن عبد الحكم عن الحارث بن يزيد أنه سمع أبا تميم الجيشاني يقول: " غزونا مع عمرو بن العاص غزوة طرابلس، فجمعنا المجلس ومعنا فيه هبيب بن مغفل، فذكرنا قضاء دين رمضان، فقال هبيب بن مغفل لا يفرّق، وقال عمرو بن العاص، لا بأس أن يفرّق إذا أحصيت العدد "(٥).

وعندما دخل عمرو بن العاص المدينة وجد فيها أحمالاً كثيرة من الزيتون فباعه وقسّم ثمنه بين المقاتلين(٦).

---

(١) تاريخ المغرب العربي: ١٣٨/١.

(٢) المرجع نفسه: ١٣٨/١.

(٣) ابن خياط: المصدر السابق: ١٢٥/١؛ البلاذري: المصدر السابق، ص٢٢٧؛ الكندي: المصدر السابق، ص٣٣؛ ابن الأثير: الكامل: ٢٥/٣؛ شمس الدين الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، تحقيق: د.عمر عبد السلام تدمري، ط١، بيروت، ١٩٨٧: ٢٤٢/٢؛ العبر في خبر من غبر، ط الكويت: ٢٦/١؛ ابن تغري بردي: المصدر السابق: ٧٦/١؛ الناصري: المصدر السابق: ٨٥/١؛ أحمد النائب: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، طرابلس ، ليبيا ص٢٢.

(٤) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص٢٣٠؛ ابن عذاري : المصدر السابق: ٨/١؛ ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص٢٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: محمد أسعد أطلس، دار المعارف، مصر، ج٣؛ التجاني: المصدر السابق، ص٢٣٩؛ ابن الشماع: المصدر السابق، ص٣٩-٤٠.

(٥) فتوح مصر والمغرب، ص٢٣١.

(٦) البلاذري: المصدر السابق، ص٢٢٥.

وكان عمرو بن العاص قد أرسل بر بن أبي أرطأة[١] على رأس سرية من الفرسان توجهت ناحية الجنوب إلى جبل نفوسة[٢] ومنطقة ودان لمنع سكان هذه المناطق من أنجاد مدينة طرابلس خلال محاصرة عمرو بن العاص لها، إذ تشير بعض المصادر أن أهل طرابلس استغاثوا ببعض القبائل في هذه المناطق لما كان بينهم من العلاقات خاصة وأن قبائل نفوسة كانوا على الديانة النصرانية ولهم علاقات وثيقة مع أهل طرابلس[٣].

وقد تمكن بسر بن أبي أرطأة من فرض سيطرته على جبل نفوسة والمناطق المجاورة له ومنع أي مساعدة قد تصل إلى مدينة طرابلس[٤]، وفي الوقت نفسه كانت أهدافها لا تختلف عن أهداف الحملة التي قادها عقبة بن نافع في صحراوات برقة وزويلة، وذلك لتأمين القوات العاملة في المناطق الساحلية[٥].

ولكن فورنل يشك في صحة الحملة التي قادها بسر بن أبي أرطأة فقد نقل عنه حسين مؤنس بأن بسراً لم يكن في سن تأهله للقيادة فقد كان عمره يتراوح بين ثلاث عشرة سنة وأربع عشرة سنة، معتمداً في ذلك على ما ذكره البلاذري من تاريخ ولادته[٦]. وقد فند مؤنس هذا الرأي باعتبار أن البلاذري قد أخطأ في السنة التي ولد فيها بسر بن أبي أرطأة، أو قد يكون بسر مرافقاً لهذه الحملة ولم يكن على رأسها، وقد رجح الرأي الأول بإجماع أكثر المؤرخين على قيادة بسر لهذه الحملة فضلاً عن اشتراكه في تحرير مصر قبل هذا التاريخ[٧].

وتجمع معظم المصادر التاريخية على أن عمرو بن العاص سارع بعد تحرير مدينة طرابلس بإرسال قوة من الفرسان تحركت على عجل بهدف تحرير مدينة صبرة[٨].

---

(١) شهد فتح مصر واختط بها وشهد مع معاوية بن أبي سفيان حرب صفين، وقيل له صحبة ولم تحمد سيرته فيما تولى من ولايات معاوية بن أبي سفيان، توفي في سنة ٨٦ هـ؛ ابن يونس: المصدر السابق، ق١ ص٦٢؛ ابن عساكر: المصدر السابق ، ١٠/١٤٤.

(٢) جبل نفوسه: وطوله من المشرق الى المغرب ستة ايام وفيه مدن كثيرة عامرة ، وكان اهله من النصارى. البكري :المغرب ، ص٩ ، الاستبصار : ص١٤٤.

(٣) ابن عذاري : المصدر السابق: ١/٨؛ ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص٢٦؛ التجاني: المصدر السابق، ص٢٣٩.

(٤) اليعقوبي: المصدر السابق: ٢/١٥٦؛ أبن أبي دينار: المصدر نفسه، ص٣٦.

(٥) السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص٥٤.

(٦) فتح العرب للمغرب، ص٦٥-٦٦.

(٧) المرجع نفسه، ص٦٦.

(٨) صبرة: وهي مدينة عامرة مما يلي طرابلس تسكنها جماعة من قبائل نفوسة وكانت تعرف بالسوق القديم ؛ ابن عبد الحكم: ص٢٣١؛ البكري: المغرب، ص١٧؛ ابن خلدون: العبر، ٦/٢٣٠.

وكان سكانها قد تحصنوا في مدينتهم عند وصول أخبار نزول عمرو بن العاص على مدينة طرابلس[١]، وعندما امتنعت عليه المدينة مدة، ولم يتمكن من دخولها، أمن أهل صبرة واطمأنوا معتمدين على حصانة مدينة طرابلس ففتحوا أبواب مدينتهم للرعي، ولمزاولة أعمالهم اليومية الأخرى، وبذلك استبقت القوات التي أرسلت لتحرير هذه المدينة الخبر، وصبحت مدينة صبرة فدخلتها من دون جهد كبير[٢].

ويذكر التجاني في رحلته أن عبد الله بن الزبير كان قائداً للقوة التي حررت مدينة صبرة[٣]. وهو قول بعيد عن الحقيقة[٤].

لم يتم تحرير إقليم طرابلس كله بسقوط مدينة صبرة فهناك من المناطق ومدن الأقليم الكبرى مثل جزيرة جربة[٥]، وعدد من المسالح والحصون مثل جرجس وحصن جيجتي، ومدينة قابس[٦]، وغيرها من المدن الأخرى[٧].

ولما كانت حروب التحرير العربية تسير وفق خطة مركزية متفق عليها ومخطط لها منذ البداية[٨] فقد أستأذن عمرو بن العاص الخليفة عمر بن الخطاب (رض) بالتوغل ناحية المغرب لتحرير ما يمكن تحريره من المدن ممايلي مدينة صبرة، وفي الوقت نفسه يعلمه بطبيعة البلاد وما هي عليه من تعدد الزعامات فيها وكثرة رجالهم، فأبن عبد الحكم يقول: إن عمرو بن العاص كتب إلى الخليفة رسالة يقول فيها: " إنّ الله قد فتح علينا طرابلس وليس بينها وبين أفريقية إلاّ تسعة أيام، فأن رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل "[٩].

---

(١) ابن عبد الحكم: المصدر نفسه ، ص٢٣١.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٣١؛ ابن الأثير: الكامل: ٢٦/٣؛ النائب: المرجع السابق، ص٢٢.

(٣) التجاني: المصدر السابق، ص٢٣٩-٢٤٠؛ وينظر: مؤنس: المرجع السابق، ص٦٤.

(٤) المرجع نفسه، ص٦٤.

(٥) جزيرة جربة: وهي جزيرة عامرة تقع في البحر المتوسط قبالة قابس من بلاد الجريد، تسكنها قبائل من المغرب ومنها يستخرج الذهب وأهلها يتميزون بالشر والغدر؛ البكري: المغرب، ص٨٥.

(٦) قابس: وهي من بلاد الجريد بينها وبين طرابلس مسيرة ثمانية أيام وفيها حصن وأرباض واسعة ويحيط بها خندق يجري فيه الماء إذا ما أحسوا بالخطر وبينها وبين البحر نحو ثلاثة أميال؛ البكري: المغرب، ص١٧؛ الأستبصار، ص١١٢.

(٧) مؤنس: المرجع السابق، ص٦٦؛ سالم: المرجع السابق: ١٤٩/٢.

(٨) السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص٥٤.

(٩) فتوح مصر والمغرب، ص٢٣١؛ وينظر: البلاذري: المصدر السابق، ص٢٢٧؛ قدامة بن جعفر: المصدر السابق، ص٣٤٢.

ويقول أبن عذاري وكتب عمرو بن العاص إلى الخليفة عمر بن الخطاب (رض): " يخبره بما أفاء الله عليه من النصر والفتح وأن ليس أمامه إلاّ بلاد أفريقية وملوكها كثير وأهلها في عدد عظيم وأكثر ركوبهم الخيل "[١].

وقيل أن الخليفة عمر بن الخطاب (رض) رد على عمرو بن العاص بكتاب قال فيه: " لا إنها ليست بأفريقية، ولكنها المفرقة غادرة مغدور بها، لا يغزوها أحد ما بقيت "[٢].

وقيل أنه كتب لعمرو بن العاص: " أفريقية المفرقة – ثلاث مرات – لا أوجه إليها أحداً ما مقلت عيني الماء "[٣]. وفي رواية لأبي العرب التميمي (ت٣٣٣هـ/٩٤٤ م): " لاأغزيها أحداً من المسلمين ما حملت عيني الماء "[٤]. وقيل أنه قال له في رسالته: " لا تقربها فأنها باب من أبواب جهنم "[٥].

وقال البكري: إن الخليفة عمر بن الخطاب (رض) كتب إلى عمرو بن العاص يأمره بقوله: " إذا ورد إليك كتابي هذا فأطوِ دواوينك، وردّ عليّ جندي، ولا تدخل أفريقية في شيء من عهدي فأني سمعت رسول الله (ص) يقول: أفريقية لأهلها غير مجمعة، ماؤها قاسٍ لا يشربه أحدٌ من المسلمين إلاّ اختلفت قلوبهم "[٦].

وقال البلاذري: إن الخليفة عمر بن الخطاب (رض): " كتب إليه ينهاه عنها ويقول ماهي بأفريقية ولكنها مفرقة غادرة مغدور بها. وذلك لأنّ أهلها كانوا يؤدون إلى ملك الروم شيئاً فكانوا يغدرون به كثيراً "[٧].

والأكثر من هذا فقد بالغت الروايات ونسبت إلى الرسول (ص) أحاديث في ذم أفريقية وأهلها، فقد روي عن الخليفة عثمان بن عفان (رض) عن الرسول (ص) أنه قال: "الخبث سبعون جزءاً فجزء في الجن والأنس وتسع وستون في البربر " رواه الطبراني[٨] وغيره[٩].

---

(١) البيان المغرب، ٨/١.

(٢) ابن عبد الحكم: المصدر السابق،ص٢٣٢؛ وينظر البلاذري: المصدر السابق، ص٢٢٧.

(٣) ابن عبد الحكم: المصدر السابق ، ص٢٣٢.

(٤) أبو العرب: المصدر السابق ص٦٦.

(٥) أبو العرب: المصدر نفسه، ص٧٢.

(٦) معجم ما أستعجم: ١٧٦/١.

(٧) فتوح البلدان، ص٢٢٦.

(٨) المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله، القاهرة، ١٤١٥هـ: ٢٩٢/٨.

(٩) علي بن بكر الهيثمي: مجمع الزوائد، القاهرة، بيروت، ١٤٠٧هـ: ٢٣٤/٤.

وقالوا: "وحدة الخلق عشرة أجزاء تسعة في البربر وجزء في سائر الخلق"[١]. ووصفهم البعض بالجفاء والغدر وأنهم كالأعراب في القسوة والغلظة[٢]. إلى غير ذلك من المثالب التي نسبت إليهم.

ولاشك في أن ما نسب إلى الخليفة عمر بن الخطاب (رض) من قول لا أساس له من الصحة كما أن الأحاديث المذكورة في ذم سكان المغرب وبلادهم موضوعة، وقد قابل المغاربة هذه الأقوال في بلادهم، بوضع أحاديث في مدح بلادهم وفضل الجهاد والمرابطة فيها وهي أيضاً أحاديث موضوعة أستجازوها باعتبارها أحاديث فضائل[٣].

ويمكن القول أن الخليفة عمر بن الخطاب (رض) لم يسمح لعمرو بن العاص بالتقدم غرباً أكثر من مدينة صبرة لأن مصر لازالت حديثة العهد بالإسلام، وأن التوغل في بلاد المغرب يحتاج إلى قاعدة أمينة، والى إمدادات كبيرة من الجيوش وكل ذلك لم يتيسر في هذه الفترة لعمرو بن العاص، كما أن إخبار عمرو بن العاص الخليفة عمر بن الخطاب (رض) بطبيعة البلاد وسكانها فيما يلي إقليم طرابلس: " وملوكها كثير وأهلها في عدد عظيم وأكثر ركوبهم الخيل ". دفعت دار الخلافة إلى التريث وتأجيل التقدم فيما وراء إقليم طرابلس[٤].

بينما يجعل عبد الحميد الأوضاع الداخلية في ولاية مصر سبباً في عودة عمرو بن العاص، والاكتفاء بما حققه من حروب التحرير فقد وردت أخبار إلى عمرو بن العاص عن طريق المقوقس يذكر له: أنّ الروم يريدون نكث العهد ولذلك أنصرف عائداً إلى مصر. ومع أنه يمكن الشك في هذه الرواية من حيث الشكل كما يقول عبد الحميد لأن المقوقس كان قد توفي في سنة ٢١هـ/ ٦٤١م إلاّ أنّ الرواية صحيحة من حيث الموضوع ولقد كان تمرد أهل الإسكندرية في سنة ٢٥هـ/٦٤٥م دليلاً على صحة هذه الرواية[٥].

وقيل أيضاً أن الخليفة عمر بن الخطاب (رض) كان يخشى طموح عمرو بن العاص في بلاد بعيدة كبلاد المغرب، لذلك أمره بالعودة وعدم التوغل في العمق أكثر مما تقدم[٦].

---

(١) عبد الله بن محمد الأصبهاني: كتاب العظمة، تحقيق: رضاء الله بن محمد، الرياض، ١٤٠٨هـ؛ ١٦٣٧/٥.

(٢) المقدسي: المصدر السابق: ٦٨/٤؛ أحمد بن محمد الفيومي: المصباح المنير، المكتبة العربية، بيروت؛ ب ت: ٤٤/١.

(٣) أبو العرب: المصدر السابق، ص ٤٤-٦٤؛ السراج: المصدر السابق، ج١، ق١، ص٢٣٦-٢٤٤؛ ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص٢٠.

(٤) السامرائي، وآخرون: المرجع السابق، ص٥٤و٥٥.

(٥) تاريخ المغرب العربي: ١٤٣/١و١٤٤.

(٦) نفسه: ١٤٣/١.

ومهما يكن من الأمر فأن حصانة المناطق بعد مدينة صبرة اضطرت عمرو بن العاص للعودة إلى مصر،ولو وجد عمرو التقدم ميسوراً لتقدم في غير عناء، ومن دون أن يستأذن الخليفة عمر بن الخطاب (رض) [١]. ويمكن أن نفهم من هذا إن البلاد بعد مدينة صبرة كانت محل عناية جرجير حاكم المغرب حيث أعتنى بتحصين المدن وشحنها بالرجال وكان من بين هذه المدن التي أهتم بتحصينها مدينة قابس والتي تعد البوابة إلى مناطق نفوذه فلذلك نجد عبد الله بن سعد بن أبي سرح يتفاداها في حملته المشهورة على سبيطلة ولم يعرض لها[٢].

وهكذا عاد عمرو بن العاص إلى مصر بعد أن خلف في برقة حامية عسكرية على رأسها عقبة بن نافع الفهري[٣]. والتي أصبحت ابتداء من هذا التاريخ قاعدة للقوات العربية منها تنطلق نحو المغرب العربي، وظل عقبة في برقة يرسل السرايا تجوب ولاية أفريقية وتعود بالغنائم والأسلاب[٤]. وليس هذا فقط فأن أهمية هذه السرايا تكمن في المعلومات الأستخبارية عن أحوال البلاد السياسية وتحركات القوات البيزنطية[٥].

٣- إعفاء عمرو بن العاص من ولاية مصر.

وفي سنة ٢٣هـ/٦٤٣م توفي الخليفة عمر بن الخطاب (رض) وتولى الخلافة من بعده عثمان بن عفان (رض) قال ابن عبد الحكم: توفي الخليفة عمر بن الخطاب (رض)" وعلى مصر أميران عمرو بن العاص بأسفل الأرض وعبد الله بن سعد بن أبي سرح على الصعيد "[٦]. فلما أستخلف عثمان (رض) طمع عمرو بن العاص بولاية مصر كلها وطلب من الخليفة عثمان بن عفان (رض) أن يعزل عبد الله بن سعد عن ولاية الصعيد فوفد إليه في المدينة وكلمه في ذلك فرفض الخليفة مطلبه وقال له: " ولاه عمر بن الخطاب الصعيد وليس بينه وبينه حرمة ولا خاصة وقد علمت انه أخي من الرضاعة فكيف أعزله عمّا ولاّه غيري "[٧].

---

(١) مؤنس، المرجع السابق، ص٦٧.

(٢) مؤنس: المرجع السابق، ص٦٧.

(٣) شهاب الدين أحمد النويري: نهاية الأرب، تحقيق: حسين نصار، القاهرة، ١٩٨٣: ٩/٢٤؛ وينظر: عبد الحميد: ١٥٢/١.

(٤) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص٢٤٦؛ البلاذري: المصدر السابق، ص٢٢٧؛ أبو العرب: المصدر السابق، ص٥٦.

(٥) مطلوب: المرجع السابق، ص١٣١.

(٦) فتوح مصر والمغرب، ص٢٣٣.

(٧) المصدر نفسه، ص٢٣٣؛ الكندي: المصدر السابق، ص٣٤.

فطلب عمرو بن العاص الاستعفاء من الولاية فأعفاه الخليفة عثمان بن عفان (رض) وعين مكانه عبد الله بن سعد بن أبي سرح. وبعد تمرد أهل الإسكندرية وخروجهم عن الطاعة في سنة ٢٥هـ/٦٤٥م أرسل الخليفة عثمان بن عفان (رض) إلى عمرو بن العاص ليتولى القيادة في إخماد هذا التمرد وقد تمكن عمرو بن العاص من القضاء على المتمردين وإعادة المدينة إلى الطاعة. وقتل المقاتلة وسبى الكثير من أهلها[١].

ويبدو أن السبي قد أصاب قوماً من بعض القرى كانوا على عهد وأمان، لذلك أمر الخليفة عثمان (رض) بردهم إلى قراهم للعهد الذي كان لهم[٢].

ويذكر ابن عبد الحكم أن عمرو بن العاص عندما أخمد تمرد أهل الإسكندرية طلب منه الخليفة عثمان (رض) أن يكون على ولاية الحرب بمصر ويكون عبد الله بن سعد على الخراج، فرد عمرو بن العاص بقوله: " أنا إذاً كماسك البقرة بقرنيها وآخر يحلبها "[٣]. وفي رواية أن الخليفة عثمان (رض) أستعمل عمرو بن العاص على حرب مصر، وأستعمل عبد الله بن سعد على الجزية وخراج الأرض، فاختلفا بينهما فكتب عمرو بن العاص إلى عثمان (رض) أن عبد الله بن سعد " قد أمسك يدي عن غزوتي وحال بيني وبين أن أنفذ لشيء من حربي "[٤]. وكتب عبد الله بن سعد إلى الخليفة عثمان (رض) يقول: " أنّ عمراً قد كسر علّي جزيتي وأخرب علّي أرضي وحال بيني وبين أن أنفذ لشيء من عملي "[٥].

فكتب الخليفة عثمان بن عفان (رض) بعزل عمرو بن العاص عن الولاية سنة ٢٥هـ/٦٤٥م[٦]. فأعتزل عمرو بن العاص في ناحية من فلسطين وكان يأتي إلى المدينة في بعض الأحيان ويطعن في خلال ذلك على الخليفة عثمان بن عفان (رض).[٧]

والرواة الذين يجعلون من مآخذ الخليفة عثمان بن عفان (رض) أنه عهد بولاية الأقاليم والمناصب العليا في الدولة إلى أقاربه وذويه ممن لم تكن لهم سابقة في الإسلام والذين لم

---

(١) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص٢٣٥-٢٣٨؛ أبن عبد البر؛المصدر السابق.

(٢) ابن عبد البر: المصدر نفسه: ٥١١/٢.

(٣) فتوح مصر والمغرب، ص٢٣٩.

(٤) ابن عساكر، المصدر السابق: ٣٧/٢٩.

(٥) ابن عساكر: المصدر نفسه: ٣٧/٢٩.

(٦) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص٢٣٣؛ ابن عبد البر: المصدر السابق: ٥١١/٢؛ أبن الأثير: المصدر السابق: ٨٦/٣؛ ابن عذاري : المصدر السابق، ٨/١؛ ابن حجر ، أحمد بن علي العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، مصر، ١٣٢٨هـ: ٣/٣.

(٧) ابن عبد البر: المصدر السابق، ٥١١/٢؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: محمد إبراهيم ألبنا ومحمد أحمد عاشور، القاهرة، د. ت، ٢٤٦/٤.

يدخلوا الإسلام إلاّ وراء مصالحهم الذاتية، يضعون عبد الله بن سعد بين هؤلاء الولاة المتهمين في مشاعرهم نحو الإسلام[1].

ومعروف أن عبد الله بن سعد كان قد أرتد عن الإسلام بعد ما كان يكتب الوحي للرسول (ص) فكان واحداً من الذين أهدر (ص) دمه فأجاره عثمان بن عفان (رض) يوم فتح مكة وطلب من الرسول (ص) العفو عنه فعفا عنه وحسن بعد ذلك إسلامه. ثم تولى من المناصب الرفيعة في الدولة ما تولى[2].

---

(١) عبد الحميد: المرجع السابق: ١٤٦/١.

(٢) تاريخ ابن يونس الصدفي، ق٢٧٠/١؛ ابن الأثير: أسد الغابة: ٢٥٩/٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣٤/٣.

الفصل الثالث

ولاية عبد الله بن سعد بن أبي سرح على مصر ودوره في تحرير المغرب.

١ - واقعة سبيطلة.
٢ - واقعة دنقلة.
٣ - واقعة ذي الصواري البحرية.

ولاية عبد الله بن سعد بن أبي سرح على مصر ودوره في حروب التحرير

١ – واقعة سبيطلة[١]:

تولى عبد الله بن أبي سرح[٢] ولاية مصر بعد إعفاء عمرو بن العاص عنها في سنة ٢٥هـ/٦٤٥م وسار على سياسة سلفه بالنسبة للمغرب، وذلك بإرسال سرايا الفرسان تجوب أطراف ولاية أفريقية وتعود إلى قاعدة انطلاقها في مدينة برقة، وقد أشار أبن عبد الحكم إلى ذلك بقوله: " ولما عزل عثمان (رض) عمرو بن العاص عن مصر وأمر عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يبعث المسلمين في جرائد الخيل كما كانوا يفعلون في أيام عمرو فيصيبون من أطراف أفريقية ويغنمون "[٣].

ومعروف أن الهدف من هذه الحملات لم يكن الحصول على الغنائم كما يفهم من النص، وإنما كان هدفها الأول هو الاستطلاع ومراقبة تحركات القوات البيزنطية وتتبع أخبارهم، وإن كانت الغنائم بعد ذلك نتيجة من نتائج هذه الحملات الاستطلاعية[٤]، وقد نشطت هذه الحملات نشاطاً كبيراً في ولاية ابن أبي سرح وكانت تقارير ونتائج تلك الاستطلاعات تصل أولاً بأول إلى الخليفة عثمان بن عفان (رض) بالمدينة المنورة[٥].

وكانت تلك التقارير تشير من دون شك إلى متغيرات سياسية وتجمعات عسكرية قد بدأت تأخذ مداها على الساحة المغربية، والى تحركات واسعة للقوات البيزنطية في مناطق مختلفة من

---

(١) سبيطلة: مدينة من مدن افريقيه تقع على مسافة ٧٠ ميلا من الموقع الذي قامت عليه مدينة القيروان ، وكانت من الحصون البيزنطية الواقعة على الطريق الذي يؤدي من السهل الساحلي الى جبال اوراس وهي اول حصون الهضبة. الحموي: المصدر السابق ١٨٧/٣ ، الحميري ، الروض المعطار ، تحقيق: احسان عباس ، بيروت ١٩٧٥ ، ص٣٠٢.

(٢) عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث القرشي ألعامري يكنى أبا يحيى، شهد تحرير مصر وكان قائد الميمنة في الجيش الذي كان يقوده عمرو بن العاص، وكان معروفاً بالشجاعة ويعد من فرسان بني عامر، أعتزل الناس بعد الفتنة التي أودت بحياة الخليفة عثمان بن عفان (رض) فسكن عسقلان وبها توفي سنة ٣٦هـ/ ٦٥٦م. تاريخ ابن يونس الصدفي، ق١ ص٢٦٩؛ ابن سعد: الطبقات، بيروت، دار صادر، ١٩٥٨: ١٩٥/٧؛ النووي ؛ ابو زكريا محي الدين: تهذيب الاسماء واللغات ، القاهرة ١٦٩/١، ابن عساكر: المصدر السابق؛ ٣٦/٢٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣٣/٣.

(٣) فتوح مصر والمغرب، ص٢٤٦ وقارن أبو العرب: المصدر السابق، ص٦٥؛ المالكي: المصدر السابق: ١٤/١؛ ابن الأثير: الكامل: ٤٢/٣.

(٤) مطلوب: واقعة سبيطلة، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي، جـ٢، م٤٩، لسنة ٢٠٠٠، ص١٩٤.

(٥) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص٢٤٦؛ أبن الأثير: الكامل: ٩٠/٣ النويري: المصدر السابق: ٧/٢٤.

الولاية، خاصة في منطقة سبيطلة بحيث كتب عبد الله بن أبي سرح يخبر الخليفة عثمان بن عفان (رض) بقرب البيزنطيين من مناطق نفوذ المسلمين ويستأذنه في حربهم[٦].

والحقيقة أن ولاية أفريقية خلال هذه الفترة قد شهدت الكثير من المتغيرات السياسية فضلاً عن نشاط بعض المذاهب الدينية وما ترتب عن ذلك من خلاف عميق بين الكنيستين الشرقية والغربية، وقد نتج عن ذلك تعدد الو لاءات بتعدد القوى مما أضعف الروابط السياسية والدينية بين ولاية أفريقية ومركز السلطة البيزنطية[٧].

فمنذ أواخر القرن السادس الميلادي وبداية القرن السابع الميلادي " لم يكن يربط أفريقية بالدولة البيزنطية إلاّ علاقة واهية جداً ... فقد كان الموظفون البيزنطيون في جميع نواحي الإدارة يميلون إلى التحرر من سيطرة الإمبراطور البعيد عنهم جداً ، وأنصرف الناس، الذين ثقلت عليهم وطأة الإدارة البيزنطية وما كان يسودها من خلل، عن الإمبراطورية التي كادت تنزل بهم الخراب، وبدأوا يتصلون بالكنيسة التي تحميهم بعض الشيء، وأخذت هذه الكنيسة تحل سلطتها الإدارية على مهل محل السلطة الإدارية المركزية، وتعمل على إفساد الإدارة الحكومية، التي لم يكن ينقصها الاضطراب." [٨]

وليس أدل على انعدام الروابط والصلات من بلاد تابعة للدولة البيزنطية ويتحكم فيها بابا روما، وله من الأشراف والسلطان على أمورها، والتدخل في شؤونها، مثل ما للإمبراطور البيزنطي[٩].

وقد سبق أن عرضنا في الفصل الأول الأحوال السياسية التي مر بها المغرب قبل حروب التحرير، والذي يهمنا في هذا الفصل هو تسليط الضوء وباختصار على وضع البلاد السياسي تحت حكم جرجير الذي أعلن استقلاله عن الإمبراطورية البيزنطية.

كان جرجير (جريجوريوس) من أسرة ذات علاقة وثيقة وقرابة بالإمبراطور البيزنطي، فجده جرجير الأول هو أخو هرقل الكبير الذي توفي في أفريقية سنة ٦١٠م، وكان يعاون أخاه في إدارة شؤونها. فتولى إدارة ولايتها لمدة قصيرة وخلفه عليها بطريق أسمه قيصريوس ثم أعقبه نيقيتاس بن جريجوريوس وأبن عم الإمبراطور الذي كان ساعده الأيمن في الهجوم على القسطنطينية، وكان

---

(٦) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص٢٤٦؛ أبو العرب: المصدر السابق، ص٦٥؛ المالكي: المصدر السابق: ١٤/١.

(٧) مطلوب: واقعة سبيطلة، ص١٩٤.

(٨) مؤنس: المرجع السابق، ص٣٨، ڤارن: جوليان: المرجع السابق: ٣٧٨/١.

(٩) مؤنس: المرجع السابق، ص٣٧؛ سالم: المرجع السابق: ٧٥/٢.

نيقيتاس قد أكتسب خبرة عسكرية واسعة من خلال تنقلاته في ميادين الحرب مع الدولة الفارسية، ثم ولّي ولاية مصر لمدة، وكانت أعماله محل تقدير وتكريم الإمبراطور البيزنطي له(١٠).

إنّ طوال المدة التي قضاها آل جريجوريوس في ولاية أفريقية قد أوجدت بينهم وبين السكان علاقات طيبة فضلاً عن شهرتهم العسكرية والإدارية وقرابتهم من الإمبراطور البيزنطي(١١).

ومن الطبيعي أن تستمر أسباب التواصل بين القسطنطينية وقرطا جنة مادامت الدولة على حال من القوة وتمكنها من السيطرة على عموم ولاياتها، أما وقد بدأ الاضطراب يسود الإمبراطورية نتيجة التحديات الخارجية من قبل الفرس، ويبلغ الخوف من الإمبراطور قسطنطين الثاني (٢١هـ – ٤٨هـ/٦٤١م – ٦٦٨م) مبلغاً يجعله يفكر بنقل العاصمة من القسطنطينية إلى صقلية أو إلى أفريقية، فليس بالبعيد أن يفكر بعد ذلك جرجير الثاني لحماية سلطانه في بلاد المغرب ويعززه عن طريق التحالف مع القوى التي طالما اختلفت مع سياسة الدولة المركزية(١٢).

ولذلك يذهب البعض بالقول أن حرص جرجير على التمسك بسلطانه وولاية إفريقية إنما يعود إلى الانتعاش الاقتصادي والازدهار الذي شهدته البلاد في عهده كنتيجة من نتائج الهدوء الذي عاشته الولاية في ظل حكم أبيه وجده لها(١٣). وبذلك يؤكد ديل " إنّ الإنسان يجد في أرض السهوب فيما يلي القيروان جنوباً – وهي التي نجدها اليوم قفراً خالياً – وفي السهول الواسعة المهجورة التي تمتد جنوبي هضبة الأوراس، وفي الإقليم الجبلي الذي يتوسط سهل تونس في كل هذه النواحي يجد الإنسان في كل خطوة آثار مدن كبيرة أو صغيرة وقرى آهلة وأراضي مزروعة على امتداد عظيم، ولا يعوزنا البرهان على أن هذه البلاد كانت عامرة بالساكنين حوالي منتصف القرن السابع الميلادي على رغم ما شقيت به من حروب، إذ يرجع إلى هذه الفترة تاريخ ذلك العدد العظيم من القلاع التي تتوسطها وتقوم على جانبيها "(١٤).

أما كودل فيرى أن ديل قد بالغ كثيراً في وصف البلاد وما كانت تتمتع به من الازدهار الاقتصادي ووفرة الخيرات وكثرة المزارع والبساتين، وقلل من أهمية ذلك الوصف الذي جاء به باعتبار أنّ العرب " أقبلوا من الصحراء وأنّ رمال بلادهم وصخورها ظلت ذكراها عالقة بأذهانهم بعد هجرتهم من جزيرتهم بزمان طويل، فليس بغريب أن تأخذ عيونهم أبسط الزروع وتدهشهم أقل خضرة، ولهذا رأوا في مجرى الماء الرفيع نهراً فياضاً، وجعلوا من أشجار الزيتون الباهتة الكئيبة ... ومن

(١٠) مؤنس: المرجع السابق، ص٣٨.

(١١) المرجع نفسه، ص٣٩.

(١٢) المرجع نفسه، ص٣٩؛ سالم: المرجع السابق: ٢/٧٦و٧٧.

(١٣) مؤنس: المرجع السابق، ص٤٠؛ سالم: المرجع السابق: ٢/٧٧.

(5) Diehl, I` Afrque Byzantine, P.525

نقلا عن مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، ص٤٠ و ٤١.

أشجار الفستق ...والقطاف، ومن السهول المنخفضة ونباتات الرمال التي على الشاطيء، جعلوا من ذلك كله مزارع زاهرة، ورأوا في مجرد نهراً عظيماً ." (١٥)

ويقول مؤنس " ربما كان كودل مصيبا فيما ذهب إليه من الشك في آراء ديل ولكنه لم يوفق في مقالته إن العرب رأوا أفريقية رأي الالكثيرة، ف الذي تروعه أبسط الزروع، وتأسر لبه أقل مظاهر العمران، لأن غزو أفريقية لم يكن أول عهد للعرب بالمزارع والرياض، وربما ضؤلت في عيونهم زروع أفريقية إذا قارنوها بزروع مصر ونباتها، وأين مجرد من النيل؟ "(١٦) ومن ثم فقد سبق للعرب وأن حرروا العراق وبلاد الشام وفتحوا فارس ووجدوا في هذه الأقاليم من الحضارات العظيمة والخيرات الكثيرة، مما يفوق كثيراً ما وجدوه في بلاد المغرب.

ولكن كل هذا لا يمنع من القول أن بلاد المغرب قد شهدت في أواخر الحكم البيزنطي وعلى يد جرجير الثاني خاصة هدوءاً واستقراراً نهضت من خلاله البلاد وإن كان ذلك مقصوراً على مناطق قرطا جنة وبعض المدن الكبيرة في سهل تونس وهضبة الأوراس كما يقول مؤنس. (١٧)

وقد استغل جرجير عوامل كثيرة لبسط نفوذه على الولاية والاستقلال عن الإمبراطورية البيزنطية، ومن أهم هذه العوامل:

الانقسامات الدينية والخلافات المذهبية التي اشتدت في بيزنطة، وامتدت إلى الأقاليم الأخرى، وكثيراً ما كانت كنيسة أفريقية على الضد من توجهات العاصمة البيزنطية بحيث أصبح لبابا روما سلطان كبير على الولاية من هذه الناحية(١٨).

وفي سنة ٦٤٠م وفد أحد رجال الدين وهو الراهب مكسيم(١٩) إلى أفريقية والذي سبق له أن دخل الإسكندرية وشهد الاضطهاد الذي كان يعانيه العدد الأكبر من النصارى بسبب تلك الخلافات، وكان دخول هذا الراهب ولاية أفريقية بداية القضاء على ما تبقى من أثر لسلطان الإمبراطور البيزنطي في هذه الولاية، فقد رحب به رهبانها، وبدأ ينشر تعاليمه بمؤازرتهم، ومؤازرة جرجير أيضاً، موجهاً أشد الانتقادات إلى السلطة البيزنطية، والى الإمبراطور، وبذلك أستطاع الراهب مكسيم بخطبه الثورية من تحريك مشاعر الناس والالتفاف حوله، ثم دخل في جدل ديني مع البطريق فير هوس

---

(15) Caudel , L`Afrique du Nord , Les Byzantine,et Les Berbetes avant Les invasions atabes,Paris, 1900, I, P31.

نقلاعن مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، ص٤١.

(١٦) المرجع نفسه، ص٤٢.

(١٧) فتح العرب للمغرب، ص٤٢.

(١٨) مؤنس، المرجع نفسه، ص٤٧.

(١٩) ولد مكسيم في القسطنطينية سنة ٥٨٠م وتربى تربية دينية، ودخل الدير وترهب في سنة ٦٢٨م وأشتهر في مسائل الدين والفقه وكان عالماً بذلك وقد دخل الإسكندرية وغيرها من المدن ثم وفد إلى أفريقية؛ ينظر مؤنس: المرجع السابق، ص٤٦. هامش رقم (١) سالم. ٧٦/٢.

بحضور جرجير وتغلب عليه باعتراف فير هوس نفسه في تموز سنة ٦٤٥م[٢٠]. وبذلك بدأت المعارضة تزداد شدة مما شجعهم على أن يوجهوا إلى الإمبراطور خطاباً مكتوباً يسألونه أن يترك ماهو سائر فيه من أبتداع وإفساد في الدين[٢١]. وقد لقيت دعوة مكسيم وأنصاره دعماً قوياً وتعاطفاً من قبل البابوية في روما، وكان مكسيم من ناحية أخرى يمتدح مواقفها ويحببها إلى أتباعه، وبذلك أستطاع في وقت قصير إلى دفع سكان المغرب للتمرد على الإمبراطور والالتفاف حول حاكم أفريقية جرجير [٢٢].

هذه الظروف شجعت جرجير على إعلان الثورة والانفصال عن القسطنطينية وآزره في ذلك البابا تيودور عندما كتب إليه يقول: " إنّ الله يرضى عن ثورته ويقدر له التوفيق فيها "[٢٣].

وهكذا أعلن جرجير الثورة في سنة ٦٤٥م فخلع طاعة الإمبراطور قسطنطين الثاني[٢٤]، وأعلن نفسه إمبراطورا، وضرب النقود باسمه، وكان تحت سلطانه كما تجمع المصادر العربية من طرابلس إلى طنجة[٢٥]. وان أهل برقة وطرابلس كانوا أول من أيّد جرجير على الانفصال عن الدولة البيزنطية على الرغم من أن هاتين المدينتين كانتا تابعتين لمصر [٢٦].

ولم يمكث جرجير في مدينة قرطا جنة طويلاً، وقرر مغادرتها سنة ٢٦هـ/٦٤٦م ليتخذ من مدينة سبيطلة قاعدة لقواته، ومقراً لحكومته ودواوين دولته[٢٧].

وقد أختلف الباحثون في الأسباب التي دفعت جرجير إلى هذا الأجراء؛ فقد ذكر أنه كان يخشى هجمات الأسطول البيزنطي على مدينة قرطا جنة بعد استقلاله، لذلك أختار مدينة سبيطلة الواقعة في عمق البلاد مقراً بديلاً له[٢٨]. بينما يقول البعض أن جرجيرا أستقر في هذا المكان بعد أن أستشعر خطر القوات العربية بعد دخولهم مدينتي برقة وطرابلس[٢٩]، بينما يرى آخرون بأنه كان خائفاً من بقائه

---

(٢٠) سالم: المرجع السابق ، ٧٦/٢.

(٢١) مؤنس: المرجع السابق، ص٤٦؛ سالم: المرجع السابق: ٧٦/٢.

(٢٢) مؤنس: المرجع السابق، ص٤٧؛ سالم: المرجع السابق: ٧٧/٢؛ جوليان: المرجع السابق: ٣٨٢/١.

(٢٣) مؤنس: المرجع السابق، ص٤٧.

(٢٤) جوليان: المرجع السابق: ٣٨٢/١؛ سالم: المرجع السابق: ٧٧/٢.

(٢٥) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص٢٤٦؛ البلاذري: المصدر السابق، ص٢٢٦؛ المالكي: المصدر السابق: ١٩/١؛ الدباغ: المصدر السابق: ٣٣/١؛ ابن الأثير: الكامل: ٨٩/٣؛ ابن عذاري: المصدر السابق: ٩/١؛ النويري: المصدر السابق: ٧/٢٤؛ ابن خلدون: العبر: ٢٨٨/٢.

(٢٦) سالم: المرجع السابق، ٧٧/٢.

(٢٧) سالم: المرجع السابق: ٧٧/٢و١٥٢؛ مؤنس: المرجع السابق، ص٧٤. هامش رقم (٢). العريني ، الباز: الدولة البيزنطية ، القاهرة ١٩٦٥ ،ص١٤٤.

(٢٨) سالم: المرجع السابق: ٧٧/٢و٧٨.

(٢٩) مؤنس: المرجع السابق، ص٧٥؛ جوليان: المرجع السابق: ١٧/٢.

في مدينة قرطا جنة الواقعة في أقصى البلاد شمالاً مما قد يعرضه لهجمات القوات البحرية البيزنطية من الشمال، والقوات العربية من الشرق، فأراد تأمين قاعدته محاولاً في الوقت نفسه كسب القبائل المغربية إلى جانبه ولذلك أختار مدينة سبيطلة لتحقيق هذه الأهداف[٣٠].

وتبدو هذه الآراء كلها مقبولة غير أنها تكون أكثر قبولاً لو أن جرجير نزل مدينة سبيطلة عندما علم بزحف القوات العربية بقيادة عبد الله بن أبي سرح إليه، أو لسد الطريق أمام القوات العربية الزاحفة باتجاه مناطق نفوذه وفي هذه الحالة كان على جرجير أن يعسكر بقواته عند مدينة قابس، ويسد على القوات العربية الطريق الضيق الذي يؤدي من طرابلس إلى أفريقية بين قابس وشط الجريد فهي أشبه بعنق الزجاجة كما يقول العسكريون[٣١].

ويظل الرأي الأول مرجحاً على غيره مع طمع جرجير بالاستعانة بقوات القبائل واستمالتهم إلى جانبه، كما قام في الوقت نفسه بتحصين المدن الشرقية مثل قابس، وصفافس[٣٢]، وقفصة[٣٣]، وكون منها خطاً دفاعياً أمامياً بوجه أي تقدم يكون من ناحية الشرق ضد مناطق نفوذه[٣٤].

هذه المتغيرات على الساحة المغربية كانت أمام أنظار دار الخلافة في المدينة المنورة، وهي حصيلة ما توصلت إليه سرايا الاستطلاع التي كانت تنطلق من برقة وكانت هذه المتغيرات تعبر من دون شك عن دقة الوضع الاستراتيجي للعرب في غرب ولاية مصر، فالوجود العسكري البيزنطي الكثيف في سبيطلة وما جاورها كان ينطوي على الكثير من التهديد والمخاطر، ومعالجته يعد من الضرورات العسكرية لحماية حدود مصر الغربية فضلاً عن ولاية مصر نفسها " [٣٥]

وما ذهب إليه البعض من أن الخليفة عثمان بن عفان (رض) إنما وافق عبد الله بن سعد بن أبي سرح على تجهيز الجيش إما نكاية منه في عمرو بن العاص الذي كان مقيماً في المدينة المنورة منتداً عليه وعلى واليه الجديد على مصر، واما رغبة منه في تعزيز مركز أخيه في الرضاعة بفتح عظيم كتحرير ولاية أفريقية[٣٦]، فقول فيه الكثير من التجني على سياسة الخليفة عثمان بن عفان (رض) وواليه على مصر عبد الله بن أبي سرح. فالخليفة عثمان بن عفان (رض) لم يستنفر المسلمين

---

(٣٠) مؤنس: المرجع السابق، ص٧٥.

(٣١) عبد الحميد: المرجع السابق: ١٥٣/١؛ مؤنس: المرجع السابق، ص٧٥.

(٣٢) صفاقس: مدينة من مدن ولاية أفريقية مشهورة بالزيتون وزيتها الذي يباع في عموم بلاد المغرب ويصدر إلى صقلية وايطاليا وغيرها من البلاد. البكري: المغرب ، ص٢٠ ؛ الأستبصار ، ص١١٦.

(٣٣) قفصة: مدينة كبيرة قديمة لها سور حصين وهي أحدى مدن بلاد الجريد. البكري: المغرب ، ص٤٧ ؛ الأستبصار ، ص١٥٠.

(٣٤) سالم: المرجع السابق: ١٥٢/٢؛ جوليان: المرجع السابق: ١٦/٢.

(٣٥) مطلوب: واقعة سبيطلة، ص١٩٧.

(٣٦) مؤنس: المرجع السابق، ص٧٩. وينظر سالم: المرجع اسابق: ١٥٣/٢.

من أهل المدينة وما جاورها للجهاد في أفريقية إلاّ بعد استشارة كبار الصحابة من المدينة المنورة، وأخذ موافقتهم على تجهيز القوات والى ذلك يشير المالكي بقوله ... " حدث الواقدي عن المسور بن محزمة بن نوفل الزهري قال.. خرجت من منزلي ... أريد المسجد، فإذا عثمان (رض) في مصلى النبي (ص)يصلي، فصليت خلفه، ثم جلس فدعا ليلاً طويلاً، حتى أذّن المؤذّن ثم قام منصرفاً إلى بيته، فقمت في وجهه فسلمت عليه فقال: يا أبن محزمة، وإتكأ على يدي، إني استخرت الله تعالى في ليلتي هذه من بعث الجيوش إلى أفريقية، وقد كتب إلي عبد الله بن سعد يخبر بخبره مع المشركين وغلبهم وقرب حوزهم من المسلمين فقلت: خار ألله لأمير المسلمين قال: فما رأيك يا أبن محزمة قلت أغزهم قال: اجمع اليوم الأكابر من أصحاب رسول الله (ص) وأستشيرهم فما أجمعوا عليه فعلته، أو ما أجمع عليه أكثرهم فعلته، فكن أنت رسولي إليهم وأحضر معهم، فقلت ... لم تسمِ لي من أجمع ؟ فقال ائت علياً وطلحة والزبير والعباس وذكر لي رجالاً، فخلا بكل واحد منهم في المسجد، ثم دعا أبا الأعور سعيد بن زيد[٣٧] فقال له عثمان (رض) ما كرهت يا أبا الأعور من بعثة الجيوش إلى أفريقية ؟ فقال له: سمعت عمر (رض) يقول: لاأغزيها أحداً من المسلمين ما حملت عيناي الماء، فلا أرى لك خلاف عمر (رض)

(فقال له عثمان) [٣٨]: والله ما نخافهم وإنهم لراضون أن يقروا في مواضعهم فلا يغزون، فلم يختلف أحد ممن شاوره غيره"[٣٩]، وقد شكك مؤنس في هذه الرواية لكونها من مرويات الواقدي، وما يشوبها من طابع الرواية القصصي[٤٠]والحقيقة إن الرواية ليس فيها شيئاً مما يمكن إنكاره، فهي رواية على غاية من الأهمية تضمنت تفصيلات مفيدة عن استشارة الخليفة عثمان بن عفان (رض) لكبار الصحابة فضلاً عن كون معظم المؤرخين يذكرون أن الخليفة عثمان بن عفان (رض) استشار كبار الصحابة في تجهيز القوات لمواصلة حروب التحرير في بلاد المغرب، وقد تم ذلك بناءً على موافقتهم[٤١].

---

(٣٧) شارك في تحرير مصر وغيرها وتوفي سنة ٥٠هـ. ابن قتيبة ، عبدالله ابن مسلم ، المعارف ، تحقيق: ثروت عكاشة ، القاهره ١٩٦٩ ، ص٨٣. ابن سعد ، المصدر السابق: ٧/٦.

(٣٨) زيادة: من طبقات علماء أفريقية وتونس.

(٣٩) رياض النفوس: ١٤/١، ١٥. وقارن: أبو العرب: المصدر السابق، ٦٤، ٦٥-٦٧؛ الدباغ: المصدر السابق: ٣٣/١؛ النويري: ٧/٢٤.

(٤٠) فتح العرب للمغرب، ص٨٠.

(٤١) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص٢٤٦؛ البلاذري، ص٢٢٦؛ ابن الأثير: ٤٣/٣؛ الناصري: المصدر السابق: ٩٢/١.

وبناء على هذه الموافقة قام الخليفة عثمان بن عفان (رض) خطيباً وندب الناس إلى الجهاد[٤٢] وتجهيز الجيش فتوافدت إلى المدينة جموع القبائل للمشاركة في هذا الجيش وقد ذكرت المصادر أسماء القبائل التي شاركت فيه وعدد من شارك فيه منهم وذكرت مشاهير رجالهم. فمن قبيلة مهرة ستمائة رجل، ومن غنت من الأزد سبعمائة رجل، ومن مدعان من الأزد أيضاً سبعمائة رجل، وكان على مقاسمهم كما روى ابن عبد الحكم شريك بن سمي[٤٣]. ومن قبيلة جهينة ستمائة رجل، وخرج من أسلم ثلاثمائة رجل ذكر منهم: حمزة بن عمرو الأسلمي، وسالم بن الأكوع، وخرج من مزينة ثمانمائة رجل منهم: بلال بن الحارث المزني، وكان حامل لوائهم، وخرج من بني سويلم أربعمائة وخمسون رجلاً[٤٤]، وخرج من بني الدُئل وضمرة وغفار وعبد مناة خمسمائة رجل، ومن غطفان وفزارة وُمر وأشجع سبعمائة رجل، وكان آخر من قدم كعب بن عمرو وهم في أربعمائة رجل[٤٥] والقبائل مجتمعة في مكان يعرف بالجرف على مسافة ثلاثة أميال من المدينة المنورة[٤٦].

ومن مشاهير الرجال الذين شاركوا في الحملة من أهل المدينة وغيرهم عبد الله ابن عباس، ومعبد بن العباس، والحسن والحسين[٤٧] وهم من بني هاشم، ومن بني تيم عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، وعبد الرحمن أبن صبيحة في جماعة من قومه، ومن بني أسد، عبد الله بن الزبير في جماعة من قومه، ومن بني عدي عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وعبيد الله بن عمر بن الخطاب وعاصم بن عمر بن الخطاب في جماعة آخرين منهم، ومن بني سهم عبد الله بن عمرو بن العاص والمطلب بن سائب أبن أبي وداعة وغيرهما. ومن بني أمية جماعة منهم: مروان بن الحكم وأخوه الحارث، ومن بني زهرة: المسور بن محزمة بن نوفل وعبد الرحمن بن الأسود ومن بني عامر بن لؤي السائب بن عامر بن هشام، وبسر بن أبي أرطأة ومن بني هذيل خويلد بن خالد الهذلي، في جماعة من قومه. وشارك أيضاً في هذه الحملة جماعة من كبار الصحابة والرجال المشاهير مثل: أبو ذر الغفاري، والمقداد بن عمرو البهراني، وبلال بن حارث ومعاوية بن حديج، وفضالة بن عبيد، ورويفع بن ثابت الأنصاري، وجرهد بن خويلد، وأبو زمعة البلوى، وجبلة

---

(٤٢) البلاذري: المصدر السابق، ص٢٥٦؛ المالكي: المصدر السابق: ١٥/١.

(٤٣) فتوح مصر والمغرب، ص٢٤٧.

(٤٤) المالكي: المصدر السابق: ١٦/١. وقارن أبو العرب: المصدر السابق، ص٦٩.

(٤٥) أبو العرب: المصدر السابق، ص٦٩.

(٤٦) النويري: المصدر السابق: ١٠/٢٤.

(٤٧) ينظر، ابن خلدون، العبر: ١٠٠٥/٢؛ الناصري: المصدر السابق: ١٣١/١.

بن عمر الساعدي، وزياد بن الحارث الصدائي وسفيان بن وهب، وقيس بن يسار بن مسلمة، وزهير بن قيس البلوى، وعبد الرحمن بن صخر، وعمر ابن عوف، وعقبة بن نافع الفهري وغيرهم(٤٨).

وجهز الخليفة عثمان بن عفان (رض) الجيش بألف بعير من ماله الخاص لحمل ضعفاء الناس عليها، وفرق بينهم السلاح وأمر بأعطيات لمن شارك في هذه الحملة(٤٩). ثم خطب الخليفة في جموع المقاتلين خطبة تليق بالمقام مرغباً بالجهاد وفضله وثوابه، ثم أستعمل عليهم الحارث بن الحكم ليقودهم إلى مصر حيث يسلمهم لعبد الله بن أبي سرح، وكان ذلك في المحرم من سنة ٢٧هـ/٦٤٩م(٥٠).

تجمعت القوات في مصر وقد بلغ تعدادها كما تشير المصادر التاريخية العشرين ألفاً من المقاتلين(٥١). وعرف هذا الجيش في بعض المصادر التاريخية باسم جيش العبادلة، أو حملة العبادلة وذلك نسبة إلى كبار أبناء الصحابة المشاركين في هذه الحملة والتي تبدأ أسماؤهم بلفظة العبودية(٥٢)، مثل: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبيد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، فضلاً عن قائد الحملة عبد الله بن أبي سرح.

زحف جيش العبادلة في السنة المذكورة في أعلاه(٥٣)بقيادة بن أبي سرح مغادراً مصر بعد أن خلف أبن أبي سرح عليها عقبة بن عامر الجهني(٥٤).

ولا تشير المصادر إلى الطريق الذي سلكه ابن أبي سرح نحو الغرب، والغالب أنه أتخذ الطريق الساحلي المؤدي إلى مدينة برقة، وهو الطريق الذي تسلكه قوافل الحج والذي يمر جنوب الإسكندرية إلى أبي قير(٥٥). وفي مدينة برقة انضمت إلى الجيش حاميتها العسكرية بقيادة عقبة بن نافع الفهري(٥٦).

---

(٤٨) أبو العرب: المصدر السابق، ص٦٨و٦٩؛ المالكي: المصدر السابق، ١/١٥و١٦؛ الدباغ: المصدر السابق، ٣٣/١؛ النويري: المصدر السابق، ٢٤/٨-١٠؛ ابن خلدون: العبر، ١٠٦/٦.

(٤٩) ابن عذاري: المصدر السابق، ٩/١؛ النويري: المصدر السابق، ١٠/٢٤.

(٥٠) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص٢٤٦؛ النويري: المصدر السابق، ١٠/٢٤.

(٥١) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص٢٤٧؛ أبو العرب: المصدر السابق، ص٦٨؛ المالكي: المصدر السابق، ١٦/١؛ الدباغ: المصدر السابق، ٣٣/١؛ ابن الأثير: الكامل، ٨٩/٣؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ٩/١؛ النويري: المصدر السابق، ١٠/٢٤؛ الناصري: المصدر السابق، ٩٢/١.

(٥٢) ابن خياط: المصدر السابق، ١٣٤/١؛ المالكي: المصدر السابق، ١٦/١؛ النويري: المصدر السابق، ٨/٢٤. ابن ابي الضياف : اتحاف الزمان ، تونس المطبعة الرسمية ، ١٩٦٣: ٧٨/١.

(٥٣) تردد البلاذري، ص٢٢٦ بين السنوات ٢٦و٢٩؛ وقال ابن خلدون: العبر، ١٠٧/٦. سنة ٢٦هـ.

(٥٤) أبو العرب: المصدر السابق، ص٧٠؛ وقال النويري ١٠/٢٤ أستخلف عقبة بن نافع الفهري وهو خطأ.

(٥٥) عبد الحميد: المرجع السابق، ١٥٠/١.

(٥٦) ابن الأثير: الكامل، ٨٩/٣؛ الناصري: المصدر السابق، ٩٢/١و١٣١.

خرج ابن أبي سرح من مدينة برقة على تعبئة، تتقدمه سرايا الفرسان للاستكشاف وتأمين الطرق(٥٧)، وروي عن ربيعة بن عباد الديلي أنه كثيراً ما كان يتقدم الجيش على رأس طلائع الاستكشاف(٥٨). وعند مدينة طرابلس تمكنت أحدى فرق الاستطلاع من أسر مائة رجل من البيزنطيين، كانوا في مركب لهم قد رست على الساحل فغنمت ما فيها، وهي أول غنيمة يصيبها جيش العبادلة وعندما وصل أبن أبي سرح إلى مدينة طرابلس حاصرها لمدة ثم غادرها من دون أن يضيع وقته في حصارها(٥٩)، ثم واصل زحفه باتجاه مدينة قابس فحاصرها لمدة ثم غادرها كما فعل عند مروره بمدينة طرابلس(٦٠).

ولاشك أن ابن أبي سرح والقادة المرافقين له كانوا واثقين تمام الثقة من أن هاتين المدينتين لاتشكلاإن خطراً على الجيش المتقدم، وأنهم كانوا يكتفون منهم بتركهم في أمان، لذلك لم يضيع أبن أبي سرح كثيراً من الوقت أمام هاتين المدينتين وواصل زحفه نحو الهدف الرئيس من الحملة(٦١).

كان أبن أبي سرح حريصاً كل الحرص على معنويات قواته متجنباً كل ما يتعب المقاتلين أو يستنزف طاقتهم، ملتزماً بوصية الخليفة عثمان بن عفان (رض) وفي الخطبة المنسوبة إلى عبد الله بن الزبير ما يؤكد ذلك، فقد وصف ابن الزبير الأسلوب الذي أعتمده ابن أبي سرح وهو في طريقه نحو مدينة سبيطلة بقوله: " وكنا مع والٍ حافظ وصية أمير المؤمنين فكان يسير بنا الأبردين "طرفي النهار" ويخفض بنا في الظهائر، ويتخذ الليل جملاً، يعجل الرحيل في المنزل القفر، ويطيل اللبث في المنزل الخصب، فلم يزل على أحسن حالة نعرفها من ربنا حتى انتهينا إلى أفريقية "(٦٢).

وقد تحّرف نص الخطبة عند عبد الحميد فقرأ " الأبردين " بريدين وعلى هذا الأساس قال: أن أبن أبي سرح جعل الطريق على مراحل كل مرحلة مسافة بريدين(٦٣) والحقيقة غير ذلك كما يفهم من نص الخطبة(٦٤).

---

(٥٧) أبو العرب: المصدر السابق، ص٧٠؛ المالكي: المصدر السابق، ١٧/١؛ الدباغ: المصدر السابق، ٣٤/١؛ النويري: المصدر السابق، ١١/٢٤

(٥٨) أبو العرب: المصدر السابق، ص٧٠؛ النويري: المصدر السابق، ١١/٢٤.

(٥٩) البلاذري: المصدر السابق، ص٢٦٨؛ المالكي: المصدر السابق: ١٧/١؛ عبيد الله بن صالح: المصدر السابق، ٢١٦؛ الدباغ: المصدر السابق: ٣٤/١؛ ابن عذاري: المصدر السابق:١٠/١؛ النويري: المصدر السابق: ١١/٢٤.

(٦٠) البلاذري: المصدر السابق، ص٢٦٨؛ أبن الأثير: الكامل، ٩١/٣؛ النويري: المصدر السابق: ١١/٢٤.

(٦١) مطلوب: واقعة سبيطلة، ص٢١٠.

(٦٢) المالكي: المصدر السابق: ٢٦/١؛ الدباغ: المصدر السابق: ٤٠/١، وينظر: أحمد زكي صفوت؛ جمهرة خطب العرب، المكتبة العلمية، بيروت (د.ت): ٢٧٨/١ – ٢٨٠.

(٦٣) تاريخ المغرب العربي: ١٥١/١

(٦٤) مطلوب: واقعة سبيطلة، ص٢٠٠ هامش رقم ٤٧.

انحرف أبن أبي سرح بقواته بعد تخطيه مدينة قابس جنوباً فغادر الطريق الساحلي وواصل زحفه حتى إقليم قمونيه على مسافة غير بعيدة من المكان الذي ستقوم عليه مدينة القيروان[٦٥] وفي هذا المكلن عسكر أبن أبي سرح للراحة وتنظيم قواته فعبأها ميمنة وميسرة وقلباً استعدادا لأي حظر قد تتعرض له قواته من قبل القوات البيزنطية[٦٦].

وفي هذا المعسكر بدأ عبد الله بن أبي سرح بمفاوضة جرجير حيث أرسل إليه الرسل يعرضون عليه الخصال الثلاثة وهي الدخول في الإسلام أو دفع الجزية أو القتال، وعلى الرغم من تردد الرسل إلى معسكر جرجير لمدة ثلاثة عشر يوماً يدعونه إلى الإسلام أو دفع الجزية[٦٧]. غير أن جرجير كان معجباً بكثافة قواته وضخامة معداته وسهولة إمداداته

---

(٦٥) ابن الأثير: الكامل: ٨٩/٣؛ النويري: المصدر السابق: ١٢/٢٤.

(٦٦) المالكي: المصدر السابق: ١٧/١؛ الدباغ: المصدر السابق: ٣٤/١؛ ابن الأثير: الكامل: ٨٩/١.

(٦٧) المالكي: المصدر السابق: ١٧/١؛ أبن الأثير: الكامل: ٨٩/١؛ الدباغ: المصدر السابق: ٣٤/١و٤٠؛ أبن عذاري: المصدر السابق: ١٠/١؛ النويري: المصدر السابق: ١٢/٢٤.

مستصغراً حجم الوقت ولذلك رفض كلا الخصلتين وعند ذلك قرر أبن أبي سرح دخول المعركة.

تشير معظم المصادر العربية إلى كثافة القوات البيزنطية التي كانت تحت إمرة جرجير فقيل إنّ قواته كانت تبلغ المائة ألف مقاتل وقيل مائة وعشرين ألف مقاتل[٦٨] وزاد البعض حتى جعل قواتهم في مائتي ألف[٦٩].

ولاشك أنّ هذه الأعداد المذكورة عن جيش جرجير مبالغ فيها كثيراً فقد أستبعد حسين مؤنس أن يتمكن جرجير من جمع كل هذه القوات مستنداً إلى عاملين أساسيين:

الأول: لأن جرجير كان ثائراً على الدولة البيزنطية ولا تصله إمدادات ولا يعقل أن يكون في ولاية أفريقية كل هؤلاء الجند.

والثاني: " لا يدل سياق الحوادث إلى الآن على أنه كان يقود قوة كبيرة، وربما التفت حوله جموع كثيرة من الروم وأهل البلاد من غير المحاربين خوفاً من العرب، فظنّ هؤلاء أنّ كل من معه جنود[٧٠] ". في حين يرى عبد الحميد إن المؤرخين العرب أرادوا من هذه الأرقام " إبراز النتائج العظيمة التي حققها العرب بإمكانيات بسيطة[٧١] ".

وعلى الرغم من المبالغة في إعداد قوات جرجير فأن من الثابت أن قواته كانت تفوق القوات العربية في العدد والعدة وكثرة المؤن وحصانة المكان وهي ما تشير إليه جميع المصادر الواردة في أعلاه وقول مؤنس "وربما التفت حول جرجير جموع كثيرة من الروم، وأهل البلاد من غير المحاربين فظن العرب أنّ هؤلاء كلهم من الجنود فهو تعليل لا يليق بقدرة العرب على التمييز بين المقاتلين من الجنود وغيرهم "[٧٢].

استعد الطرفان لخوض المعركة في مكان يعرف باسم عقوبة[٧٣] بينها وبين سبيطلة يوم وليلة[٧٤].فكانت القوات العربية تقف في هيئة القتال ميمنة وميسرة وقلباً [٧٥]، وفيها فرق الفرسان التي

---

(٦٨) ابن خياط: المصدر السابق، ١٣٥/١؛ المالكي: المصدر السابق، ١٩/١؛ ابن الأثير: الكامل، ٨٩/٣؛ الدباغ: المصدر السابق، ٣٥/١؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ١٠/١؛ النويري: المصدر السابق، ١١/٢٤؛ أبن كثير: البداية والنهاية، ١٥٢/٧؛ ابن خلدون؛ ١٠٧/٦؛ الناصري: المصدر السابق، ١٣١/١.

(٦٩) ابن عساكر: المصدر السابق، ٣٨/٢٩؛ ابن تغرى بردي: المصدر السابق: ٨٥/١.

(٧٠) فتح العرب للمغرب، ص٨٦؛ هامش رقم (٤).

(٧١) تاريخ المغرب العربي: ١٥٤/١.

(٧٢) مطلوب: المرجع نفسه، ص٢٠١.

(٧٣) يقول مؤنس: " الأقرب للصواب أن عقوبة لم يكن مجرد فحص أي سهل وانما كان فيه حصن قوي دارت المعركة حوله ". ينظر: فتح العرب للمغرب، ص٨٦، هامش رقم (١).

(٧٤) البلاذري: المصدر السابق، ص٢٢٨؛ أبن الأثير: الكامل، ٨٩/٣؛ النويري، المصدر السابق، ١٢/٢٤.

(٧٥) المالكي، المصدر السابق: ١٧/١.

أخذت موقعها على أرض المعركة بينما كانت الجمال في الخلف مع إثقال الجيش في حراسة بعض الرجال[٧٦].

أما جرجير فقد ظهر مستعرضاً لقواته الكثيفة وممتطياً برذوناً أشهب اللون وعن يمينه وشماله جاريتان تحملان ما يظله من حرارة الشمس، وكانت أبنته تقف في أعلى منصة تطل على أرض المعركة تحيط بها أربعين وصيفة عليهن الثياب الفاخرة والحلل الثمينة[٧٧]. ويعلق عبد الحميد على هذه الرواية بقوله: " وإذا كان من الجائز أن يكاالأطراف، قد لعب دوراً هاماً في تلك الروايات التي لا نجدها بمثل هذا التفصيل المزوق عند أبن عبد الحكم، فليس من الضروري أن تكون جميعاً من نسج الخيال، فقصة جرجير وحاملات المظلات، وابنة جرجير ومن يحطّن بها من الوصيفات مقبولة، وإن كانت ستطلق العنان لخيال الكتاب والرواة حتى تطورت إلى أساطير بعيدة عن الحقائق التاريخية"[٧٨].

وقد بدأ القتال بين الطرفين وأستمر مدة من دون أن يحسم لصالح طرف من الأطراف ، وكان القتال وأسلوبه يوضح إنّ كلا الطرفين العرب والبيزنطيين كانوا على حذر ، وكان يخشى أحدهم الآخر ، فالبيزنطيون كانوا ينسحبون أمام القوات العربية إلى المواقع الحصينة كلما أشتد القتال ، وكانت القوات العربية تتحسب من أسلوب البيزنطيين وخططهم في القتال وتحسب لكثرتهم وعظم معداتهم حسابات منعتها من ملاحقة المنهزمين[٧٩]. وهكذا كان القتال بين الطرفين غير حاسماً، يبدأ بالصباح الباكر، ويتوقف عند الظهيرة، ويعود كل طرف إلى معسكر، ولا يعاودون القتال إلاّ في اليوم ألتالي. وعلى هذا الحال أستمر القتال مدة ليس بالقصيرة[٨٠].

والظاهر أنّ هذا الأسلوب في القتال كان مخططاً له من قبل البيزنطيين، ويلائم رغباتهم فقد ذكر أنّ ابنة جرجير أشرفت على القوات العربية في عسكرهم، فوجدتهم قلة قياساً على عدد قوات أبيها فقالت لأبيها: " لا تسرع بالقتل في هؤلاء وإنحلنيهم فقال: قد أنحلتكهم[٨١] ".

---

(٧٦) عبد الحميد، المرجع السابق: ١/١٥٤و١٥٦.

(٧٧) المالكي: المصدر السابق: ١/٢٢و٢٣؛ أبن عذاري: المصدر السابق: ١/١١.

(٧٨) تاريخ المغرب العربي: ١/١٥٤.

(٧٩) مطلوب: واقعة سبيطلة، ص٢٠٢.

(٨٠) المالكي: المصدر السابق: ١/٨؛ ابن الأثير: الكامل: ٣/٩٠؛ الدباغ: المصدر السابق: ١/٤٣؛ النويري: المصدر السابق: ٢٤/١٣.

(٨١) المالكي: المصدر السابق: ١/٢١؛ الدباغ: المصدر السابق: ١/٤١.

وطبيعي أن مثل هذا الأسلوب في القتال ليس في صالح القوات العربية بقدر ماكان في صالح الأعداء " فليس من السهولة على القوات العربية تعويض ضحاياها، وتأمين مستلزمات الجيش ومؤونتهم لمدة طويلة، في حين كان البيزنطيون يزدادون عدداً وعدة مع مرور الأيام، وواضح أيضاً أن البيزنطيين أرادوا التمادي فيه من دون تغيير قاصدين إنهاك القوات العربية وإضعاف قدراتها المادية والمعنوية مع تعاقب الأيام[٨٢] ".

ولم يكن عبد الله بن أبي سرح ومستشاروه العسكريون غافلين عن مخاطر هذا الأسلوب في القتال ونتائجه السلبية ولكنهم كانوا أيضاً بحاجة إلى معرفة خصائص القوات البيزنطية وعناصر القوة والضعف في صفوفها فضلاً عن انتظار مدد دار الخلافة الذي أرسل أبن أبي سرح في طلبه منذ الأيام الأولى لبداية المعارك بين الطرفين. فقد روى أبن عبد الحكم عن أبن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب: " وقد قيل أن عبد الله بن سعد كان قد وجه
مروان بن الحكم[٨٣] إلى عثمان (رض) من أفريقية فلا أدري أفي الفتح أم بعده ".وروي أيضاً عن عبد الله بن معشر الأيلي " أنّ مروان بن الحكم أقبل من أفريقية أرسله عبد الله بن سعد ووجه معه رجلاً من العرب من لخم أو جذام "[٨٤].

وفي الروايتين إشارة إلى وصول مروان بن الحكم من أفريقية إلى المدينة المنورة مبعوثاً من قبل عبد الله ابن أبي سرح لمواجهة الخليفة عثمان بن عفان (رض) ولكن من دون أن تبين الرواية الأسباب التي كانت وراء إرساله إلى المدينة أو المهمة التي كلف بها، ولاشك أنّ وضع القوات العربية في سبيطلة وطلب الإمدادات من دار الخلافة يشكل هاجساً قوياً ، ويظل في مقدمة ما كلف به مروان بن الحكم للتداول به مع الخليفة عثمان بن عفان (رض) إذ مكث مروان بن الحكم في المدينة المنورة كما يقول أبن عبد الحكم مدة زادت على الشهر[٨٥] وهي مدة طويلة لإبلاغ رسالة إذا لم يكن هنالك أمراً آخر يستوجب البقاء والانتظار في ظروف لا تحتمل الكثير من التأخير[٨٦]. وفي رواية لأبن الأثير وعنه نقل النويري وأبن خلدون إن انقطاع أخبار الجيش في سبيطلة عن الخليفة عثمان بن عفان (رض) دفعته إلى إرسال عبد الله بن الزبير في جماعة من الرجال لتأتيه بأخبارهم. يقول ابن الأثير " وأنقطع خبر المسلمين عن عثمان (رض) فسّير عبد الله بن الزبير في جماعة إليهم لتأتيهم بأخبارهم، فسار مجدّاً ووصل إليهم وأقام معهم، ولما وصل كثر الصياح

---

(٨٢) مطلوب: واقعة سبيطلة، ص٢٠٢.

(٨٣) فتوح مصر والمغرب، ص٢٥٠؛ وينظر مطلوب: واقعة سبيطلة، ص٢٠٣.

(٨٤) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص٢٥٠.

(٨٥) المصدر نفسه، ص٢٥١؛ وينظر مطلوب، ص٢٠٣.

(٨٦) مطلوب: واقعة سبيطلة، ص٢٠٣.

والتكبير في المسلمين فسأل جرجير عن الخبر فقيل قد أتاهم عسكر ففتّ ذلك في عضده "[٨٧] وقول ابن الأثير: " وأنقطع خبر المسلمين عن عثمان (رض) ..." غير صحيح لأن البريد بين مقر القيادة العسكرية في معسكر المسلمين المرابط في سبيطلة والمدينة المنورة عبر مدينة برقة ومصر كان متواصلاً ولايمكن أن يكون الحال بالشكل الذي يصوره ابن الأثير، وتبدو عبارة النويري " ودامت الحرب بين الطرفين وطالت ..."[٨٨] أكثر دقة في التعبير عن الواقع الذي كانت عليه القوات العربية في سبيطلة[٨٩]. وأما قول من قال إنّ عبد الله بن الزبير وصل ميدان المعركة مبعوثاً من قبل الخليفة عثمان بن عفان (رض) فقولٌ لا سند له، لأن عبد الله بن الزبير كان من بين الرجال الذين شاركوا في هذه الحملة منذ البداية ورافقها إلى سبيطلة وهو ما يشير إليه كل من أبي العرب والمالكي، والدباغ، من مؤرخي المغرب العربي[٩٠].

" وإذا كنا لا نميل إلى تفسير رواية ابن عبد الحكم ... على أساس صلة القرابة بين الخليفة عثمان بن عفان (رض) ومروان بن الحكم فأن مثل هذا التفسير قد يفرض نفسه في مثل هذه الحالة ويكون اختيار ابن أبي سرح لمروان بن الحكم رسولاً من قبله إلى دار الخلافة للمهمة التي ذكرنا أقرب بكثير من اختيار أي شخص آخر، وبذلك يمكن القول وبترجيح كبير أن الواصل بمدد دار الخلافة إلى سبيطلة هو مروان بن الحكم، وليس عبد الله بن الزبير وأن ذلك كان بناءً على طلب من ابن أبي سرح وليس مبادرة من دار الخلافة "[٩١].

ويبدو أن بعض المصادر التاريخية أرادت أن تجعل لعبد الله بن الزبير مكاناً علّياً على ابن أبي سرح وغيره من القادة، يبدو ذلك ظاهراً في رواية أبن الأثير والتي ينقلها عنه النويري وأبن خلدون حيث تنسب إليه تحقيق النصر الحاسم على القوات البيزنطية، وتصور أبن أبي سرح بقلة الخبرة والضعف والخوف. وحسب رواية ابن الأثير فأن أبن الزبير وصل من المدينة إلى معسكر المسلمين في سبيطلة ليلاً على رأس قوة من العرب مدّداً لقوات أبن أبي سرح فضجّ المعسكر بالتكبير بأن أعتقد البيزنطيون أنّ العرب يحملون عليهم، فأرسل جرجير جاسوساً للوقوف على حقيقة ما يدور في معسكر المسلمين فأخبره بأن عسكراً قد أتاهم مدداً لهم، فَفَتّ ذلك في عضده، وباتوا بشر ليلة، فلما أصبح عبد الله بن الزبير صلى الصبح وقاتل مع المسلمين فلقي البيزنطيون في ذلك اليوم أشد نكال، ولم يَر أبن الزبير عبد الله بن سعد في الحرب فسأل عنه فقالوا له: إنّه

---

(٨٧) الكامل: ٨٩/٣؛ النويري: المصدر السابق: ١٢/٢٤؛ أبن خلدون: العبر: ١٠٧/٦.

(٨٨) نهاية الإرب: ١٢/٢٤؛ وينظر مطلوب، واقعة سبيطلة، ٢٠٣و٢٠٤.

(٨٩) مطلوب: المرجع نفسه، ص٢٠٤.

(٩٠) طبقات علماء أفريقية وتونس، ص٦٨. رياض النفوس: ٢٥/١؛ معالم الأيمان:٤٠/١. وينظر: مطلوب، واقعة سبيطلة، ص٢٠٤.

(٩١) مطلوب: واقعة سبيطلة، ص٢٠٤.

سمع منادي جرجير يقول من قتل عبد الله بن سعد بن أبي سرح فله ألف دينار وأزوجه ابنتي وهو يخاف. فحضر عنده ابن الزبير وقال له تأمر منادياً ينادي من أتاني برأس جرجير أعطيته ألف دينار وزوجته أبنته، واستعملته على بلاده، ففعل ذلك ابن أبي سرح فصار جرجير يخاف أشد من ابن أبي سرح[٩٢].

وفي زيادة للنويري إنّ ابن الزبير عندما وصل ليلاً سأل عن عبد الله أبن أبي سرح فقيل له " هو في خبائه وله أيام ما خرج منه ... فمضى إليه وسلم عليه وبلغة وصية عثمان (رض) وسأله عن سبب تأخره فقال: إن ملك الروم أمر منادياً فنادى باللغة الرومية والعربية معاشر الروم والمسلمين من قتل عبد الله بن سعد زوجته ابنتي ووهبت له مائة ألف دينار ... وغير خافٍ عنك من معي، وأكثرهم حديث عهد بالإسلام، ولا أمن أن يرغبهم ما بذل لهم جرجير فيقتلونني، فهذا سبب تأخري فقال له أبن الزبير ..."[٩٣].

وبقية الرواية كما عند أبن الأثير .وهذه الروايات من حيث الضعف لا تختلف كثيراً عن رواية ابن عبد الحكم حيث يقول: صلى عبد الله بن سعد أبن أبي سرح بالناس صلاة المغرب بأفريقية " فلما صلى ركعتين سمع جلبة في المسجد فراعهم ذلك، وظنوا أنهم العدو فقطع الصلاة، فلما لم يَر شيئاً خطب بالناس ثم قال: إنّ هذه الصلاة احتضرت، ثم أمر مؤذنه فأقام الصلاة ثم أعادها"[٩٤]. وفي رواية ابن عذاري عن واقعة سبيطلة وقيادة عبد الله بن أبي سرح بعض الغمز للتقليل من قدرته القيادية[٩٥].

وكل الروايات سالفة الذكر حاولت بقصد أو بدون قصد التقليل من قدرة عبد الله بن سعد بن أبي سرح القيادية والمفاخرة بدور عبد الله بن الزبير في هذه الواقعة كما سنشير إلى ذلك. فليس من المعقول أن يصل مبعوث الخليفة وينتشر خبر وصوله في جميع المعسكر، بينما يظل ذلك خافياً على قائد الجيش، وفي الوقت نفسه لا يبادر مبعوث الخليفة عبد الله بن الزبير بلقائه بل نجد العكس أن عبد الله بن الزبير يدخل القتال مع المسلمين في صبيحة اليوم التالي ومن دون أن يعلم به أبن أبي سرح. وأما رواية أبن الحكم فهي رواية موضوعة ولا أساس لها من الصحة، ومخالفة لأصول الشرع الإسلامي فالآية الكريمة الآتية: ((وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائك ولتأتي طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا

---

(٩٢) الكامل: ٨٨/٣و ٨٩.

(٩٣) نهاية الأرب: ١٣/٢٤؛ وينظر ابن خلدون: العبر: ١٠٧/٦.

(٩٤) فتوح مصر والمغرب، ص٢٤٨.

(٩٥) البيان المغرب: ١٠/١.

معك وليا خذوا حذرهم وأسلحتهم ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة.))[٩٦] توضح كيفية الصلاة في أوقات الحرب.

إنّ القوات التي جاء بها مروان بن الحكم مدداً إلى ميدان المعركة أعطت للقوات العربية زخماً كبيراً في مواجهة القوات البيزنطية وهيأت للقيادة العسكرية فرصة لتغيير الخطة القتالية بعد مدة ليست بالقصيرة من القتال غير الحاسم والمناوشات المستمرة بين الطرفين، وتعتمد الخطة القتالية الجديدة على مبدأ الخدعة والمباغتة إذ قام أبن أبي سرح بتقسيم قواته إلى قسمين يبدأ قسم منها بالقتال على العادة من الصباح إلى حد الظهيرة، ويبقى القسم الثاني كامناً في مكان قريب من ميدان المعركة فإذا ما توقف القتال على العادة عند الظهيرة وأنسحب كل طرف إلى معسكره، وركن الجند إلى الراحة تبدأ القوات الكامنة بهجوم سريع ومباغت على القوات البيزنطية وحسب توجيهات القيادة[٩٧] وعلى أساس هذه الخطة دخلت القوات العربية المعركة الحاسمة مع البيزنطيين.

وقد نسب البعض هذه الخطة إلى عبد الله بن الزبير[٩٨] ونسبها آخرون إلى أحد الأقباط المرافقين للحملة[٩٩].

أختار أبن أبي سرح للقيام بالمعركة الحاسمة يوماً كان شديد الحرارة، وأستمر في قتال البيزنطيين ليتجاوز الوقت الذي أعتاد عليه الطرفان لإيقاف القتال " حتى لم يبقَ لأحد من الفريقين طاقة لحمل السلاح فضلاً عن القتال به "[١٠٠]. وعند ذلك فقط أمر أبن أبي سرح قواته بالعودة إلى معسكرها جرياً على العادة، فلما وضع البيزنطيون أسلحتهم وتركوا خيولهم واطمأنوا في خيامهم بدأت القوة الكامنة والمشكلة من خيرة الفرسان بالهجوم مستهدفين مقرات القيادة البيزنطية[١٠١]، في حين استهدفت قوة منها كانت تتكون من ثلاثين فارساً يقودها عبد الله ابن الزبير مقر جرجير[١٠٢]. فتمكن عبد الله بن الزبير من قتل جرجير في ميدان المعركة وتمكنت بقية القوات من اجتياح معسكر البيزنطيين فأنزلت فيهم خسائر فادحة، وأسرت أعداد كبيرة منهم، وقد روي عن ربيعة

---

(٩٦) سورة النساء، آية: ١٠٢.

(٩٧) ابن الأثير: الكامل: ٩٠/٣؛ النويري: المصدر السابق: ١٤/٢٤و١٥؛ ابن عذاري: المصدر السابق: ١١/١.

(٩٨) ابن الجوزي: المصدر السابق: ٣٤٤/٤؛ أبن الأثير، الكامل: ٩٠/٣؛ النويري: المصدر السابق:١٣/٢٤.

(٩٩) المالكي: المصدر السابق: ١٧/١.

(١٠٠) ابن الأثير: الكامل: ٩٠/٣؛ النويري: المصدر السابق: ١٤/٢٤و١٥.

(١٠١) المالكي: المصدر السابق: ٤٠/١، الدباغ: المصدر السابق: ٣٤/١؛ ابن الأثير: الكامل: ٩٠/٣؛ النويري: المصدر السابق: ١٤/٢٤و١٥؛ ابن عذاري: ١١/١.

(١٠٢) ابن الجوزي: المصدر السابق: ٣٤٤/٤؛ ابن عذاري: المصدر السابق: ١٠/١؛ الذهبي: تاريخ الإسلام: ٣١٨/٢و ٣١٩؛ ودول الإسلام، تحقيق: فهيم شلتوت: ٤٢/١.

الديلي – أحد المشاركين في المعركة – أنه قال: "لقد رأيت في موضع واحد ألف أسير[١٠٣]" وولت بقية الجيش البيزنطي منهزمة باتجاهات مختلفة[١٠٤].

وأسرعت قوة من الفرسان والمشاة لصد المنهزمين ومنعهم من دخول مدينة سبيطلة والاعتصام بها[١٠٥]. وأقام ابن أبي سرح بعد هذه العملية الناجحة بحصار من كان معتصماً بالمدينة ثم دخلها بعد معركة لم تكلف القوات العربية الكثير، وتم تطهيرها من القوات المعادية[١٠٦].

ومن المفيد الإشارة إلى أن المصادر تختلف في الرجل الذي قتل جرجير فهنالك من يقول بأن قتله كان على يد عبد الله ابن الزبير كما ذكرنا، وآخرين ذكروا أنّ قاتله كان رجل من الأنصار المشاركين في الحملة[١٠٧].

وينفرد المالكي وعنه نقل الدباغ برواية نصها "... فلما التقوا بالمسلمين نادى جرجير بالبراز فبرز إليه عبد الله بن الزبير، ومروان بن الحكم، فقتله ابن الزبير، ومنهم من قال: قتلاه جميعاً ثم كانت الهزيمة "[١٠٨].

وقد نقل حسين مؤنس عن توكسيل قوله: إن جرجيراً لم يقتل في ميدان المعركة، وأن أتباعه خلعوه بعد هزيمته في واقعة سبيطلة واختاروا بدلاً منه جناحه "جناديوس" لذلك لم يتمكن من البقاء في ولاية أفريقية لأن جناحه لم يسمح له بذلك، كما أنه لا يستطيع الذهاب إلى القسطنطينية خوفاً من العقاب الذي ينتظره بعد خروجه عن السلطة المركزية، ولذلك قرر تسليم نفسه إلى القوات العربية. ودخل مصر وبها مات سنة ٣٣هـ/٦٥٣م[١٠٩]. كما نجد لدى الكندي رواية تذكر أن جرجيراً قُتل على يد معاوية بن حديج من دون أن يحدد تاريخ ذلك أو الكيفية التي قُتل فيها[١١٠].

والحقيقة أن جرجيراً قُتل في ميدان المعركة كما سبق أن ذكرنا، ولو كان الحال عكس ذلك لأشارت المصادر التاريخية التي فصلت في أحداث المعركة ومقتل جرجير تفصيلاً وافياً .

---

(١٠٣) المالكي: المصدر السابق: ١٨/١.

(١٠٤) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص٢٤٧؛ البلاذري: المصدر السابق، ص٢٢٨؛ المالكي: المصدر السابق: ٢٤/١؛ ابن الجوزي: المصدر السابق: ٣٤٤/٤؛ الدباغ: المصدر السابق: ٣٨/١، أبن الأثير: الكامل: ٩٠/٣؛ ابن عذاري: المصدر السابق: ١٠/١و ١١؛ النويري: المصدر السابق: ١٥/٢٤.

(١٠٥) المالكي: المصدر السابق: ٢٠/١؛ أبن عذاري: المصدر السابق: ١١/١.

(١٠٦) المالكي: المصدر السابق: ٢٠/١؛ ابن الأثير: الكامل: ٩٠/٣؛ ابن عذاري: المصدر السابق: ١١/١؛ النويري، المصدر السابق: ١٦/٢٤.

(١٠٧) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص٢٤٨؛ أبن الأثير: الكامل: ٩١/٣؛ أبن عذاري: ١٢/١.

(١٠٨) رياض النفوس: ١٩/١؛ معالم الأيمان: ٣٥/١.

(١٠٩) فتح العرب للمغرب، ص٩٣.

(١١٠) كتاب الولاة وكتاب القضاة، ص١١.

أمّا مصير ابنة جرجير، فهو مرتبط بالشخص الذي قتل أباهتارة، سبق وأن ذكرنا أن قاتله هو عبد الله بن الزبير، وقيل أنه رجل من الأنصار، لذلك آلت إلى أحدهما، وعلى الرغم من ذلك فأن مصير أبنته ظل غامضاً، فلو كانت من نصيب عبد الله بن الزبير لعرفنا أخبارها أو أخبار عقبها كما عرفنا عقب سارة ابنة الملك الأندلسي القوطي(١١١). بينما نجد ابن عبد الحكم يشير إلى عبد الله بن الزبير تارة، والى رجل من الأنصار تارة أخرى، ويقول أن الأنصاري " أقبل بها منصرفاً قد حملها على بعير له، فجعل يرتجز ..

يأبنة جرجير تمشي عقبتك   إنّ عليك بالحجاز ربتك

لتحملن من قُباء قربتك

قالت: ما يقول هذا ...؟ فأخبرت بذلك فألقت نفسها من البعير التي كانت عليه، فدقت عنقها، فماتت(١١٢). وهنالك من يرجح خبر انتحارها بعد أن شاهدت قتل أبيها وهزيمة قواته، بل أن هنالك من ينكر وجودها أصلاً ويعدها مجرد أسطورة من أساطير الرواة والقصاص(١١٣).

ويبدو أن الانتصار الذي حققته القوات العربية في سبيطلة لم يحقق لها كامل أهداف الحملة، لذلك قام عبد الله بن أبي سرح بتنظيم قواته وأرسل عدة تشكيلات من الفرسان لمطاردة المنهزمين الذين اعتصموا بالمدن والقلاع المجاورة فبلغت هذه القوات مدينة قفصة في الجنوب وجازت إلى مدينة مرماجنة(١١٤)

---

(١١١) عبد الحميد: المرجع السابق: ١٥٨/١.

(١١٢) فتوح مصر والمغرب: ص٢٤٨.

(١١٣) مؤنس: المرجع السابق، ص٩٢و٩٧، جوليان: المرجع السابق: ١٧/٢.

(١١٤) مرماجنة: مدينة قديمة من مدن ولاية افريقيه فيها آثار كثيرة للأوائل تقع في منطقة كثيرة الزروع والخيرات، البكري: المغرب، ص١٤٥؛ الإدريسي: المصدر السابق، ١١٩/١؛ الأستبصار، ص١٦٢.

وبقية المناطق القريبة منها(١١٥)، كما قامت قوة أخرى بمحاصرة حصن الجم(١١٦)حصاراً شديداً واضطرت أهله على التسليم(١١٧).

كان من نتائج هذه الانتصارات أن لجأ معظم البيزنطيين إلى الحصون والمعاقل(١١٨)، واجتمعت أعداد كبيرة منهم في جزيرة باشو(١١٩)، ومنها أقلعوا هاربين إلى جزيرة قوصرة(١٢٠).

وخاف رؤوساء المدن الأفريقية على مصيرهم ومصالحهم فتعهدوا لأبن أبي سرح بدفع جزية سنوية مقدارها ثلاثمائة قنطار (١٢١) من الذهب(١٢٢). وفي رواية إنهم تعهدوا له بدفع ألفا ألف وخمسمائة ألف دينار (١٢٣). أي ما يعادل مليونين ونصفاً من الدنانير (١٢٤) وقيل أن الصلح قد تم على ألفي ألف وخمسمائة ألف وعشرين ألف دينار (١٢٥) أي بزيادة عشرين ألف دينار عن الرقم المذكور أنفا.

---

(١١٥) المالكي: المصدر السابق: ٢١/١؛ أبن الأثير: الكامل: ٩٠/٣؛ ابن عذاري: المصدر السابق: ٩/١؛ النويري: المصدر السابق: ١٦/٢٤؛ ابن خلدون: العبر: ١٠٠٥/٢.

(١١٦) حصن الجم ، حصن يقع بين سوسة وصفاقس، وهو حصن متين البناء ومن داخله كله مدرج تتخلله فتحات كثيرة للمراقبة والدفاع، ويبلغ ارتفاعه أربع وعشرين قامة. البكري : المغرب، ص٣١ ؛ الأستبصار ، ص١١٨ وسماه بحصن (لخم). رحلة التجاني، ص٥٧؛ ألحميري: المصدر السابق، ص١٢.

(١١٧) ابن الأثير: الكامل ٩٠/٣؛ النويري: المصدر السابق: ١٦/٢٤؛ ابن خلدون: العبر: ١٠٠٥/٢.

(١١٨) المالكي: المصدر السابق: ٢١/١؛ ابن عذاري: المصدر السابق: ١٢/١.

(١١٩)وهي المعروفة بجزيرة شريك نسبة إلى شريك العبسي الذي حررها وكان عاملاً عليها وقاعدتها مدينة باشو وهي مدينة كبيرة عامرة، وتقع الجزيرة بين مدينة سوسة وتونس. البكري ، المغرب ، ص٤٥. التجاني، المصدر السابق، ص١١و١٣.

(١٢٠) البكري، المغرب ص٤٥. وينظر: عبد الحميد، المرجع السابق ١٥٩/١.

(١٢١) القنطار = ١٠٠رطل ويساوي الرطل ١٢ أوقية وكل أوقية ٤٠ درهم، وإذا أطلق القنطار على كمية من الذهب فيكون حينئذٍ عشرة آلاف دينار ويساوي ٤٢.٣٣ كغم ذهب. فالتر هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ترجمة كامل العسلي، عمان، منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٦٨. ص٤٠.

(١٢٢) البلاذري، المصدر السابق، ص٢٢٨، المالكي، المصدر السابق ٢٠/١، ابن الأثير، الكامل ٩١/٣، الدباغ، المصدر السابق، ٣٤/١و٣٥ أبن عذاري، المصدر السابق ١٢/١، النويري، المصدر السابق ١٦/٢٤، ابن خلدون، العبر ١٠٠٦/٢.

(١٢٣) الناصري، المصدر السابق ٩٣/١.

(١٢٤) عبد الحميد، المرجع السابق ١٥٩/١.

(١٢٥) اليعقوبي، التاريخ، ١٦٥/٢، الطبري، المصدر السابق، ٥٩٧/٢، ابن كثير، المصدر السابق، ١٥٢/٧، ابن تغري بردي، المصدر السابق ٨٠/١. وقال ابن خياط ١٦٠/١ وأبن عساكر، ٣٨/٢٩، صالحهم على مائتي ألف رطل من الذهب.

وجاء في الصلح إنّ ما أصابه العرب قبل الصلح فهو لهم، وما أصابوه بعد الصلح ردوه إليهم(١٢٦).

وأمر عبد الله بن أبي سرح بعد أن أنجزت القوات العربية كافة المهمات القتالية بجمع الغنائم وإخراج الخمس منها، ووكل عبد الله بن عباس بتوزيع الغنائم على المقاتلين(١٢٧). فبلغ سهم الفارس من هذه الواقعة ثلاثة آلاف دينار وسهم الراجل ألف دينار (١٢٨)، وقال ابن الشماع: وكان سهم الفارس ألفا دينار وسهم الراجل ألف دينار (١٢٩).

أما ابن عساكر فقد ذكر أن سهم الفارس بلغ ثلاثة آلاف مثقال ذهب، وسهم الراجل ألف مثقال(١٣٠).

وهنالك من يعتقد أنّ هذه الأرقام مبالغ فيها كثيراً ولو صحت لوجب أن تكون قيمة الغنائم في هذه الحملة ما يقارب الأربعين مليون دينار، متخذاً بنظر الاعتبار إن نسبة الفرسان إلى الرجالة في جيش أبن أبي سرح الذي بلغ عشرين ألفاً لا تزيد على الربع إن لم تكن أكثر من ذلك بقليل، ومعروف أن جزية مصر جميعاً دون الإسكندرية لم تزد في أول الأمر على إثني عشر مليون دينار (١٣١).

وقد أثار تقسيم الغنائم وما قيل أن عبد الله بن أبي سرح قد أستحوذ عليه في أفريقية، ومن ثم مروان بن الحكم في المدينة المنورة، مشكلة كبيرة بين المسلمين فيذكر الطبري ومن نقل عنه مثل ابن الأثير (١٣٢)، وابن عذاري(١٣٣)، وغيرهما(١٣٤) أن الخليفة عثمان بن عفان (رض) وعد عبد الله بن أبي سرح بخمس الخمس نفلاً إن هو حرر أفريقية، فلما تم له الانتصار على جرجير أخذ خمس

---

(١٢٦) ابن عذاري، المصدر السابق، ١٢/١.

(١٢٧) المالكي، المصدر السابق ٦١/١، الدباغ، المصدر السابق ٣٥/١و١١١.

(١٢٨) ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص٢٤٧، ابن خياط، المصدر السابق ١٣٥/١، البلاذري، المصدر السابق ص٢٢٨، ابن مظهر المقدسي، المصدر السابق ١٩٩/٥؛ أبن الأثير، الكامل ٩٠/٣و٩١. السيوطي، تاريخ الخلفاء ١٥٥/١ الناصري، المصدر السابق ٣٦/١.

(١٢٩) الأدلة البينة النورانية، ص٤٢.

(١٣٠) تاريخ دمشق، ٣٨/٢٩، وينظر: ٣٧/٢٩ حيث النص: "للفارس ثلاثة آلاف دينار والراجل ألف دينار".

(١٣١) عبد الحميد، المرجع السابق ١٦٠/١.

(١٣٢) الكامل، ٩٠/٣،

(١٣٣) البيان المغرب ١٣/١.

(١٣٤) ابن الجوزي ، المصدر السابق، ٥٠/٥ وقال:وكان ذلك سبباً في قيامهم على الخليفة عثمان بن عفان (رض). وينظر :محمد بن يحيى بن أبي بكر المالقي: التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، تحقيق: محمود يوسف زايد ، دار الثقافة، الدوحة، ١٤٠٥هـ. ص٤٨ ، ابن كثير ، المصدر السابق ؛ ١٥١/٧ ، ابن خلدون ، العبر ١٠٠٥/٢ ، ابن تغري بردي ، المصدر السابق ٨٠/١.

الخمس وبعث بأربعة أخماسه إلى الخليفة عثمان بن عفان (رض) في المدينة مع ابن وثيمة النصري، فوفّد وفد إلى الخليفة عثمان بن عفان (رض) فشكوا عبد الله ابن أبي سرح فيما أخذ فقال لهم أنا نفلته وقد أمرت له بذلك " وذاك إليكم الآن فأن رضيتم فقد جاز وإن سخطتم فهو رد قالوا فإّنا نسخطه، قال فهو رد وكتب إلى عبد الله برد ذلك(١٣٥) ".

ويفهم من هذه الروايات إن شكوى الوفد عند الخليفة عثمان بن عفان (رض) وحسب ما يذكر الطبري ومن نقل عنه قد تمت وعبد الله بن أبي سرح في أفريقية، ومن هنا فقد اتهم حسين مؤنس عبد الله بن الزبير لأنه كان أول من وصل إلى المدينة المنورة حاملاً البشارة بالانتصار ثم يقول: " لقد رأينا أن الودّ لم يكن معقوداً بين ابن الزبير وابن أبي سرح في أفريقية، ورأينا الأول يقبل على معسكر المسلمين فلا يسلم على القائد، ثم يخاطبه في لهجة لا تخلو من شدة ورأينا ابن أبي سرح لا تكاد تسنح له الفرصة للخلاص من ابن الزبير حتى يسارع فيرسله إلى المدينة، ولاحظنا كذلك أن ابن الزبير لم ينس في آخر خطبته أن يقول إنّ مروان بن عبد الحكم صفق على غنائم الحملة كلها، فإذا أضفنا إلى ذلك أنّ المراجع تتفق على أن عبد الله بن عباس (رض) هو الذي قسم غنائم الحملة بين الجند، – وعبد الله بن عباس رجل له مقامه ولأشبهه في دينه ونزاهته – تبين أّنه من المستبعد أن يستطيع ابن أبي سرح أن يؤثر فيه وأن يجعله ينحرف هذا الانحراف، وكيف يتفق لمروان بن الحكم أن يصفق على الغنائم كلها في حين يقوم بتقسيمها عبد الله بن عباس وأين شكوى هذا الأخير وهو أحق الناس بالشكوى والاعتراض ؟ ثم أنّ لدينا رواية أخرى لأبن عبد الحكم ساقها في رواية لا يرقى إلى صدقه شك وهو ابن لهيعة تدل على أن توزيع الفيء كان يجري بغاية الدقة والنزاهة، فكيف يتفق هذا مع ما حدث وشاع ذكره من إساءة التصرف في غنائم الحملة وأخذ عبد الله بن سعد خمس الخمس لنفسه ؟(١٣٦) " وواضح أن حسين مؤنس قد أتهم عبد الله بن الزبير بترويج مسألة الغنائم والتلاعب بها ومعروف أن خطبة أبن ألزبير التي ألقاها أمام الناس وبحضور الخليفة عثمان بن عفان (رض) تضمنت نصاً يشير إلى أن مروان بن الحكم قد صفق على الخمس(١٣٧)، ومن هنا أيضاً يمكن أن تعتبر خطبة ابن الزبير أمام الناس والخليفة في المدينة المنورة هي الأخرى قد أصابها الكثير من التحريف خاصة فيما يتعلق بالغنائم، إذ ليس من المعقول أن يتجرأ عبد الله بن الزبير على قول ذلك والقائم على تقسيم الغنائم هو عبد الله بن عباس(١٣٨)، ولكن مؤنس لا يستبعد العبث في الأموال الواصلة من أفريقية إلى المدينة المنورة خاصةً وأن مروان بن الحكم كان على بيت المال حينذاك،

---

(١٣٥) الطبري، المصدر السابق ٥٩٧/٢و٥٩٨ والرواية منقولة عن الواقدي.

(١٣٦) فتح العرب للمغرب، ص١٠٣و١٠٤.

(١٣٧) حول نص الخطبة ينظر: ابن الجوزي، المصدر السابق، ١٤٣/٤. أبن أبي الضياف، المصدر السابق، ص ٧٩و ٨٠ ، صفوت، جمهرة خطب العرب، ٦٢٨/٣.

(١٣٨) المالكي: المصدر السابق ٦٦/١؛ الدباغ: المصدر السابق ٣٥/١و١١١.

وكان سبباً من أسباب سخط الناس على الخليفة عثمان بن عفان (رض) وتعليل هذا أن عثمان بن عفان (رض) "كان رجلاً مسناً لا يكاد يفطن إلى عبث مروان وقد يكون قد تهاون في الرقابة على بيت المال حتى أصاب منه آل الحكم نصيباً وافراً ... وإذا تذكرنا عظم الغنيمة التي أصابها المسلمون من أفريقية لم نستبعد أن يشك الناس في أن تقسيم هذا الفيء قد سار بالقسطاس، بل لا نستبعد أن يختلف أبن الزبير على أبن أبي سرح ذلك وينشره بين الناس ليثير سخطهم عليه ... ومن هنا لا نستبعد أن يكون أبن الزبير قد لقي في المدينة نفراً من الساخطين على عثمان (رض) فأجتمع سخطه إلى سخطهم فنشأت هذه ألفرية ونمت وانتشرت على عثمان وعامله في مصر وافريقية [١٣٩]".

وعلى أية حال فأن مسألة الغنائم وما أثير حولها تبدو موضوعة من قبل الرواة ولا أساس لها من الصحة ودوافع ذلك كثيرة وإن كنا لا نرى إن لأبن الزبير يداً في ذلك، لأن ابن الزبير كان في بداية حياته من الظهور والشهرة، ولم يكن طامعاً في شيء خلال هذه الفترة المبكرة من حياته.

وقد أستشهد في هذه المعركة عدد من الرجال المشهورين منهم: الشاعر أبو ذويب الهذلي[١٤٠]، ومعبد بن العباس[١٤١].

وذكر ابن الأثير أن عدد شهداء الجيش كان ثلاثة شهداء فقط[١٤٢] غير أنّ الدلائل وطول القتال بين الطرفين تشير إلى أعداد أكبر بكثير من هذا العدد، وقد يكون في رواية ابن الأثير تحريف فكتب ثلاثة بدلاً من ثلاثمائة، والرقم الأخير يبدو معقولاً على أية حال[١٤٣].

أما النويري فيقول: " ولم يفقد من المسلمين إلاّ أناس قلائل "[١٤٤]. ومن الرجال الذين أبلوا بلاًءحسناً في المعارك الدائرة في سبيطلة، عبد الله بن ألزبير قاتل جرجير كما قيل ومبعوث أبن أبي سرح إلى المدينة المنورة بالبشارة والنصر[١٤٥] والمقداد بن عمرو بن ثعلبة البهراني، وحمزة بن عمرو الأسلمي، وربيعة بن عباد الدؤلي، وعاصم بن عمر بن الخطاب[١٤٦] (رضي الله عنهم).

---

(١٣٩) فتح العرب، المغرب، ص١٠٤و١٠٥.

(١٤٠) ابن الأثير، الكامل ٩١/٣.

(١٤١) البلاذري، المصدر السابق ص ٢٣٠.

(١٤٢) الكامل، ٩١/٣.

(١٤٣) المالكي، المصدر السابق ٢٦/١، الدباغ، المصدر السابق ٤٠/١ وينظر: مطلوب، واقعة سبيطلة ص٢١٠.

(١٤٤) نهاية الإرب، ١٨/٢٤.

(١٤٥) ابن خياط، المصدر السابق ١٦٠/١، المالكي، المصدر السابق ٢٠/١و٢١ الدباغ، المصدر السابق ٣٦/١. ابن الأثير، الكامل ٩١/١، ابن الأثير، الكامل ٩١/١، ابن عذاري، المصدر السابق ١٢/١.

(١٤٦) ينظر: المالكي، المصدر السابق ٧/١و٧٥و٧٩و١٤١.

دامت هذه الحملة مدة قاربت الخمسة عشر شهراً [(١٤٧)]، وقيل سنة وشهرين[(١٤٨)]، وقيل أقام بها ستة أشهر[(١٤٩)]، والرواية الأولى أكثر ترجيحاً من غيرها.

وأمر ابن أبي سرح قواته بالعودة إلى مصر وكتب إلى نائبه في مصر عقبة بن عامر الجهني بإرسال المراكب في البحر فوافته عند سواحل طرابلس، فحملت الغنائم وأثقال الجيش ومن ليس له طاقة على المسير، ثم واصل عبد الله أبن أبي سرح وقواته سالكين الطريق البري عبر برقة إلى مصر[(١٥٠)].

حسين مؤنس على عودة عبد الله بن أبي سرح إلى مصر، واكتفائه بما حققه من الغنيمة، وما عقده من الصلح مع رؤوساء أفريقية من دون أن يفكر في فتح مدن أخرى مثل مدينة قرطا جنة بقوله: إن واقعة سبيطلة لم تفتح للعرب كل سهل تونس بل جزءاً محدوداً منه، يحدده الخط الممتد من مدينة سوسة من الشمال، ثم من سبيطلة إلى قفصة شرقاً فضلاً عن شريط ساحلي ضيق محصور بين قابس وشط الجريد من الجنوب ويلي ذلك في الأقسام الشمالية مدن وحصون ومسالح على اتصال دائم بالبحر تستطيع أن تقاوم مدة طويلة وربما خاف أبن أبي سرح إن هم تقدموا شمالاً أن تتحرك قبائل المغرب من الجنوب فيقعوا بين عدوين، والشيء الآخر أنّ الحملة استغرقت مدة طويلة في حدود السنة والنصف، وكانت غنائمها كبيرة لذلك يرى مؤنس أن الجند كانوا حريصين أشد الحرص للعودة بغنائمهم سالمين إلى مصر، وأنهم كانوا يخافون أن يهاجمهم البيزنطيون أو قبائل المغرب فيسلبوا منهم ذلك، كما لم يستبعد مؤنس سبب فتور العلاقة بين أبن أبي سرح وعبد الله بن الزبير ومحاولة كلاهما السيطرة على الآخر وقيادة الجند، مما دفعت ابن أبي سرح بالتعجيل بالعودة، وقلة القوات العربية والإنهاك الذي أصابها، واتصال الحاميات البيزنطية في المدن والمسالح بعضها ببعض في محاولة منها للتحرش بقوات ابن أبي سرح، كل هذه الأسباب دفعت عبد الله بن أبي سرح بالعودة إلى مصر بعد أن أبرم الصلح مع زعماء ولاية أفريقية وقبض منهم المال المتفق عليه[(١٥١)]. ويخلص مؤنس بعد ذلك إلى القول: " لم يوفق عبد الله بن سعد فيما قصد إليه من فتح أفريقية، ولم تزد حملته على غارة طال أمدها وكثرت أحداثها، ولكنها انتهت دون أن تخلف وراءها أثراً كبيراً "[(١٥٢)] ويقول سالم:" ومع

---

(١٤٧) ابن الأثير، الكامل ٩١/٣، النويري، المصدر السابق، ١٨/٢٤.

(١٤٨) المالكي، المصدر السابق ٢٧/١. الدباغ، المصدر السابق ٤٢/١ وقال أبن خلدون في العبر: ١٠٠٥/٢ "سنة وثلاثة أشهر".

(١٤٩) ابن الشماع، المصدر السابق ص٤٣ وينظر: مطلوب، واقعة سبيطلة ص٢١٢.

(١٥٠) المالكي، المصدر السابق ٢٧/١، الدباغ، المصدر السابق ٤٢/١.

(١٥١) فتح العرب للمغرب، ٩٩-١٠٢.

(١٥٢) المرجع نفسه، ص١٠٦.

ذلك فأن حملة عبيد الله بن أبي سرح كانت تجربة مفيدة للعرب إذ أوقفتهم على حاله هذه البلاد وعلى مدى أهميتها بالنسبة لهم(١٥٣).

وعلى الرغم من كون إن عبد الله أبن أبي سرح كان قد غادر الأراضي المحررة ولم يتخذ فيها قاعدة متقدمة للقوات العربية، أو يخلف وراءه حاميات عسكرية، فإن واقعة سبيطلة كانت أول واقعة كبيرة أنتصف فيها العرب المسلمون من القوات البيزنطية على أرض المغرب العربي، وقد تجلت في هذه الواقعة قدراتهم العالية على الصبر والتحمل بما يفوق الوصف، وعبقريتهم العسكرية التي تجاوزت كل الصعاب وسخرت معطياتها وبكفاءة لصالحها ومن ثم لتنتزع نصراً حاسماً ما كان تحقيقه بالأمر الهين لولا عبقرية القيادة العسكرية وحكمتها في التعامل مع تلك المعطيات(١٥٤) ومن ثم فهي من المعارك التي كسرت شوكة القوات البيزنطية وهيبتها على الساحة المغربية(١٥٥).

وقد حققت واقعة سبيطلة أهدافها العسكرية بالقضاء على القوات البيزنطية في المنطقة، وحققت أهدافها الأمنية بتأمين حدود مصر الغربية من أخطار القوات البيزنطية(١٥٦). فضلاً عن ذلك دخول بعض زعماء المغرب في الإسلام ومشاركتهم في حروب التحرير، فقد ذكر أبن خلدون أنّ وزمار بن صقلاب أمير مغراوة قد أسرّ في هذه الواقعة ثم أسلم على يد الخليفة عثمان بن عفان (رض) فأمّره على قومه للجهاد في سبيل الله(١٥٧).

٢- واقعة دنقلة سنة ٣١هـ/٦٥١م:

وصل عبد الله بن أبي سرح إلى مصر، وشغل في السنوات التالية بتأمين حدود مصر الجنوبية، فجهز حملة كبيرة توغلت في أرض النوبة وتمكنت بعد معارك عنيفة في سنة (٣١هـ/٦٥١م) من دخول قاعدة بلادهم دنقلة(١٥٨)، والاتفاق مع أهلها على صلح عرف في المصادر التاريخية باسم صلح البقط، ويعني العهد أو الضريبة العينية حيث نصّ الاتفاق، الذي عقده معهم عبد الله بن أبي سرح على " ... عاهدناكم وعاقدناكم أن توفونا في كل سنة ثلاثمائة رأس وستين رأساً وتدخلوا بلادنا مجتازين غير مقيمين. وكذا ندخل بلادكم، على أنكم إن قتلتم من

---

(١٥٣) تاريخ المغرب الكبير، ١٧٤/٢.

(١٥٤) مطلوب: واقعة سبيطلة، ص٢١١.

(١٥٥) أبن عذاري: المصدر السابق، ١٢/١.

(١٥٦) مطلوب: واقعة سبيطلة، ص٢١٢.

(١٥٧) العبر، ٢١٥/٦، وينظر: بونار، رابح بن أحمد، المغرب العربي تأريخه وحضارته، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر، ١٩٨١ ص٢١و٢٢.

(١٥٨) ابن عبد الحكم: المصدر السابق ص٢٥٣. وقد أصيب في هذه المعارك معاوية بن حديج وفقد أحد عينيه وجماعة من العسكر كما ذكر أبن عبد الحكم، وينظر: الكندي، المصدر السابق، ص٣٦.

المسلمين قتيلاً فقد برأت منكم الهدنة، وعلى إن آويتم للمسلمين عبداً فقد برأت منكم الهدنة، وعليكم ردّ أبأق المسلمين، ومن لجأ إليكم من أهل الذمة." [١٥٩] وفي رواية أن الصلح كان على أربعمائة رأساً من العبيد في كل سنة ولوالي البلد أربعون رأساً منها[١٦٠].

٣ – واقعة ذي الصواري البحرية سنة ٣٤هـ/٦٥٤م:

وهي آخر الحملات العسكرية التي قادها عبد الله بن أبي سرح ضد القوات البيزنطية وهي من المعارك المشهورة في التاريخ الإسلامي، دارت رحاها في البحر المتوسط من ناحية زواره وهي من مدن سواحل طرابلس الغرب غير بعيد عن الحدود التونسية[١٦١].

وكان الأسطول البيزنطي بقيادة الإمبراطور قسطنطين الثاني بن هرقل وهدفهم استخلاص مدينة الإسكندرية من العرب، واختلفت المصادر في تقدير عدد مراكب القوات البيزنطية فقيل أنهم كانوا في ألف مركب[١٦٢] وقيل في خمسمائة مركب وقيل في ستمائة[١٦٣] وقيل في سبعمائة مركب[١٦٤]، في حين كانت قوات العرب لا تتعدى ألمائتي مركب[١٦٥].

وعلى الرغم من المبالغة في عدد مراكب البيزنطيين فالذي لا شك فيه أن القوات البيزنطية البحرية كانت تفوق القوات العربية من ناحية العدد والعدة خاصة وأن قائد الحملة هو الإمبراطور نفسه، والهدف كبير هو استعادة مدينة الإسكندرية إلى حظيرة الإمبراطورية البيزنطية.

أعتمد أبن أبي سرح أسلوباً عسكرياً متميزاً في قتال البيزنطيين فقد أنزل أبن أبي سرح عند شاطيء ذات الصواري نصف العسكر وجعل عليهم بسر بن أبي أرطأة وحمل كل مركب نصف شحنته[١٦٦]، ويعتقد عبد الحميد إنّ قوة بسر بن أبي أرطأة توجهت ناحية الغرب دون الإشارة إلى

---

(١٥٩) ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص٢٥٤، وينظر: الكندي، المصدر السابق ص٣٦.

(١٦٠) ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص٢٥٤؛ وينظر: المقريزي، تقي الدين أحمد بن أحمد بن علي، الخطط، طبعة بولاق ٣٩٨/١.

(١٦١) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والاجتماعي: ٢٦٢/١؛ عبد الحميد، المرجع السابق ١٦٣/١و١٦٤.

(١٦٢) ابن عبد الحكم: المصدر السابق ص٢٥٨، الكندي: المصدر السابق ص٣٦.

(١٦٣) الطبري: المصدر السابق، ٦١٩/٢؛ ابن كثير، المصدر السابق، ١٥٧/٧. ابن خلدون: العبر: ١٠٠٦/٢، أبن تغري بردي، ٨٠/١.

(١٦٤) الكندي: المصدر السابق: ص٣٦.

(١٦٥) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص٢٥٦؛ الكندي: المصدر السابق ص٣٦. ابن أياس ، محمد بن احمد: بدائع الزهور في وقائع الدهور ، بولاق ، ١٣١١هـ ، ٢٣/١.

(١٦٦) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص١٥٥.

المهمات التي وكلت بها[١٦٧]، ويبدو أن أبن أبي سرح قد كلف بسر أبن أبي أرطأة بمراقبة وحماية الساحل ولمنع القوات البيزنطية من القيام بأي عمل تخريبي قد يؤثر عل سير العمليات العسكرية البحرية. ومن ثم قام عبد الله بن أبي سرح وجنده بمقاتلة البيزنطيين قبل الالتحام برشقهم بالنبال[١٦٨]، ثم عمدت القيادة العسكرية إلى جعل ميدان المعركة في البحر للتغلب على العدد الكبير لمراكب الروم ميداناً وكأنه على الأرض، وذلك عن طريق أقران المراكب الحربية العربية بالمراكب البيزنطية بالسلاسل وهكذا أشتد القتال بالسيوف والأسلحة الأخرى[١٦٩] وتمكنت القوات العربية من تحقيق حاسم على القوات البيزنطية، مع مساعدة الظروف الجوية التي عصفت بعدد كبير من مراكب البيزنطيين وأغرقتها، وجنحت سفينة القيادة وفيها الإمبراطور البيزنطي فألقته الريح بجزيرة صقلية[١٧٠].

وتعد موقعة ذي الصواري بداية الخلل في القوات العربية في ولاية مصر وخروج بعضهم على عثمان بن عفان (رض) فقد رفض عبد الله بن أبي سرح أن يركب معه جماعة من أبناء الصحابة وغيرهم من مشاهير الرجال مثل محمد بن أبي بكر الصديق، ومحمد بن أبي حذيفة، فاضطروا إلى ألركوب في مراكب ليس فيها إلاّ العامة من الناس، ممّا أثار حفيظة مثل هؤلاء الرجال، فتكلموا في عبد الله بن أبي سرح والخليفة عثمان بن عفان (رض)، وأظهروا مالم يكونوا يستطيعون إظهاره[١٧١] وباستشهاد الخليفة عثمان بن عفان في سنة ٣٥هـ/٦٥٦م شمل الاضطراب دار الخلافة وبعض الولايات، وكانت مصر من تلك الولايات التي أصابها الاضطراب فعزل عبد الله بن أبي سرح عن الولاية وتولاها قيس بن عبادة الأنصاري في سنة ٣٦هـ/٦٥٧م وأعتزل أبن أبي سرح الأحداث حتى وفاته بعسقلان في السنة المذكورة[١٧٢].

---

(١٦٧) تاريخ المغرب العربي، ١٦٣/١.

(١٦٨) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص٢٥٦.

(١٦٩) ابن عبد الحكم: المصدر نفسه، ص٢٥٧؛ الطبري: المصدر السابق، ٦١٩/٢.

(١٧٠) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص٢٥٨؛ ابن الأثير: الكامل، ٩٢/٣. وينظر : العدوي ، الاساطيل العربية في البحر المتوسط ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص٤٢. الحموي ، محمد ياسين ؛ تاريخ الاسطول العربي ، دمشق ، مطبعة الترقي ، ١٩٤٥ ، ص١٥.

(١٧١) الطبري: المصدر السابق، ص٢٥٨؛ أبن الأثير: الكامل، ٩٢/٣؛ أبن كثير: المصدر السابق، ١٥٨/٧؛ ابن خلدون، العبر، ١٠٠٦/٢.

(١٧٢) ابن يونس: المصدر السابق، ق١ ص٢٦٩و٢٧٠، أبن عبد البر: المصدر السابق، ٩١٨/٣؛ أبن الأثير: أسد الغابة، ٢٥٩/٣؛ أبن حجر: الإصابة، ١٠٩/٤.

الفصل الرابع

ولاية مصر بعد عبد الله بن أبي سرح

١-ولاية عمرو بن العاص الثانية على مصر.

٢-حملة معاوية بن حديج.

٣-تقويم حملة معاوية بن حديج.

ولاية مصر بعد عبد الله بن أبي سرح:

بدأت بوادر الفتنة والطعن على الخليفة عثمان بن عفان (رض) من ولاية مصر وبدأ ذلك بعد واقعة ذات الصواري إذ بدأ الناس يجاهرون بانتقاد سياسة الخليفة وما خالف به أبا بكر وعمر (رضي الله عنهما) فخرج عبد الله بن أبي سرح إلى المدينة المنورة وأستخلف على مصر عقبة بن عامر الجهني وقيل أستخلف عليها السائب بن هشام العامري، وكان ذلك في رجب سنة ٣٥هـ/٦٥٥م[1]. وقد أستغل محمد بن أبي حذيفة هذه الظروف فقام في شوال سنة ٣٥هـ/٦٥٥م بطرد عقبة بن عامر الجهني من الفسطاط ودعا إلى خلع الخليفة عثمان بن عفان (رض) وحرضّ عليه بكل شيء حتى أسعر البلاد، وفي رواية للكندي " إنّ أبا حذيفة كان يكتب الكتب على ألسنة أزواج النبي صلى الله عليه وسلم. ثم يأخذ الرواحل فيضمرها، ثم يأخذ الرجال الذين يريد أن يبعث ذلك معهم فيجعلهم على ظهور البيوت. فيستقبلون بوجوههم الشمس لتلّوحهم تلويح المسافر. ثم يأمرهم أن يخرجوا إلى طريق المدينة بمصر. ثم يرسلون رسلاً يخبرون بهم الناس ليلقوهم، وقد أمرهم إذا لقيهم الناس أن يقولوا: ليس عندنا خبر، الخبر في الكتب ثم يخرج محمد بن أبي حذيفة والناس كأنه يتلقى رسل أزواج النبي، عليه السلام، فإذا لقوهم قالوا: لا خبر عندنا، عليكم بالمسجد. فيقرأ عليهم كتب أزواج النبي. فيجتمع الناس في المسجد اجتماعا ليس فيه تقصير. ثم يقوم القاري بالكتاب فيقول: إّنا لنشكو إلى الله وإليكم ما عمل في الإسلام، وما صنع في الإسلام. فيقوم أولئك الشيوخ في نواحي المسجد بالبكاء. ثم يقول ثم ينزل عن المنبر. وينفر الناس بما قرء عليهم "[2]. وأضطر على أثر ذلك جماعة من القادة وكبار الناس إلى اعتزال محمد بن أبي حذيفة ومناصرة الخليفة عثمان بن عفان (رض) والدفاع عنه، وكان من هؤلاء الجماعة معاوية بن حديج، وبسر بن أبي أرطأة، ومسلمة بن مخلد الأنصاري وخارجة بن حذافة. وجماعة آخرين. وأرسل هؤلاء وفداً إلى المدينة المنورة يعلمون الخليفة عثمان بن عفان (رض) بما يجري في مصر وما يثيره محمد بن أبي حذيفة من الفتنة في البلاد. فبعث إليهم سعد بن أبي وقاص غير أنه لم يتمكن من دخول الفسطاط وعاد دون أن يفعل شيئاً[3]. وأقبل أيضاً عبد الله

---

(١) الكندي: المصدر السابق، ص٣٨. وينظر ؛ ابن قتيبه ، المصدر السابق ص٩٤ الخزرجي ، صفي الدين احمد بن عبدالله ؛ خلاصه تذهيب الكمال ، القاهرة ، المطبعة الخيرية ، ١٣٢٢ ص٢٢٧. السيوطي حسن المحاضرة : ١٠٣/١.

(٢) كتاب الولاة وكتاب القضاة، ص٣٨و٣٩، وينظر: المقريزي: الخطاط: ٣٣٥/٢.

(٣) الكندي: المصدر السابق، ص٣٩و٤٠.

بن أبي سرح حتى بلغ جسر القلزم فمنعه أبن أبي حذيفة من دخول مصر [1] فغادرها إلى عسقلان وظل هنالك إلى أن توفي بها سنة ٣٦هـ كما سبق أن ذكرنا.

وجرت بعد ذلك أمور كثيرة شملت ولاية مصر وانتهت بمقتل الخليفة عثمان بن عفان (رض) في ذي الحجة سنة ٣٥هـ/ ٦٥٥م فتزعم معاوية بن حديج أنصار الخليفة عثمان بن عفان (رض) وكان أول من بايع على الطلب بدم عثمان[2] وجرت بعد ذلك وقائع بين معاوية بن حديج وأتباعه ومحمد بن أبي حذيفة وقواته وظل الوضع في سوء واضطراب حتى قتل محمد بن أبي حذيفة سنة ٣٦هـ/٦٥٦م[3].

ثم ولي مصر قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري من قبل الخليفة علي بن أبي طالب (رض) فدخلها في ربيع الأول سنة ٣٧هـ/٦٥٧م. فقام بعده إجراءات من شأنها إصلاح الأمور في الولاية ، فهادنه معاوية بن حديج وأتباعه ، وبعث إليهم بأعطياتهم ، وحفظ لهم مكانتهم بين الناس[4].

ولم تطل ولاية قيس بن سعد على مصر فعزل بعد أن تولاها، الأشتر مالك بن الحارث، فمات قبل دخولها وقيل أنه مات مسموماً من شربة عسل[5].

ولّي ولاية مصر بعده محمد بن أبي بكر الصديق فدخلها في رمضان سنة ٣٧هـ/٦٥٨م، وبعث محمد بن أبي بكر الصديق إلى معاوية بن حديج وأتباعه لأخذ البيعة منهم للخليفة علي بن أبي طالب (رض)، فلم يجيبوه لذلك، فأمر بهدم دورهم ونهب أموالهم[6] وجرت بعد ذلك حروب كثيرة انتهت بقتل محمد بن أبي بكر الصديق في واقعة المسناة من صفر سنة ٣٨هـ/ ٦٥٩م[7]. وبمقتل محمد بن أبي بكر الصديق آلت ولاية مصر إلى أتباع معاوية بن أبي سفيان فعين عليها عمرو بن العاص.

---

(١) المصدر نفسه، ص٤٠.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٢.

(٣) المصدر نفسه، ص٤٣.

(٤) المصدر نفسه، ص٤٥.

(٥) المصدر نفسه، ص٤٧و٤٨.

(٦) المصدر نفسه، ص٥٠و ٥١.

(٧) المصدر نفسه، ص٥٢و٥٣.

١. ولاية عمرو بن العاص الثانية على مصر:

تولى عمرو بن العاص ولايته الثانية على مصر في شهر ربيع الأول سنة ٣٨هـ/٦٥٩م ولاه عليها الخليفة معاوية بن أبي سفيان وجعل إليه الصلاة والخراج جميعاً ، وجعلت له مصر طعمه بعد عطاء جندها والنفقة على مصلحتها[١].

وقيل في سبب هذا التعيين أن عمرو بن العاص كان قد اشترط على معاوية ابن أبي سفيان الانضمام إلى جانبه في صراعه على الخلافة على أن يعطيه مصدر طعمه له مادام حياً فوافق معاوية على ذلك فمنحه ولاية مصر وفق ذلك الشرط، وقد ذكر اليعقوبي أن الشرط ينص على إعطاء عمرو بن العاص مصر، " أعطاه أهلها وهم له حياته ... فكان عمرو لا يحمل إليه من مالها شيئاً "[٢].

لا يؤثر لعمرو بن العاص في ولايته الثانية هذه حملات كبيرة نحو أفريقية، واكتفى بإرسال السرايا من الفرسان لتتوغل في العمق وفي المناطق التي سبقت للقوات العربية وإن دخلتها في حملة سبيطلة ويعلل البعض ذلك إلى كبر سن عمرو بن العاص وانشغاله بشؤون المشرق أكثر من انشغاله بشؤون أفريقية، ولذلك اكتفى عمرو بن العاص بتجهيز السرايا لتأمين المناطق المحررة والإغارة على المناطق التي حاولت الخروج عن الطاعة بسبب انشغال ولاة مصر بما آلت إليه أوضاع الخلافة بعد استشهاد الخليفة عثمان بن عفان (رض).

ففي سنة ٤٠هـ/٦٦٠م. خرج شريك بن سمي المرادي على رأس سرية توغلت في مناطق قبائل لواتة، فأخضعهم للطاعة[٣].

وفي سنة ٤١هـ/٦٦١م قاد معاوية بن حديج قوة توغلت في ولاية أفريقية وعادت بعد أن أنجزت مهماتها في إخضاع بعض المناطق واستطلاع المنطقة[٤]. وقاد عقبة بن نافع الفهري حملة أخرى في السنة نفسها توغلت في مناطق لواتة فقاتلهم حتى هزمهم فسألوه أن يصالحهم ويعاهدهم فأبى عليهم لأنهم نقضوا العهد، وقال لهم ليس لمشرك عهد عندنا والله يقول في كتابه

---

(١) الكندي: المصدر السابق، ص٥٤. وينظر: ابن الأثير: أسد الغابة: ٢٤٦/٤.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢٢١/٢. للمزيد من التفصيلات حول مبررات طلب عمرو بن العاص من معاوية بن أبي سفيان. مصر طعمة له ينظر: ابن عساكر: المصدر السابق: ١٦٧/٤و١٧٠، محمد بن عبد الله بن الآبار القضاعي ابن الآبار: الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، القاهرة، ١٩٦٣:١/١٦.

(٣) الكندي: المصدر السابق، ص٥٥.

(٤) ابن عذارى: المصدر السابق: ١٥/١.

الكريم: ((كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ))[١] ولكن أبايعكم على أنكم " توفوني وذمتي إن شئنا أقررناكم وإن شئنا بعناكم "[٢].

وفي سنة ٤٣هـ/٦٦٣م قاد عقبة بن نافع الفهري حملة توغلت في منطقة غدامس، وفي السنة نفسها سار شريك بن سمي باتجاه لبدة فأقرّ الأمن في تلك المناطق[٣]. وبهذه العمليات العسكرية النافذة بأمر القائد الأعلى عمرو بن العاص تمكنت القوات العربية من الحفاظ على مناطق نفوذها في أفريقية بعد حالة الاضطراب نتيجة انشغال الولاة بأحداث الخلافة في المشرق.

توفي عمرو بن العاص ليلة عيد الفطر سنة ٤٣هـ/٦٦٣م[٤]، وأستخلف قبل وفاته على مصر ابنه عبد الله[٥]، ثم وليها عقبة بن أبي سفيان من قبل أخيه الخليفة معاوية وتوفي بها في ذي الحجة سنة ٤٤هـ/٦٦٤م ثم أعقبه عقبة بن عامر الجهني[٦] فتولى معاوية بن أبي حديج[٧] قيادة جيوش المغرب في سنة ٤٥هـ/٦٦٥م.

ويعد معاوية بن حديج من مشاهير القادة الذين شاركوا في حروب التحرير في مصر وأفريقية والنوبة وفي ذات الصواري وقاد عدة حملات في ولاية عمرو بن العاص الثانية لإخضاع بعض المناطق التي خرجت عن الطاعة، كما سبق أن أشرنا.

---

(١) سورة التوبة، آية: ٩ والآية: " كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ".

(٢) الكندي: المصدر السابق، ص٥٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٥و٥٦؛ ابن خلدون: العبر: ١٠/٣.

(٤) الكندي: المصدر السابق، ص٥٧؛ ابن الأثير: أسد الغابة:٢٤٦/٤.

(٥) الكندي: المصدر السابق، ص٥٧. وعبد الله بن عمرو بن العاص يكنى أبا محمد شارك في تحرير مصر وفي واقعة سبيطلة ويقول ابن يونس: ولي مصر بعد أبيه نحو سنتين ثم عزله معاوية بن أبي سفيان عنها فأنتقل إلى مكة ومات بها سنة ٦٥هـ/٦٨٤م تاريخ ابن يونس الصدفي، ق٢٧٧/١. ابن عبد البر: المصدر السابق ٩٥٧/٣.

(٦) الكندي: المصدر السابق، ص٥٧و٥٩. وعقبة بن عامر الجهني يكنى أبا عبس، صحابي روى عن الرسول (ص) كثيراً وشارك في تحرير مصر وفي واقعة سبيطلة وغيرها من الوقائع في أفريقية، توفي بمصر سنة ٥٨هـ/٦٧٧م. روى عنه جماعة من أهل مصر. تاريخ بن يونس: ق٣٤٥/١: ابن الأثير: أسد الغابة، ٥٣/٤.

(٧) معاوية بن حديج بن جفنة السكوني يكنى أبا نعيم، يعد في الصحابة وفد على رسول الله (ص) وشارك في تحرير مصر وكان الرسول إلى المدينة بخبر تحرير الإسكندرية وشارك في حروب دنقلة من بلد النوبة مع عبد الله بن أبي سرح وفقد إحدى عينيه وشارك في واقعة ذات الصواري وغيرها من الوقائع قبل أن يتولى قيادة جيوش المغرب. توفي سنة ٥٢هـ/٦٧٢م. تاريخ ابن يونس ق٤٧٧/١. أبن عبد البر: الاستيعاب ١٤٠٢/٣. أبن الأثير ، أسد الغابة ، ١٩٣/٥. وينظر: حازم غانم حسين: معاوية بن حديج السكوني وجهوده في بناء معسكر القرن في أفريقية، بحث منشور في مجلة التربية والعلم، جامعة الموصل، كلية التربية، العدد ١٦، ١٩٩٤، ص١٦٣ وما بعدها.

وقبل الشروع بالحملة التي قادها معاوية بن حديج وأهدافها، نرى من المفيد البحث في الأحوال العامة لأفريقية وما كانت عليه أوضاعها السياسية، والاقتصادية، والعسكرية قبل دخول معاوية بن حديج إليها.

فمن المعروف أن واقعة سبيطلة انتهت بصلح تعهد بموجبه رؤوساء المدن الأفريقية بدفع مبلغ من المال مقداره ثلاثمائة قنطار من الذهب، وتولى جناحه "أجناديوس" خليفة جرجير على البلاد بإبرام هذا الاتفاق نيابة عن سكانها. وعندما أنسحب عبد اللهبن أبي سرح عائداً إلى مصر تواصلت أخبار هذا الاتفاق والصلح المبرم بين الطرفين إلى الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الثاني "٢١هـ – ٤٨هـ/٦٤١-٦٦٨م" فأرسل وتحت ضغط الظروف الاقتصادية والضائقة المالية قائداً من قبله أسمه أوليمة وأمره أن يستخلص من سكان أفريقية مبلغاً من المال يعادل المبلغ الذي دفعوه لعبد الله بن أبي سرح[١]، ولما أعتذر السكان بعدم قدرتهم على الدفع وقع بين قائد الإمبراطور ورؤوساء أفريقية نزاعاً شديداً، استخدمت فيه القوات البيزنطية أبشع أساليب القهر لاستخلاص ذلك المبلغ من السكان، فزاد ذلك من سخطهم ونفورهم من سياسة الدولة[٢].فضلاً عن إنّ الإمبراطورالبيزنطي كان قد أبتدع مذهباً دينياً جديداً سماه " النموذج " وبدأ بنشره في الولايات التابعة للدولة وأستخدم أسلوب القوة في فرض هذا المذهب على عموم السكان مما أثار اضطرابا شاملاً في عموم الولاية[٣]، والمعروف أنّ أهل أفريقية كانوا قد قطعوا صلاتهم بالإمبراطورية البيزنطية بتشجيع ومؤازرة البابا في روما ومن ثم قيام جرجير بخلع الإمبراطور وبذلك أصبحت الولاية مستقلة سياسياً ومذهبياً عن الدولة، وجاء فرض مذهب الإمبراطور الجديد عاملاً قوياً ليزيد من نفور السكان من كل ما يتعلق بالإمبراطور وسياسته، ثم جاء القبض على البابا مارتن وسجنه وتعذيبه ثم نفيه إلى مكان في شمال البحر الأسود حيث مات هناك ليثير غضب السكان ويزيد من نقمتهم على الدولة[٤].

إن سياسة القهر والإرهاق التي اعتمدتها الإمبراطورية البيزنطية دفعت سكان أفريقية إلى التمرد وإرغام أوليمة ممثل الإمبراطور إلى مغادرة مدينة قرطا جنة، وأستغل الأطريون وهو أحد القادة العسكريين هذه الظروف، فنصب نفسه حاكماً على البلاد وبدأ يعمل لصالحه، ولّما عجز جناحه " أجناديوس " عن الوقوف بوجهه فضل الالتجاء إلى العرب فسافر إلى بلاد الشام، ودخل

---

(١) ابن الأثير: الكامل: ٩٢/٣؛ ابن عذارى: المصدر السابق: ٢٧/١؛ النويري: المصدر السابق: ١٨/٢٤و١٩.

(٢) مؤنس: المرجع السابق، ص١١٤و١١٥.

(٣) مؤنس: المرجع السابق، ص١١٣.

(٤) مؤنس، المرجع السابق، ص١١٣و١١٤.

دمشق، ولقي هناك الخليفة معاوية ابن أبي سفيان،وقيل أنه قدم له عرضاً مفصلاً عن أحوال ولاية أفريقية السياسية، والاقتصادية، والمذهبية وطمع في عون الخلافة على منافسيه[١].

كانت أحوال البلاد فيما يلي برقة ماثلة أمام القيادة العامة في دمشق وأمام القيادة الميدانية في مصر، وما جاء به القائد البيزطي جناحه لا يضيف شيئاً جديداً على المعلومات والأخبار التي كانت لدى القادة العسكريين المختصين بحروب تحرير المغرب. وقد سبق أن ذكرنا حملات السرايا التي قادها مشاهير القادة الأفذاذ في ولاية عمرو بن العاص والتي كانت تأتي بالأخبار عن الأوضاع العامة للبلاد، وقد لخص المؤرخون أحوال المغرب في هذه الفترة بعبارات تدل كلها على اضطراب الأحوال وتردي الأوضاع العامة فيها. فأبن الأثير يقول: "وكانت ناراً تضطرم" [٢] وقال أبن عذاري:"دخل معاوية بن حديج أفريقية وكانت حرباً كلها[٣] وقال النويري: " وهي حرب، وقد صارت ناراً [٤]" هذه العبارات توضح من دون شك الأوضاع المتردية التي وصلت إليها ولاية أفريقية قبل أن يشرع معاوية بن حديج في حملته إليها.

٢- حملة معاوية بن حديج:

روى أبن عبد الحكم بسنده عن يزيد بن أبي حبيب[٥] أنه قال: " غزا معاوية ابن حديج أفريقية ثلاث غزوات، أما الأولى فسنة ٣٤هـ قبل قتل عثمان (رض) ... وهي غزوة لا يعرفها كثير من الناس، والثانية سنة ٤٠هـ، والثالثة سنة ٥٠هـ[٦]" وبهذه الرواية أخذ أبو العرب[٧]، والنص بتمامه عند المالكي[٨].

---

(١) ابن الأثير: الكامل: ٩٢/٣؛ أبن عذارى: المصدر السابق: ١٦/١؛ النويري: المصدر السابق: ١٩/٢٤.

(٢) الكامل: ٩٢/٣.

(٣) البيان المغرب: ١٦/١.

(٤) نهاية الإرب: ١٩/٢٤.

(٥) يزيد بن أبي حبيب سويد المصري يكنى بأبي رجاء. روى عن جماعة وعنه روى أبن لهيعة والليث بن سعد ، كان مفتي أهل مصر ، توفي سنة ١٢٠هـ. ينظر: تاريخ أبن يونس الصدفي، ق١، ص٥٠٩و٥١٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣٢/٦.

(٦) فتوح مصر والمغرب، ص٢٦١.

(٧) طبقات علماء أفريقية وتونس، ص٧١.

(٨) رياض النفوس: ٣٠/١.

وعنه نقل الدباغ[1]، أما أبن عذارى فقد جعل حملات معاوية بن حديج في سنوات ٣٤هـ و ٤١هـ و ٤٥هـ[2]، وقال ابن أبي دينار: لمعاوية بن حديج ثلاث حملات الأولى سنة ٣٤هـ والثانية سنة ٤٠هـ والثالثة في خلافة معاوية بن أبي سفيان سنة ٤٥هـ[3].

ويعلل عبد الحميد تعدد التواريخ هذا بقوله: " وتعدد التواريخ هنا يعني أحداث متوالية، وتلك طبيعة الحرب التي تعلق بسيرها مصير أقاليم شاسعة ... وحروب المغرب في تلك الفترة كانت أشبه ما تكون بالغزوات السنوية المعروفة بالصوائف وهي حرب الثغور، مما يخشى معه أن تكون أحداث الحملات المختلفة قد اختلفت وتداخل بعضها في بعض، أو أن تكون قد جمعت كلها في غزوة واحدة، وبناءً على ذلك وللتوفيق بين هذه التواريخ المتعددة نأخذ بما قاله أبن عبد الحكم من أن حملة ابن حديج الأولى في سنة ٣٤هـ كانت حملة صغيرة ... ولهذا السبب لم يعرفها الكثير من الناس، أمّا حملتي سنة ٤٠هـ وسنة ٤١هـ فنرى أنهما حملة واحدة إذ يجوز أن تكون قد بدأت في أواخر السنة الأولى وانتهت في بداية الثانية [4]" وإذا كنا نوافق الأستاذ عبد الحميد هذا الرأي من أنّ تعدد التواريخ يعني أحدثاً متوالية، فأنّ حملات معاوية بن حديج المذكورة في سنة ٣٤هـ والمذكورة في سنة ٤٠هـ وسنة ٤١هـ، هي في حقيقتها حملات فرعية تأمّر عليها وقادها لأداء مهمات محددة وفي مناطق معلومة من أفريقية، فالأولى أي حملة سنة ٣٤هـ كانت في زمن عبد الله بن أبي سرح، والثانية كانت في سنة ٤٠هـ أو سنة ٤١هـ زمن ولاية عمرو بن العاص الثانية على مصر وعلى هذا الأساس ذكرنا هذه الحملات عندما عرضنا لولاية عبد الله بن أبي سرح وولاية عمرو بن العاص على مصر.

أمّا حملة معاوية بن حديج التي قادها بعد أن تولى قيادة جيش المغرب، فعلى الرغم من الاختلاف الوارد في تاريخها فأن المصادر التاريخية تكاد تجمع على أنها كانت في سنة ٤٥هـ/٦٦٥م[5] ومن ثّم إن التاريخ المذكور يتوافق مع سياق الأحداث والحملات البرية والبحرية التي تفرعت من حملة معاوية بن حديج.

---

(١) معالم الأيمان: ٤٤/١. ونقل الدباغ: ٤٥/١ عن الرقيق القيرواني أن أول حملات معاوية بن حديج كانت في سنة ٣٤هـ.

(٢) البيان المغرب: ١٤/١-١٦.

(٣) المؤنس، ص٢٧.

(٤) تاريخ المغرب العربي: ١٦٧/١.

(٥) ابن خياط: المصدر السابق: ١٩٢/١؛ ابن يونس: المصدر السابق؛ المالكي: المصدر السابق: ٢٨/١؛ ابن الأثير: الكامل: ٩٣/٣؛ الدباغ: المصدر السابق:٤٣/١؛ ابن عساكر: المصدر السابق: ٢٣/٩؛ ابن عذارى: المصدر السابق: ١٦/١؛ النويري: المصدر السابق: ١٨/٢٤؛ الناصري: المصدر السابق: ١٣٣/١؛ طه: المرجع السابق، ص١١٧.

تشير المصادر التاريخية أن معاوية بن حديج قاد حملة تتكون من عشرة آلاف مقاتل [١] شارك فيها عدد كبير من مشاهير الرجال وفيهم جماعة من الصحابة وكبار التابعين من أمثال: عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن الزبير[٢]، وحنش بن عبد الله الصنعاني وجبلة بن عمرو بن أوس الأنصاري[٣]، وعبد الملك بن مروان ويحيى بن الحكم، والأكدر بن حمام اللخمي، وكريب بن أبرهة بن الصباح، وخالد ابن ثابت الفهمي، وغيرهم من كبار رجال مصر[٤].

وما يقوله الطبري وأبن عذارى الذي نقل عنه من أن معاوية بن أبي سفيان جهز هذا الجيش وجعل عليه معاوية بن حديج فسار حتى انتهى إلى الإسكندرية فأستعمل عليها – أي على الإسكندرية – حباحبة الرومي[٥] فقول ظاهر الاضطراب والخطأ إذ ليس من المعقول أن يتولى حباحبة الرومي المذكور الإسكندريةمن دون أن يكون هنالك مبرراً قوياً لمثل هذه التولية، فضلاً عن إن أخبار حباحبة تكاد أن تنقطع بعد أن وصل دمشق إن لم يكن قد توفي في مدينة الإسكندرية كما تشير بعض المصادر التاريخية[٦]. ويفهم أيضاً من الرواية السابقة أنّ جيش معاوية بن حديج أنطلق من مدينة دمشق ثم إلى الإسكندرية، في حين يرى عبد الحميد أن معاوية بن حديج أتخذ الإسكندرية قاعدة لتعبئة قواته وأعدادها للقتال[٧]. ويرى حسين مؤنس غير ذلك عندما يقول " وتذهب طائفة من المؤرخين إلى أنّ معاوية بن حديج خرج بحملته من دمشق وهذا غير صحيح لأن الثابت المعروف أنّ معاوية كان على جند مصر إذ ذاك، وأنه خرج إلى أفريقية من مصر بالطريق العادي وليس هناك ما يؤيد القول بأنّ حملته كانت بحرية، وإنّما الثابت المحقق أنّها كانت برية، وأنّها سارت في نفس الطريق الذي سلكه عبد الله بن سعد." [٨] وبمعنى آخر أنّ عبد الله بن أبي سرح سلك الطريق الساحلي عبر برقة وطرابلس وانتهى حيث انتهى إليه عبد الله بن أبي سرح في سنة ٢٨هـ/٦٤٨م فعسكر في إقليم قمونية[٩]، ومن هذا المعسكر بدأ التخطيط لتجهيز الحملات إلى المناطق التي تقرر مهاجمتها، وترددت الأخبار عن

---

(١) ابن عذارى: ١٦/١.

(٢) المالكي: المصدر السابق: ٢٨/١؛ الدباغ: المصدر السابق: ٤٣/١؛ ابن عذارى: المصدر السابق: ١٦/١.

(٣) ينظر: ابن يونس: المصدر السابق، ق٨٤/١ وق٦٦/٢.

(٤) المالكي: المصدر السابق: ٢٨/١؛ الدباغ: المصدر السابق: ٤٣/١؛ ابن عذارى: المصدر السابق: ١٦/١.

(٥) البيان المغرب: ١٦/١ وينظر عبد الحميد: المرجع السابق: ١٦٩/١.

(٦) الناصري: المصدر السابق: ١٣٣/١.

(٧) تاريخ المغرب العربي: ١٦٩/١.

(٨) فتح العرب للمغرب، ص١١٩.

(٩) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص٢٦٠؛ المالكي: المصدر السابق: ٢٩/١؛ الدباغ: المصدر السابق: ٤٣/١؛ النويري: المصدر السابق: ٣٩/٢٤.

تواجد جيش للبيزنطيين قيل أنّه كان في ثلاثين ألفاً من المقاتلين يقوده قائد لهم يعرف باسم نقفور[١]. وبدلاً من أن يسير معاوية بن حديج بقواته لمواجهة هذا الجيش الذي يفوق الجيش العربي عدداً اكتفى معاوية بن حديج بإرسال قوة تمكنت من معالجة الموقف لصالحها، ومن ثّم لتهرب بعد ذلك قوات نقفور وتدخل مدينة سوسة[٢]. ومن هنا يبدو ومن دون شك أنّ الجيش البيزنطي ماكان في حقيقته إلاّ حامية عسكرية بيزنطية كانت تجوب المنطقة، وقد فضلت الهرب على الاشتباك مع القوات العربية ومن ثّم لتعتصم بمدينة سوسة. ووجد معاوية بن حديج بعد هذه العملية الطريق سالكة نحو الشمال فزحف حتى نزل في مكان عرف باسم القرن أو جبل القرن[٣]. والذي سمي أيضاً بجبل ممطور وذلك لسقوط أمطار غزيرة عليه عند نزول القوات العربية[٤]. وفي هذا المكان أقام معاوية بن حديج معسكره الدائم وبدأ يخطط لتحرير ما يمكن تحريره من القلاع والمدن في المنطقة.

قاد عبد الله بن الزبير قوة من المقاتلين استهدفت البيزنطيين الذين اعتصموا في مدينة سوسة، فزحف إليهم ابن الزبير وعسكر في مكان مرتفع يشرف على المدينة ويقع على مسافة أثني عشر ميلاً منها، فلما علم نقفور بقدوم القوات العربية غادر بقواته منسحباً من دون قتال[٥]، ويقول البكري: " فركب عبد الله بن الزبير في جيشه حتى بلغ البحر ونزل على باب مدينة سوسة، وانحط عن فرسه وصلى بالناس صلاة العصر والروم يتعجبون من أمره وقلة اكتراثه بهم، فأخرجوا إليه جمعاً منهم ...رجالاً وركباناً فزحفوا إليه وهو مقبل على صلاته لا يروعه ذلك ولا يهوله، حتى إذا قضى صلاته شدّ على فرسه فركبه وحمل عليهم، فانكشفوا عنه فهزمهم وولوا أدبارهم حتى لجأوا إلى مدينتهم وأنصرف عنهم. [٦]" وتذكرنا هذه الرواية برواية ابن عبد الحكم الذي ذكرها بشأن عبد الله بن أبي سرح وبطلان صلاته لأنه سمع جلبة ظنّ من خلالها أنّ جرجيراً قد باغته بالهجوم فتلك الرواية أريد من ورائها الانتقاص من عبد الله بن أبي سرح ومكانته ورواية البكري هذه أريد منها تصوير جرأة وشجاعة عبد الله بن الزبير، وتلك الروايتين موضوعتان وباطلتان للأسباب التي ذكرناها أثناء مناقشة رواية ابن عبد الحكم، كّما عدّ مؤنس

---

(١) ابن عذارى: المصدر السابق: ١٦/١؛ النويري: المصدر السابق: ٢٠/٢٤، وينظر: مؤنس: المرجع السابق، ص١٢١.

(٢) ابن عذارى: المصدر السابق: ١٦/١؛ النويري: المصدر السابق: ٢٠/٢٤.

(٣) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص٢٦١؛ المالكي: المصدر السابق: ٢٩/١؛ ابن الأثير: الكامل: ٩٤/٣؛ الدباغ: المصدر السابق: ٤٣/١.

(٤) المالكي: المصدر السابق: ٢٩/١؛ الدباغ: المصدر السابق: ٤٣/١.

(٥) البكري: المغرب، ص٣٤؛ ابن عذارى: المصدر السابق: ١٦/١.

(٦) المغرب، ص٣٤و٣٥. وينظر: ابن عذارى: المصدر السابق: ١٦/١.

هذه الرواية وغيرها من الروايات التي تمجد أعمال عبد الله بن الزبير مختلقة وموضوعة[١]. وكذلك تحفظ على هذه الرواية عبد الحميدوالتي جعلت من أبن الزبير بطلاً أسطورياً [٢]. ورواية البكري لا تقر بتحرير مدينة سوسة ودخولها من قبل القوات العربية ، فقد أنصرف عنها عبد الله بن الزبير ولم يدخلها وكذلك لم نجد في المصادر ما يشير إلى تحرير المدينة إنّما كانت حملة عبد الله بن الزبير كما يبدو لملاحقة القوات البيزنطية والتي كانت بقيادة نقفور ، ولّما تم له ذلك عاد إلى معسكر القرن ، وإن كّنا نجد خبر التحرير في المراجع الحديثة دون غيرها[٣]. ويبدو أنّ حصانة المدينة ومتانة أسوارها جعلتها في مأمن من القوات العربية إلى حين من الزمن، فوصف البكري للمدينة يدل على حصانتها ومنعة أسوارها بحيث تستطيع أن تصمد أمام قوة أبن الزبير أو غيرها لمدة طويلة[٤].

وتحركت قوة أخرى كانت في ألف مقاتل بقيادة عبد الملك بن مروان لتحرير حصن جلولاء، ويعد مؤنس اختيار عبد الملك بن مروان للقيادة اختيارا غير موفق،لصغر سنه حيث كان حدثاً في التاسع عشر من عمره ولم يكن له خبرة في قيادة الجند أو القيام بمهمات كبيرة، وعزا مؤنس اختياره لقيادة هذه القوة إلى القرابة من الخليفة الأموي، وميل معاوية بن حديج إلى إرضاء آل أمية باختيار فتى منهم للقيادة، إذ أن أمراً كهذا يرفع من قدر معاوية بن حديج لدى البيت الحاكم[٥].

زحف عبد الملك بن مروان، وأتجه إلى الغرب فقصد حصن جلولاء[٦] وهو أقرب حصون الهضبة إلى معسكر أبن حديج حيث يبعد مسافة أربع وعشرين ميلاً من المعسكر، ويعد أحد حصون خط الدفاع الثاني لولاية أفريقية البيزنطية[٧]، فحاصره أياماً "فلم يصنع شيئاً فأنصرف راجعاً فلم يسر إلاّ يسيراً حتى رأى في ساقة الناس غباراً شديداً ، فظن أنّ العدو قد طلبهم، فكر

---

(١) فتح العرب للمغرب، ص١٢١.

(٢) تاريخ المغرب العربي: ١٧٢/١.

(٣) ينظر: مؤنس: المرجع السابق، ص١٢١؛ عبد الحميد: ١٧٢/١؛ سالم: ١٨٢/٢؛ السامرائي وآخرون، ص٦٢.

(٤) البكري: المغرب، ص٣٤و٣٥.

(٥) فتح العرب للمغرب، ص١٢٢.

(٦) جلولاء: مدينة كبيرة وحصن بيزنطي قديم، وكانت المدينة وفيرة المياه كثيرة الخيرات. البكري: المغرب، ص٣١؛ الحميري: المصدر السابق، ص١٦٨.

(٧) مؤنس: المرجع السابق، ص١٢٣؛ عبد الحميد: المرجع السابق: ١٧٢/١.

جماعة من الناس لذلك، وبقي من بقي على مصافهم، وتسرع سرعان الناس ، فإذا مدينة جلولاء قد وقع حائطها، فدخلها المسلمون وغنموا ما فيها "[١].

وفي رواية أن معاوية بن حديج نفسه كان قائد هذه الحملة حيث قاتلهم قتالاً شديداً طال عدة أيام، فكان يقاتلهم صدر النهار إلى بعد الظهر ثم ينصرف إلى معسكره في القرن[٢]. حتى تّم له تحرير المدينة والحصن بعد أن تمكنت القوات العربية من اجتياح تحصينات المدينة وحصلوا فيها على غنائم كثيرة[٣].

والذي يجعلنا نميل إلى الرواية الأولى التي تجعل عبد الملك بن مروان قائداً للحملة هو الخلاف الذي وقع بين عبد الملك بن مروان ومعاوية بن حديج حول تقسيم غنيمة المدينة، فقد طلب عبد الملك بن مروان تقسيم الغنيمة بين رجاله الذين شاركوه في تحرير المدينة دون الآخرين، وأصّر معاوية بن حديج على شمول كافة المقاتلين بالقسمة، وقيل أن الخلاف لم ينته إلاّ بعد أن كتب معاوية بن حديج إلى الخليفة معاوية بن أبي سفيان يستشيره في الأمر، فكتب إليهم " العسكر ردء للسرية " وعلى هذا الأساس قسمت الغنائم بين جميع المقاتلين فكان نصيب الراجل مائتي دينار وللفارس ستمائة دينار[٤].

وقال أبن عذارى " أصاب كل رجل منهم مائتي مثقال"[٥]، وقال النويري: "فوقع سهم الفارس ثلاثمائة دينار"[٦]. وفي بعض الروايات إّن سهم الراجل كان مائتى درهم، وللفرس سهمان أي أّن للفارس ستمائة درهم[٧].

ويقال أّن عبد الملك بن مروان ظل يناصب معاوية بن حديج العداء بسبب ذلك، وأن معاوية بن حديج كان يتجهمه ولا يقبل عليه حتى أثر ذلك في نفس عبد الملك بن مروان، وأن حنش بن عبد الله الصنعاني طيب من خاطره وبشره بالخلافة في رواية ذكرها البكري[١].

---

(١) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص٢٦١؛ وينظر: ابن عذارى: المصدر السابق: ١٦/١؛ النويري: المصدر السابق: ٢٠/٢٤.

(٢) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص٢٦١؛ النويري: المصدر السابق: ٢٠/٢٤ وفيه " فقاتلهم ذات يوم فلما انصرف نسي عبد الملك بن مروان قوساً له معلقة بشجرة فأنصرف ليأخذها، وإذا جانب المدينة قد أنهدم فصاح في أثر الناس فرجعوا ...".

(٣) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص٢٦١؛ ابن عذارى: المصدر السابق: ١٦/١؛ النويري: المصدر السابق: ٢٠/٢٤.

(٤) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص٢٦١؛ وأضاف " قال عبد الملك بن مروان: فأخذت بفرسي ولنفسي ستمائة دينار، واشتريت بها جارية ".

(٥) البيان المغرب: ١٦/١.

(٦) نهاية الأرب: ٢١/٢٤.

(٧) البكري: المغرب، ص٣٢، ينظر: الحموي: المصدر السابق: ١٥٦/٢ وفيه وللفارس أربعمائة درهم.

وفي عملية عسكرية موفقة تمكنت قوة من دخول مدينة بنزرت[٢] وتحريرها[٣]. وأبحرت قوة بحرية مكونة من مائتي مركب سنة ٤٦هـ/٩٦٦م بقيادة عبد الله بن قيس بن مخلد فضربت جزيرة صقلية[٤] وذلك لردع القوات البيزنطية المتواجدة في هذه الجزيرة من التفكير في مهاجمة السواحل المغربية وتهديد أمن القوات العربية المتواجدة في معسكر القرن، ويذكر أبن عذارى أن القوات البحرية أقامت مدة شهر في الجزيرة وعادت سالمة بعد أن حققت جميع أهدافها[٥].

وأستبعد مؤنس أن تكون حملة صقلية هذه قد تمت زمن معاوية بن حديج ويعتقد إن البلاذري يقصد بذلك الحملة التي بعث بها معاوية بن أبي سفيان قائده معاوية بن حديج في سنة٢٧هـ/٦٤٧م أو ٢٨هـ/٦٤٨م في خلافة عثمان بن عفان (رض) لفتح جزيرة رودس ثم صقلية، ويرجح مؤنس أن أبن عذارى قد أخطأ في النقل عن البلاذري فذكر سنة ٤٦هـ وصحتها سنة ٢٦هـ[٦]، وقد علق عبد العزيز سالم على ذلك بقوله: " أستند الدكتور مؤنس في هذا الرأي على ما ذكره أماري من قيام معاوية بن حديج بغزو رودس، وصقلية في سنة ٣٢هـ/٦٥٢م في مائتي سفينة مما دعا قسطنطين الثاني إلى نقل عاصمته إلى مدينة سرقوسة قاعدة جزيرة صقلية صيانة لأملاكه في أفريقية، وصقلية، وإيطاليا، من (الجيش) [٧] العربي ولا ندري من أين أستقى أماري هذا الخبر فالبلاذري الذي يزعم أماري إنه أستقى منه لم يشر إلى تاريخ غزوة معاوية بن حديج صقلية، كما إن أبن الأثير لم يشر أيضاً إلى غزو صقلية في هذه السنة وإنّما ذكر إن أهل قبرص أعانوا الروم سنة ٣٢هـ/٦٥٢م على الغزاة في البحر لمراكب أعطوهم إياها فغزاهم معاوية سنة ٣٣هـ ففتحها عنوة، فقتل وسبى ثم أقرهم على صلحهم ... وأعتقد أن أماري خلط بين غزو قبرص سنة ٣٣هـ وغزو صقلية الذي تم سنة ٤٦هـ كما حدده أبن عذارى ... ونخرج من ذلك كله بترجيح التاريخ الذي حدده ابن عذارى لغزو صقلية سنة ٤٦ هـ على يدي ابن حديج وخروجه

---

(١) المغرب، ص٣٣. وينظر: ابن عذارى: المصدر السابق: ١٨/١.

(٢) بنزرت: مدينة على البحر وعليها سور حصين وبها أسواق وحمامات كثيرة. وهي مشهورة بالأسماك. البكري: المغرب، ص٥٨؛ الأستبصار، ص١٢٥؛ الحموي: المصدر السابق: ٥٠٠/١، وقال فتحها معاوية بن حديج سنة ٤١هـ. الحميري: المصدر السابق، ص١٠٤.

(٣) البكري: المغرب، ص٨٥؛ المالكي: المصدر السابق: ٣٠/١؛ الدباغ: المصدر السابق: ٤٥/١.

(٤) الدباغ: المصدر السابق: ٤٥/١؛ ابن عذارى: ١٧/١و١٨.

(٥) البيان المغرب: ١٧/١.

(٦) فتح العرب للمغرب، ص١٢٦.

(٧) في الأصل " الغزو العربي ".

منها بغنائم كثيرة ويؤيدنا في هذا القول أن عبيد الله بن صالح يؤكد أن معاوية بن أبي سفيان عزل بن حديج بعد أن غزا صقلية "[١].

وفي سنة ٤٧هـ/٦٦٧م قاد رويفع بن ثابت الأنصاري حملة تمكنت من تحرير جزيرة جربة[٢]. والظاهر أن الحملة انطلقت من مدينة طرابلس حيث كان رويفع بن ثابت عاملاً عليها من قبل معاوية بن حديج[٣].

كان حصيلة هذه الحملات التي حررت بنزرت وضربت جزيرة صقلية ودخلت جزيرة جربة غنائم كبيرة، فقد ذكر أن القوات العربية أصابت من جزيرة صقلية أصناماً من ذهب وفضة مكللة بالجواهر، فضلاً عن الأموال الوفيرة[٤]، وذكر أن تلك الأصنام والتحف النادرة مع حصة بيت المال من الغنائم حملت إلى الخليفة معاوية بن أبي سفيان فبعث بها إلى الهند وبيعت هنالك بمبلغ كبير، وأخذ الخليفة معاوية بن أبي سفيان ثمنها فأنكر الناس عليه ذلك[٥].

وكانت حصة المقاتلين من هذه العمليات لعسكرية وفيرة أيضاً فقد روى أبن عبد الحكم بسنده عن سليمان بن يسار قال: " غزونا أفريقية مع ابن حديج ومعنا من المهاجرين والأنصار بشر كثير فنفلنا ابن حديج النصف بعد الخمس، فلم أَر أحداً أنكر ذلك إلاّ جُبلة بن عمرو الأنصاري "[٦]. قال ابن عبد الحكم: وسئل سليمان بن يسار عن النفل في الغزو فقال: " لم أَر أحداً صنعه غير أبن حديج، نفلنا بأفريقية النصف بعد الخمس ومعنا من أصحاب رسول الله (ص) من المهاجرين الأولين ناس كثير، فأبى جبلة بن عمرو الأنصاري أن يأخذ منه شيئاً "[٧] وهذا يعني أنّ معاوية بن حديج وهب جنده نصف الخمس المخصص للخلافة[٨].

وأما الحملة الصحراوية فقد كانت بقيادة عقبة بن نافع الفهري، وفي عهد معاوية بن حديج ونافذة بأمره وليس صحيحاً أن نجعل هذه الحملة في ولاية عقبة بن نافع الأولى ونعدها بداية

---

(١) تاريخ المغرب الكبير: ١٨٥/٢-١٨٧.

(٢) الدباغ: المصدر السابق: ١٢٢/١؛ التجاني: المصدر السابق، ص١٢٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣٦/٣؛ والعبر في خبر من غبر: ١٥٤/١؛ السخاوي ؛ التحفة اللطيفة ، بيروت ، ١٩٩٣ ، ٣١٥/١ عبد الحي بن أحمد الحنبلي ابن العماد: شذرات الذهب، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ: ٥٤/١.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣٦/٣؛ ابن حجر: المصدر السابق: ٥٠١/٢؛ وينظر: مؤنس، ص١٢٦؛ عبد الحميد: ١٧٣/١.

(٤) البلاذري: المصدر السابق، ص٢٣٧؛ المالكي: المصدر السابق: ٢٩/١؛ الدباغ: المصدر السابق: ٤٥/١؛ ابن عذارى: المصدر السابق: ١٧/١.

(٥) البلاذري: المصدر السابق، ص٢٣٧؛ أبن عذارى: المصدر السابق: ١٨/١.

(٦) فتوح مصر والمغرب، ص٢٦٠. وينظر: ابن خياط: المصدر السابق: ٢١٢/١.

(٧) فتوح مصر والمغرب، ص٢٦٠.

(٨) عبد الحميد: المرجع السابق: ١٧٤/١.

لأعماله التي انتهت بتأسيس مدينة القيروان، ولا داعي أيضاً إلى تعديل التواريخ لتلائم هذا التوجه كما فعل مؤنس، إذ عدل تاريخ سنة ٤٦هـ/٦٦٦م وهو بداية حملته الصحراوية بسنة ٤٩هـ/٦٦٩م ليوافق ماكان يرمي إليه[١].

والمتتبع للروايات التاريخية التي ذكرت حملات عقبة بن نافع الفهري يجد من دون شك خلطاً في الأعمال والحملات التي قادها عقبة بن نافع زمن عمرو بن العاص في ولايته الثانية وكذلك زمن معاوية بن حديج وبين حملاته في بداية ولايته الأولى على المغرب سنة ٥٠هـ/٦٧٠م التي بدأ معها عقبة في تأسيس مدينة القيروان[٢].

فحملة عقبة بن نافع الصحراوية كانت في سنة ٤٦هـ/٦٦٦م خرجت بأمر من القائد الأعلى معاوية بن حديج لتتوغل جنوباً في المناطق الصحراوية وذلك لحماية معسكر بن حديج والقوات العاملة على الساحل. ففي الوقت الذي كان معه معاوية بن حديج مشغولاً بتحرير سواحل سوسة، وجلولاء، وبنزرت، كان عقبة بن نافع يجول في الصحراوات الجنوبية لإخضاع القبائل التي خرجت عن الطاعة، ولإقرار الأمن والنفوذ العربي الإسلامي في هذه المناطق[٣].

خرج عقبة بن نافع من معسكر القرن يرافقه عدد من القادة مثل سمي بن شريك المرادي، وبسر بن أبي أرطأة، وأنطلق إلى مغمداس، ولا نعرف عدد الجنود المشاركين في هذه الحملة غير أن بعض المصادر أشارت إلى أربعمائة فارس والى أربعمائة بعير كانت تحمل ثمانمائة قربة من قرب الماء مع أثقال الجيش[٤]. وقد اخترقت الحملة بلاد هوارة[٥]، وسارت باتجاه ودان لخروجهم عن الطاعة وامتناعهم عن دفع الأموال التي صالحوا عليها العرب من قبل[٦]، فأخضعت قبائلها وعاقب عقبة ابن نافع زعيم المنطقة لنكثه بالعهد وأجبرهم على دفع ماكان مفروضاً عليهم من قبل وهو ثلاثمائة رأس وستين رأساً من العبيد[٧].

---

(١) فتح العرب للمغرب، ص١٣٥و١٣٧.

(٢) ينظر: عبد الحميد: المرجع السابق: ١٧٨/١.

(٣) المرجع نفسه: ١٧٩/١. خطاب ، محمود شيت : عقبه بن نافع الفهري ، بغداد ، مطبعه العاني ، ١٩٦٥ ، ص١٤.

(٤) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص٢٦٢.

(٥) البكري: المغرب، ص١٣؛ وينظر: عبد الحميد: المرجع السابق: ١٧٩/١.

(٦) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص٢٦٢.

(٧) يقول ابن عبد الحكم، ص٢٦٢: " وأخذ ملكهم فجدع إذنه فقال لم فعلت هذا بي وقد عاهدتني فقال عقبة فعلت هذا بك أدباً لك، إذا مسست أذنك ذكرته فلم تحارب العرب." وينظر: البكري: المغرب، ص٣؛ وعبد الحميد: المرجع السابق: ١٨٠/١.

وبعد أن أتم عقبة بن نافع تنظيم الأمور في ودان غادرها باتجاه إقليم فزان وقاعدته مدينة جرمة، وهي تبعد مسيرة ثماني ليالي من ودان، فنزل على مسافة ستة أميال منها ودعاهم إلى الإسلام فأجابوا، وأراد ملكهم مقابلة عقبة بن نافع، فأرسل عقبة بن نافع خيلاً حالت بينه وبين موكبه فأجبروه على المشي راجلاً حتى وصل إلى عقبة بن نافع متعباً مرهقاً، ويعلل أبن عبد الحكم فعل عقبة بن نافع هذا تأديبا لهذا الملك فإذا ذكره لم يفكر بمحاربة العرب[١].

وتبدو رواية أبن عبد الحكم هذه ضعيفة فالرجل قد جاء طائعاً غير مخالف وليس من مروءة عقبة أن يعامل الناس بمثل هذا الأسلوب، وقد تم الاتفاق بين عقبة وملك جرمة هذا على ثلاثمائة وستين عبداً يؤدونها في كل سنة[٢].

وكان خضوع مدينة جرمة يعني خضوع المدن الأخرى أو كما يسميها أبن عبد الحكم بالقصور[٣] ويسميها عبد الحميد بالواحات الحصينة[٤] فدخلها عقبة الواحدة بعد الأخرى حتى انتهى إلى أقصاها ومنها تحرك نحو إقليم كاوار وقاعدته مدينة خاوار وهي مدينة (قصر) عظيمة تقع على رأس المفازة في وعورة على ظهر جبل[٥]، ووصلها عقبة وقواته بعد مسير خمس عشرة ليلة ولم يكن أمام عقبة بن نافع إلاّ ضرب الحصار على المدينة التي امتنعت عليه وظل محاصراً لها مدة شهر دون أن يتمكن منها، فغادرها إلى المدن الأخرى المجاورة، فدخلها وأقر أمورها وقبض على زعيمهم فأدبه كي لا يفكر بالخروج عن الطاعة[٦]، وفرض عليهم تأدية ثلاثمائة وستين رأساً من العبيد كل سنة[٧]، وأستطاع عقبة بن نافع الفهري من خداع أهل خاوار عندما أوهمهم بالانسحاب والعودة من حيث أتى حيث سار ثلاثة أيام وعسكر في مكان عُرف بماء الفرس[٨]، حتى أراح جنده، ثم كّر مسرعاً إلى خاوار بعد أن اطمأن أهلها فدخل عليهم ليلاً

---

(١) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص٢٦٣؛ البكري: المغرب، ص١٣.

(٢) ابن عبد الحكم: المصدر السابق ص٢٦٣؛ البكري: المغرب، ص١٣.

(٣) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص٢٦٣.

(٤) تاريخ المغرب العربي: ١٨٠/١.

(٥) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص٢٦٣.

(٦) يقول ابن عبد الحكم، ص٢٦٣ " وقطع إصبعه ... وقال له إذا نظرت إلى إصبعك لم تحارب العرب."

(٧) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص٢٦٣.

(٨) أصاب عقبة بن نافع وأصحابه عطش شديد فصلى عقبة ركعتين ودعا الله، وجعل فرس عقبة يبحث في الأرض حتى تفجر الماء فشربوا واستقوا منه، ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص٢٦٣و ٢٦٤.

وأقتحم المدينة فأمر بقتل المقاتلة وغنم ما فيها[١]، ثم أنصرف عقبة بن نافع وصحبه خارجين إلى قاعدة مغمداس مروراً بزويلة بعد خمسة أشهر قضاها في المناطق الصحراوية[٢].

كان من نتائج حملة عقبة بن نافع في الواحات الصحراوية إقرار النفوذ العربي في تلك المناطق فضلاً عن نشر الإسلام بين قبائل المنطقة[٣].

وبعد أن أراح عقبة بن نافع قواته أياماً في مغمداس تحرك زاحفاً باتجاه بلاد الجريد، ولم يتخذ الطريق الساحلي الرئيسي المعروف بالطريق الأعظم[٤] أو الجادة كما يسميها البكري[٥] إنما إنما سار إلى أرض مزاتة فحرر الكثير من واحاتها المأهولة ثم بعث خيلاً إلى غدامس فتمكنت من دخولها وإقرار الأمن فيها ثم واصل عقبة زحفه باتجاه قفصة فدخلها محرراً ومنها دخل بلاد قسطيلية ومنها تحرك يريد معسكر القرن[٦].

طال مقام معاوية بن حديج في معسكر القرن ما يقرب من ثلاث سنوات، فحفر الآبار والتي عُرفت فيما بعد بآبار أبن حديج وبنى بعض المساكن وسماها قيرواناً[٧].

وفي سنة ٤٧هـ/٦٦٧م قرر معاوية بن حديج العودة إلى المشرق فزحف بقواته على الطريق الساحلي نحو مدينة برقة، ومنها إلى مصر، ثم رحل إلى دمشق وفي صحبته كبار القادة الذين شاركوه في حملاته العسكرية[٨].

---

(١) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص٢٦٤.

(٢) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص٢٦٤.

(٣) عبد الحميد: المرجع السابق: ١٨١/١.

(٤) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص٢٦٤.

(٥) المغرب، ص١٤. وينظر: عبد الحميد: المرجع السابق: ١٨١/١.

(٦) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص٢٦٤.

(٧) المالكي: المصدر السابق: ٣٠/١؛ الدباغ: المصدر السابق: ٤٥/١، ١٤٢.

(٨) المالكي: المصدر السابق: ٣٠/١.

٣. تقويم حملة معاوية بن حديج:

اختلف المؤرخون والباحثون في تقويم حملة معاوية بن حديج فقال مؤنس: " ولم يكن لها نتائج تذكر، ولم تكن خطوة لإتمام الفتح الإسلامي للبلاد، وإنما كانت غارة طالت بعض الطول استولى العرب فيها على مدينتين قليلتي الأهمية ثم تخلوا عنهما وعادوا، ويبدو أن معاوية لم يعد من أفريقية مرغماً لأن مسلمة بن مخلد لم يعزله عن جند مصر إلاّ بعد ولايته بقليل، ولم يذكر أحد من المؤرخين إّنه استدعاه من ميدان أفريقية، وقد رأينا معاوية يؤثر السهل من الفتوح فيتجنب كبار المسالح والمعاقل ليهاجم صغارها، ولهذا لا يبعد أن يكون اكتفى بذلك ثم عاد دون سبب معقول من غير أن يخلف في البلاد أثراً يذكر، لا نخطيء إذن إذا عددناها إحدى المقدمات الطويلة التي سبقت الفتح الحقيقي إذ كانت آخر الغارات السريعة التي لم تنتج شيئاً ." [١]

ويقول عبد الحميد " انتهت حملة معاوية بن حديج بطرد القوات البيزنطية من ساحل سوسة وسقوط أهم حصون الدفاع الثاني في أفريقية وهو حصن جلولاء، ونشر أبن حديج سراياه في البلاد فسكن الناس وأطاعوا." [٢]

ومهما تكن نتائج حملة معاوية بن حديج فأن هذه الحملة وحملة عبد الله بن أبي سرح من قبله جعلت ولاية أفريقية والمناطق التي دخلتها القوات العربية معروفة لديهم إن لم نقل آمنة بحيث مهدت السبيل لعقبة بن نافع الفهري لأن يختار عليها مكان أول مدينة عربية تقوم على الإسلام وهي مدينة القيروان.

---

(١) فتح العرب للمغرب، ص١٢٧.

(٢) تاريخ المغرب العربي: ١/١٧٤.

الفصل الخامس

١- بناء مدينة القيروان (٥٠-٥٥هـ/٦٧٠-٦٧٥م).

٢- ولاية أبي المهاجر دينار على المغرب (٥٥-٦٢هـ/٦٧٥-٦٨٢م).

١- بناء مدينة القيروان (٥٠-٥٥هـ/٦٧٠-٦٧٥م):

انتهت العمليات العسكرية التي قام بها معاوية بن حديج سنة ٤٧هـ/٦٦٧م أو ٤٨هـ/٦٦٨م، وعاد بعدها إلى المشرق وليس صحيحاً ما يقوله البعض من أن معاوية بن حديج تولى ولاية مصر في السنة المذكورة[١] لأن الذي كان على ولاية مصر هو مسلمة بن مخلد الأنصاري (٤٧-٦٢هـ/٦٦٧-٦٨١م) [٢].

وإذا كنا لا نعرف عن أحوال المناطق التي دخلتها القوات العربية في حملة معاوية بن حديج بعد مغادرته إياها، فأن المناطق المذكورة ظلت هادئة إلى حين على الرغم من كون معاوية بن حديج لم يخلف عليها والياً ولا حامية عسكرية للحفاظ على مناطق النفوذ العربية في المنطقة.

وما بين مغادرة معاوية بن حديج بلاد المغرب وتعيين عقبة بن نافع الفهري مدة ثلاث سنوات تقريباً لم تشهد فيها ولاية أفريقية أي نشاط عسكري ملحوظ لا من جانب العرب ولا من جانب البيزنطيين إلى أن تم تعيين عقبة بن نافع الفهري والياً على المغرب في سنة ٥٠هـ/٦٧٠م.

وعقبة بن نافع الفهري قائد من القواد الذين طال عهده في بلاد المغرب وشارك في حروب تحريرها منذ البداية " فاختياره لهذه الولاية وفي هذا الوقت بالذات لم يكن من دون معرفة تامة بشخصيته القيادية ... ذلك أن دار الخلافة في المشرق قد وضعت له خطة عمل ترمي إلى تحقيق أهداف مركزية تقوم أساساً على تثبيت أقدام العرب في المغرب العربي من خلال تأسيس مدينة عربية أسلامية تكون قاعدة لتجمع القوات العربية ومركزاً لانطلاقها وملجأ لها عند الضرورة، وهذا العمل بحد ذاته وسيلة من أجل تحقيق الهدف الأسمى وهو تحرير المغرب العربي من البيزنطيين ونشر الإسلام "[٣].

إنّ اختيار دار الخلافة لعقبة بن نافع الفهري وتأسيس مدينة القيروان يعني بداية ظهور ولاية جديدة هي ولاية المغرب وفك الارتباط بين ولاية مصر وهذا الإقليم الواسع وهذا يتطلب بالضرورة تأسيس مدينة تكون قاعدة لهذه الولاية[٤]. وعلى هذا أنصبت جهود عقبة بن نافع إذ خرج سنة ٥٠هـ/٦٧٠م على رأس عشرة آلاف مقاتل[٥]فضلاً عن حامية برقة التي انضمت إلى هذا الجيش عند مروره بها[٦]. ومنها أنطلق نحو الغرب وانتهى إلى معسكر معاوية بن حديج في

---

(١) ابن عذارى: المصدر السابق: ١٨/١. وينظر: عبد الحميد: المرجع السابق: ١٧٥/١.

(٢) الكندي: المصدر السابق ، ص٣٨.

(٣) السامرائي، وآخرون: المرجع السابق، ص٦٥.

(٤) مطلوب، وآخر: دور ولاة مصر، ص١٣٦.

(٥) البلاذري: المصدر السابق، ص٢٣٠؛ ابن عذارى: المصدر السابق: ١٩/١.

(٦) ابن الأثير: الكامل: ٤٦٥/٣؛ وينظر: السامرائي، وآخرون: المرجع السابق، ص٦٥.

القرن، وفي هذه المنطقة بدأ عقبة يبحث عن المكان المناسب لبناء مدينة القيروان وقد عبر عن أهمية قيام مثل هذه المدينة بقوله " إن أفريقية إذا دخلها إمام أجابوه إلى الإسلام فإذا خرج منها رجع من كان أجاب منهم لدين الله إلى الكفر فأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عزاً للإسلام إلى آخر الدهر "[١].

وقد وفق عقبة بن نافع وأصحابه في أختيار المكان المناسب للمدينة بعد مشاورات طويلة فقد رأى قوم منهم أن تكون المدينة على الساحل أو قريبة منه لتكون رباطاً للمسلمين يجاهدون منه الأعداء[٢]، غير أن عقبة تخوف من قيامها على الساحل خوفاً من القوات البيزنطية التي قد تهاجمها خاصةً وأن البيزنطيين كانوا يمتلكون قوة بحرية كبيرة، كما أنه لم يجعلها متطرفة إلى الداخل كي تأمن هجمات القبائل المغربية وأراد أن تكون في مكان وسط يأمن لها الحماية واكتشاف العدو قبل أن يفاجيء المدينة، وفي مكان يوفر المراعي للإبل والدواب[٣].

وقد استحسن البكري موقع المدينة الوسط وحسن اختيار عقبة له[٤] وقال كودل: " وكان اختيار المكان موفقاً بل بلغ من التوفيق في اختياره أن ولاة المغرب ومن خلفهم من الحكام المستقلين اقلموا بها زمناً طويلاً ...كما كان موقعها الحربي معروفاً ملحوظ الأهمية إذ كان الحاكم الذي يتخذ هذا الموضع مركزاً لأعماله يستطيع أن يرى العدو من بعيد ويتحرز من الغارات المفاجئة الكثيرة الحدوث عند البربر، وإذا أراد أن يطاردهم إلى هضابهم وجد الطريق مفتوحة أمامه، إذ كان يستطيع بعد مسير بضع ساعات الوصول إلى أعالي الهضاب ... ومن أعالي الهضاب كان يستطيع الأشراف على ما يجاورها فيتيسر له حكمها إذا كان لديه القوة الكافية لذلك كذلك كان فرسانه الخفاف قادرين على أن يقوموا بهذا النوع من أعمال الاستطلاع بالغارات السريعة والحراسة الدائمة." [٥]

تجمع المصادر التاريخية على أنّ عقبة بن نافع الفهري نزل في مكان كان كثير الأشجار والأدغال تأوي إليه أنواع كثيرة من الحيوانات الوحشية والزواحف، [٦] ولما كان عقبة بن

---

(١) ابن عذارى: المصدر السابق: ١٩/١.

(٢) المالكي: المصدر السابق: ١٠/١و١١؛ الدباغ: المصدر السابق: ٨/١و٩؛ ابن عذارى: المصدر السابق: ١٩/١.

(٣) المالكي: المصدر السابق: ١١/١؛ الدباغ: المصدر السابق: ٩/١.

(٤) المغرب، ص٢٤.

(6) Caudel, op.cit, II, P.104,105

نقلا عن حسين مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، ص١٤٣ و ١٤٤.

(٦) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص٢٦٤و٢٦٥. وقارن ابن خياط: المرجع السابق: ١٩٥/١؛ البلاذري: المصدر السابق، ص٢٢٨؛ البكري: معجم ما أستعجم: ١١٠/٣؛ المالكي: المصدر السابق: ١١/١و١٢؛

نافع مستجاب الدعوة فقد جمع الصحابة الذين معه وكانوا ثمانية عشر[١] صحابياً وفي رواية خمس وعشرين صحابي[٢] ونادى بأعلى صوته " أيتها الحيات والسباع نحن أصحاب رسول الله (ص) ارحلوا عنا إنا نازلون ومن وجدناه بعد ذلك قتلناه "[٣].

وقيل أن عقبة أقام ثلاثة أيام ينادي بهذا النداء[٤] فنظر الناس إلى السباع تحمل أشبالها والحيات تحمل أولادها وكذلك بقية الوحوش والزواحف ولما تم ذلك جمع عقبة أصحابه ودار بهم حول المكان وهو يدعو ويقول " اللهم املأها علماً وفقهاً وعمّرها بالمطيعين لك والعابدين وأجعلها عزاً لدينك وذلاً لمن كفر بك وأعز بها الإسلام وأمنها من جبابرة الأرض." [٥]

وأمر عقبة بن نافع بتنظيف المكان وحرق الأدغال وقطع الأشجار[٦] مما يعطي تفسيراً واضحاً للخطوات التي قام بها عقبة بن نافع وجنده قبل الشروع بالتخطيط والمباشرة بالبناء ومما يضعف الروايات التي سبق أن ذكرناها في شأن نداء عقبة ودعائه الوحوش والزواحف بمغادرة المكان[٧].

وقد رفض مؤنس جميع الروايات التي تقول أن موضع المدينة قبل البناء كان كثير الأدغال والهوام ونسب إلى المالكي قوله " إنّ موضع القيروان كان حصناً لطيف الكروم وانه كان موضع كنيسة حسنة البناء فيهما الساريتان الحمراوان اللتان نقلهما حسان بن النعمان إلى مسجد عقبة فيما بعد." [٨]

ولكي يدعم هذا القول عرض لأقوال المؤرخين والجغرافيين في شأن منطقة قمونية والمراد منها فقال: " يتفق البكري واليعقوبي، والتجاني على أن قمونية قطر فسيح كثير العمران والزروع ويذكره الإدريسي، وابن حوقل باسم قمودة وأنه يضم عدداً من القرى والمدائن... ويجعلون حدها

الدباغ: المصدر السابق: ٩/١؛ الحموي: المصدر السابق: ٤٢٠/٤؛ ابن عذارى: المصدر السابق: ٢٠/١؛ ابن كثير: المصدر السابق: ٢١٧/٨؛ النويري: المصدر السابق: ٢٣/٢٤.

(١) الحموي: المصدر السابق: ٤٢٠/٤؛ النويري: المصدر السابق: ٢٢/٢٤.

(٢) المالكي: المصدر السابق، ١٠/١؛ الدباغ: المصدر السابق: ٧/١.

(٣) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص٢٦٥؛ المالكي: المصدر السابق: ١١/١؛ الدباغ: المصدر السابق: ٩/١و١٠.

(٤) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص٢٦٥. وقارن ابن خياط: المصدر السابق: ٢١٠/١؛ أبن الأثير: الإصابة: ٦٤/٥؛ الدباغ: المصدر السابق: ١٠/١.

(٥) الدباغ: المصدر السابق: ٧/١و٨. وقارن المالكي: المصدر السابق: ١٠/١.

(٦) ألواقدي: فتوح أفريقية، تونس، ١٣٥١هـ، ص١٣؛ أبن الأثير: أسد الغابة: ٤٢١/٣؛ وينظر: عبد الحميد: المرجع السابق: ١٨٥/١.

(٧) عبد الحميد: المرجع السابق: ١٨٥/١.

(٨) فتح العرب للمغرب، ص١٤١و١٤٢.

الجنوبي إقليم قسطيلية وحدها الشمالي سوسة ويذهب التجاني إلى إن هذا الإقليم يصل إلى البحر لأنه يذكر ساحل قمونية وشاطيء قمونية. قمونية إذن هي قلب أفريقية البيزنطية وكانت غاصة بالحصون والمدائن والمزارع والطرق وما إليها من معالم العمران، فكيف أتفق وجود مثل هذه الغابات الكثيفة الملأى بالحشرات والهوام والسباع والحيات في وسط هذا الإقليم العامر المطروق ؟ ولو لم يكن التجاني قد أكّد اتصاله بالبحر لكان معقولاً أن توجد فيه نواحي مقفرة من السكان والعمران لأن بعض أجزاء الولاية الداخلية قد أدركه الخراب من منتصف العصر البيزنطي، أما وهي مطلة على البحر فيستبعد جداً وجود هذه الغابات الملتفة والشعاري التي لا تسلك، ولو أن ذلك قيل عن مكان آخر بداخل البلاد لقبله العقل." [١]

والحقيقة أن مؤنساً قد أخطأ في قراءة نص المالكي وعلى هذا الخطأ بنى ما بنى من الآراء، فالمالكي لم يقل: "إن موضع القيروان كان حصناً لطيف الكروم " وإنّما القراءة الصحيحة لقول المالكي هو: " وكان موضع القيروان حصناً لطيفاً للروم يسمى قمونية وكان فيه كنيسة ...".[٢]

وما ذكره من أقوال المؤرخين والجغرافيين فلا يعد دليلاً على بطلان ما ذهبت إليه المصادر التاريخية بشأن ما كان عليه موضع مدينة القيروان، لأن وصف هذه المصادر للمنطقة كان حسب أقدم المؤرخين الذين ذكرهم مؤنس وهو اليعقوبي يخص حال البلاد ووصفها في القرن الثالث الهجري، والأهم من ذلك كله إنّ المالكي الذي أعتمد عليه مؤنس يقول إنّ مكان المدينة كان " غياض لا ترام " وفيها من السباع والحيات ودواب الأرض ما جعل أصحاب عقبة يترددون في البناء[٣].

وتذكر بعض المصادر أن عقبة بن نافع بدأ ببناء دار الأمارة أولاً، ثم المسجد الجامع[٤] ومنهم من يرى أن الجند بدأوا ببناء دورهم قبل المسجد الجامع ودار الأمارة[٥].

بينما يقول الدباغ أن المسجد الجامع كان أول شيء أختط فيها[٦] وإنّ اختلاف الناس في القبلة وتحديدها قد أجّل الشروع في بنائه كما يشير إلى ذلك المالكي وابن عذارى، وكان يصلي

---

(١) المرجع نفسه، ص١٤١و١٤٢.

(٢) رياض النفوس: ٣٢/١، وينظر: النويري: المصدر السابق: ٢٤/٢٤.

(٣) رياض النفوس: ١١/١.

(٤) المالكي: المصدر السابق: ١٢/١؛ الحموي: المصدر السابق: ٤٢٠/٤؛ ابن عذارى: المصدر السابق: ٢٠/١.

(٥) ابن الأثير: الكامل: ٤٦٦/٣.

(٦) معالم الأيمان: ١٠/١.

فيه الناس وهو كذلك[١]، فأقاموا أياماً ينظرون مطالع الشمس ومغاربها فأختلف رأيهم في ضبط القبلة حتى عزا البعض تحديد القبلة إلى كرامة من كرامات عقبة بن نافع الفهري، وملخص ذلك إنّ الأختلاف في تحديد القبلة قد أهم عقبة بن نافع وشغله كثيراً حتى أتاه في منامه آتٍ فقال له: " إذا أصبحت فأحمل لواءك على عاتقك فأنك تسمع بين يديك تكبيراً لا يسمعه أحد من المؤمنين غيرك، فالموضع الذي ينقطع عنك التكبير فيه فهو مصلاك وهو محراب مسجدك." [٢] وعلى الرغم من ذلك فأن موضع قبلة مسجد القيروان ينحرف قليلاً عن الموضع الصحيح كما يقول أحمد فكري[٣].

وقامت المدينة في بدايتها بسيطة البناء حتى أخذت مداها من التعمير وسكنها الناس وعمرت بالعلماء والعابدين[٤]، وأمّا عن مساحة المدينة فالمصادر لم تقدمتقديراً دقيقاً لذلك، فأبن الأثير يقدّر محيطها بثلاثة آلاف وستمائة باع[٥] وابن عذارى يقول " وكان دورها ثلاثة عشر ألف ذراع وستمائة ذراع "[٦].

قال عبد الحميد: والمساحة الأولى التي تقدر بحوالي (٥٨٠٠م٢) معقولة لخطة المدينة العسكرية ودار الأمارة وما يلحق به من عمائر أخرى، أمّا المساحة الثانية التي تقدر بحوالي (٧٠٠٠م٢) فهي معقولة أيضاً بالنسبة لمساكن العسكر والقبائل ومن سكنها بعد ذلك من الناس[٧]، وقد كمل بناء المدينة في خمس سنوات وانتهى منها عقبة في سنة ٥٥هـ/٦٧٥م[٨].

وأختلف اللغويون والمؤرخون في تسمية القيروان فقال أبن منظور: (ت ٧١١هـ/١٣١١م) القيروان معرب، وهو بالفارسية كروان بمعنى القافلة أو معظم العسكر أو الكثرة من الناس وقيل هو موضع الكتيبة من العسكر[٩].

---

(١) رياض النفوس: ١٢/١؛ البيان المغرب: ٢٠/١.

(٢) الدباغ: المصدر السابق: ١١/١. وقارن الرواية في البلاذري: المصدر السابق، ص٢٣١؛ المالكي: المصدر السابق: ١٢/١و١٣؛ البكري، ص٢٢؛ الأستبصار، ص١١٤؛ ابن عذارى: المصدر السابق: ٢١/١: النويري: المصدر السابق: ٢٣/٢٤.

(٣) مساجد الإسلام، المسجد الجامع بالقيروان، القاهرة ١٩٣٦ ص٢٢و٢٣. شهاب: المرجع السابق، ص١٠٦.

(٤) المالكي: المصدر السابق: ١٣/١.

(٥) ابن الأثير: الكامل: ٤٦٧/٣؛ النويري: المصدر السابق :٢٤/٢٤ ، والباع: ويسمى القامة أيضاً وهو يساوي أربعة أذرع أي (١٩٩) سم أو حوالي (٢م). هانتيس: المرجع السابق ، ص٨٢.

(٦) البيان المغرب: ٢١/١.

(٧) تاريخ المغرب العربي: ١٨٦/١و١٨٧.

(٨) الحموي: المصدر السابق: ٤٢٠/٤ ؛ النويري: المصدر السابق: ٢٣/٢٤.

(٩) لسان العرب: ١٣٥/٥. وقارن: محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس، القاهرة، ٣٠٦: ٥١٣/٣.

وقال ابن خلكان: (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) إن قافلة نزلت بذلك المكان ثم بنيت المدينة في موضعها فسميت باسمها[١]. وهو قول بعيد عن الحقيقة.

والقيروان بناءً على هذه التعريفات تعني المعسكر وأول من أطلق هذا الاسم على بناء بناه في المنطقة هو معاويةبن حديج حيث بنى بيوتاً في موضع القرن أطلق عليها (قيروان)[٢].

إنّ أهمية قيام مدينة القيروان كأول مدينة تقوم على الإسلام في بلاد المغرب يعد حدثاً مهماً في تاريخ هذه البلاد وحركة حروب التحرير بعد ذلك، وقد عبر ابن الأثير عن أهمية قيام هذه المدينة بقوله: " واتسعت خطة المسلمين وقوى جنان من هنالك من الجنود بمدينة القيروان، وأمنوا واطمئنوا على المقام، فثبت الإسلام بها "[٣].

وقد أبدى فورنل دهشته من الوقت الطويل الذي قضاه عقبة وأصحابه في بناء المدينة وهم مطمئنون تمام الاطمئنان من هجوم القوات البيزنطية عليهم، مع أن موضع مدينة القيروان لا يبعد عن مدينة قرطا جنة قاعدة القوات البيزنطية أكثر من ثلاثة أيام، وقد فسر ذلك بأن البيزنطيين كانوا في ذلك الوقت مشغولين عن أفريقية وغيرها من الأقاليم التابعة لهم بسبب حصار القوات العربية للقسطنطينية للمرة الثانية والذي بدأ في سنة ٤٩هـ/٦٦٩م واستمر إلى سنة ٥٢هـ/٦٧٢م فأنشغل البيزنطيون برد ذلك الحصار وانقطعت إمداداتهم عن ولاية أفريقية طوال مدة الحصار وسنوات أخرى بعدها، إذ ظلت الدولة البيزنطية تعاني من آثار الحصار زماناً طويلاً "[٤].

ووصف ديل عمل عقبة ببناء مدينة القيروان بأنه كان شجاعة عظيمة وعلل انصراف البيزنطيين عن العرب لضعفهم وانقسامهم على أنفسهم، وإن قيام مدينة القيروان في ولاية أفريقية البيزنطية يدل تمام الدلالة على أن مناطق نفوذ البيزنطيين قد تقلصت من الداخل كثيراً وفقدوا معه السيطرة على المناطق الأخرى[٥].

---

(١) وفيات الأعيان: تحقيق أحسان عباس، بيروت، ١٩٦٨: ١/٥٥.

(٢) البكري: معجم ما أستعجم: ٣/١١٠٥؛ المالكي: المصدر السابق: ١/٣٠؛ الدباغ: المصدر السابق: ١/٤٥.

(٣) الكامل: ٣/٤٦٦. وقارن: النويري: المصدر السابق ٢٣/٢٤. وعن تسمية القيروان ينظر شهاب: المرجع السابق، ص١٠٠؛ الصباغ: المرجع السابق، ص٣٩و٤٠.

(7) Fournel, les beerberes, Etude sur le conquete de I`Afrique par les Arabes, dapres Les textes Arabes inprimes, 1815-1816, I, P.157-158.

نقلا عن مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، ص١٤٥.

(٥) مؤنس: المرجع نفسه، ص١٤٥و١٤٦.

ومنذ قيام مدينة القيروان بدأت ولاية المغرب تأخذ أهميتها في سياسة الخلفاء الأمويين فلما كانت الفسطاط نواة لولاية مصر بعد التحرير كانت أيضاً مدينة القيروان نواة لولاية المغرب ومنها ستبدأ العمليات العسكرية لتحرير بقية أقاليم المغرب العربي[١].

وعندما أنجز عقبة بن نافع بناء مدينة القيروان أصدر الخليفة معاوية بن أبي سفيان أمراً بإعفائه من الولاية واستدعائه إلى المشرق، ومن ثّم ربط ولاية المغرب بولاية مصر، وبناءً على ذلك فقد أصدر والي مصر مسلمة بن مخلد أمراً بتعيين أبي المهاجر دينار نائباً عنه في ولاية المغرب[٢].

ويذهب عبد الحميد في سبب عزل عقبة بن نافع إلى السياسة العنيفة التي كان يتبعها في المغرب والتي لم ترضِ مسلمة بن مخلد معتبراً في هذا القول إن ولاية المغرب قد أصبحت تابعة لمصر منذ تولية مسلمة لمصر في سنة ٤٧هـ/٦٦٧م ثم يقول " والدليل على ذلك إن والي المغرب الجديد من قبل مسلمة سار على سياسة مغايرة لها تماماً والى جانب الاختلاف في السياسة العامة نظن أنه كانت هناك مسائل شخصية بين مسلمة وعقبة – ربما بسبب التنافس بين كل من الرجلين أللذين كانا من كبار رجال الدولة – إذ تنص الروايات على أن عقبة عُزل أسوأ عزل." [٣]

وقيل أنّ قيام مدينة القيروان جعلت ولاية المغرب تظهر كولاية مهمة فتطلعت إليها أنظار الطامعين في ولايتها، والظاهر إن انشغال عقبة بن نافع ببناء القيروان طوال خمسة أعوام قد حرم دار الخلافة من الغنائم الكثيرة التي كانت ترد من هذه البلاد، فأخذت السعايات ضد عقبة تلعب دورها في بلاط الخلافة، وكان مسلمة بن مخلد الأنصاري والي مصر في مقدمة الساعين لعزل عقبة، وضم ولاية المغرب إلى مصر طمعاً في مواردها الوفيرة[٤]. ويذكر هنري تراس أن معاوية بن أبي سفيان عزل عقبة بن نافع عن المغرب خوفاً من أن يستقل في هذه البلاد[٥] وقد أستحسن عبد العزيز سالم هذا القول وأضاف: " وليس من المستبعد أن يتجه تفكير معاوية إلى ذلك فقد كان يخشى أيضاً من مطامع عمرو بن العاص في مصر وأفريقية ولذلك جعل ولاية أفريقية تتبعه مباشرة بعد وفاة عمرو، ولعله رأى في اهتمام عقبة بأفريقية وشعبيته في بلاد برقة وأفريقية وتأسيسه للقيروان اتجاها نحو الاستقلال بحكم هذا الإقليم الغني بخيراته

---

(١) طه: المرجع السابق، ص١٢١.

(٢) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص٢٦٥؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ص٢٢. وينظر: طه: المرجع السابق، ص١٢٣.

(٣) تاريخ المغرب العربي: ١٨٨/١. وقارن طه: المرجع السابق ، ص١٢٢.

(٤) مؤنس: المرجع السابق، ص١٤٧.

(٥) سالم: المرجع السابق: ٢٠٩/٢.

المتطرف عن أملاك الدولة الأموية فأسرع بضم ولاية أفريقية إلى مسلمة بن مخلد الأنصاري عامله في مصر ولعله أشار على مسلمة بعزل عقبة عن ولاية أفريقية بدليل أنه لم يرد عقبة إلى ولايتها بعد أن قدم إليه شاكياً من سوء عزل أبي المهاجر له "[1].

غير أنّ للمؤرخين القدامى في ذلك أقوالاً أخرى وإن لم ينفذوا إلى الأسباب التي دفعت معاوية بن أبي سفيان إلى إعفائه إنّما فصلوا في الكيفية التي عزل بها من قبل أبي المهاجر دينار ومن دون إبداء الأسباب التي كانت وراء تلك المعاملة.

قال أبن عبد الحكم: " ثم عزل عقبة بن نافع في سنة ٥١هـ – كذا – عزله مسلمة بن مخلد الأنصاري هو يومئذٍ والي البلد من قبل معاوية بن سفيان ... وولي أبا المهاجر دينار مولى الأنصار، أوصاه حين ولاه أن يعزل عقبة أحسن العزل، فخالفه أبو المهاجر فأساء عزله وسجنه وأوقره حديداً حتى أتاه الكتاب من الخليفة بتخلية سبيله وأشخاصه إليه." [2]

ويقول المالكي بهذا الصدد: " وولي مسلمة بن مخلد الأنصاري فزود أبا المهاجر مولاه بجيش من قبله فوصل إلى أفريقية سنة ٥٧هـ وقيل إلى القيروان فأخذ عقبة بن نافع فحبسه وضيّق عليه فبلغ خبره معاوية فكتب إلى أبي المهاجر يأمره بتخليته ويعفيه مما صنع من ذلك، فأطلقه أبو المهاجر وأرسله برسل من قبله حتى أخرجوه من قابس." [3]

أمّا رواية أبن عذارى فتقول: " ولّما جمع معاوية ولاية المغرب لمسلمة بن مخلد أستعمل عليه مولاه دينار ويكنى أبا المهاجر، وعزل عقبة عن أفريقية ... فقدم أبو المهاجر أفريقية فأساء عزل عقبة ونزل خارجاً عن المدينة وكره أن ينزل الموضع الذي أختطه عقبة ومضى حتى خلفه بميلين مما يلي طريق تونس فأختط بها مدينة وأراد أن يكون له ذكرها ويفسد عمل عقبة." [4]

ويرى الناصري أن أبا المهاجر دينار أساء عزل عقبة وأستخف به لشيء كان بينهما[5].

ويذكر حسين مؤنس أنّ أبا المهاجر دينار لم يتصرف تجاه عقبة بن نافع هذا التصرف من تلقاء نفسه وأنه أرغم على الإساءة إلى عقبة بناءً إلى تعليمات صادرة من مسلمة بن مخلد الذي كان يحقد على عقبة لما ناله من شرف في حروب التحرير[6].

---

(١) سالم: المرجع نفسه: ٢٠٩/٢.

(٢) فتوح مصر والمغرب، ص٢٦٦. وينظر: طه: المرجع السابق، ص١٢٣.

(٣) رياض النفوس: ٣٣/١؛ وينظر: الدباغ: المرجع السابق: ٤٦/١.

(٤) البيان المغرب: ٢٣/١؛ وينظر: النويري: المرجع السابق: ٢٥/٢٤؛ وينظر: طه: المرجع السابق، ص٢٣و ٢٤.

(٥) الاستقصا: ٣٧/١.

(٦) فتح العرب للمغرب، ص١٥١و١٥٢.

وبذلك يجعل مؤنس المشكلة كلهابين مسلمة بن مخلد وعقبة بن نافع ويقول متسائلاً : " فماذا يكون بين مولى صغير كدينار وفاتح عظيم كعقبة من الأشياء ؟" ثم يتابع مؤنس القول " إنّما تكون الأشياء بين مسلمة وعقبة وكلاهما والٍ ظاهر عظيم القدر، يكون بينهما التحاسد والنزاع على الولاية والشرف والغنيمة والحظوة لدى الخليفة، وسعى مسلمة إلى عقبة واعتذاره له ونفيه التهمة عن نفسه لا يعلل إلاّ بأن مسلمة خشي أن يغضب معاوية عليه حين يقص عليه عقبة ما نزل به من إساءة على يديه، فأسرع وألقى التهمة على أبي المهاجر خوفاً من معاوية "[١].

ومن الجدير بالذكر أنّ اعتذار مسلمة بن مخلد لعقبة بن نافع حدث بعد عودته إلى ولاية المغرب للمرة الثانية أي بعد وفاة الخليفة معاوية بن أبي سفيان وتولية ولده يزيد الخلافة، وليس بعد مغادرته القيروان عندما وصل إليها أبو المهاجر دينار وهذا ما يشير إليه ابن عذارى[٢] وبعض الباحثين[٣]. ويتهم عبد العزيز سالم مسلمة بن مخلد في كل ما جرى لعقبة بن نافع على يد أبي المهاجر دينار ويضيف إلى ما ذكره مؤنس دليلين آخرين في اتهام مسلمة بن مخلد وهما:

١- لو لم يكن مسلمة بن مخلد هو الذي حرض أبا المهاجر على النيل من عقبة بن نافع بالطريقة التي ذكرها المؤرخون لما كان مسلمة بن مخلد قد ترك الأمر من دون أن يلحق العقاب بأبي المهاجر لمخالفته أوامره وإساءته لعقبة.

٢- ولو أنّ مسلمة لم يكن هو الذي دفع أبا المهاجر على الإساءة لما كان كتاب التخلية عن عقبة وإطلاق سراحه قد ورد من الخليفة وأغلب الظن أن الخليفة معاوية كان يعلم أنّ أبا المهاجر دينار كان مدفوعاً بتصرفه هذا بأمر من مولاه مسلمة بن مخلد ولو كان العكس لأمر بعزله وتأديبه[٤].

٢- ولاية أبو المهاجر دينار (٥٥-٦٢هـ/٦٧٥-٦٨٢م).

سبق وأن عرضنا الأسباب التي كانت وراء عزل عقبة بن نافع الفهري وتولية أبي المهاجر دينار بعد أن أصبحت ولاية المغرب تابعة لمصر، ولا نعرف عن أبي المهاجر دينار أكثر من كونه مولى من موالي مسلمة بن مخلد وأن مسلمة كان يريد مكافأته على الخدمات التي قدمها له[٥].

---

(١) فتح العرب للمغرب، ص١٥٢.

(٢) البيان المغرب: ٢٣/١.

(٣) سالم: المرجع السابق: ٢١١/٢.

(٤) سالم: المرجع نفسه: ٢١٢/٢و٢١٣.

(٥) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص٢٦٦؛ ابن عذارى: المصدر السابق: ٢٢/١.

وعلى الرغم من أن أبا المهاجر دينار ظل على ولاية المغرب نائباً عن مسلمة بن مخلد مدة سبع سنوات من ٥٥-٦٢هـ/٦٧٤-٦٨١م فأن المؤرخين يمرون على أعماله وإنجازاته مروراً سريعاً، ويعزو البعض ذلك إلى الرواة الفهريين من أقارب عقبة بن نافع الذين حاولوا طمس أعماله وجهوده على الرغم من وجود إخباريين من بني المهاجر لكنهم لا يرقون إلى مرتبة الفهريين[١]، أو إلىكون ولايته فاصلاً بين ولايتي عقبة بن نافع الأولى والثانية فكان هذا سبباً آخر في انصراف المؤرخين عنه إذ انشغل الرواة بعقبة وتتبع أعماله "فعبروا بأبي المهاجر مسرعين"[٢].

خرج أبو المهاجر دينار من مصر سنة ٥٥هـ/٦٧٥م ولا نعرف فيما إذا كانت هناك قوة قد رافقته حتى القيروان أو أنّ وجوهاً من رجال مصر كانوا في صحبته، وفي رواية لأبن خياط أن مسلمة بن مخلد بعث خالداً بن ثابت الفهمي[٣] ومعه أبو المهاجر دينار في حملة نحو المغرب وأن مسلمة بن مخلد أمر خالداً بن ثابت أن يستخلف أبا المهاجر دينار[٤]، وعلى الرغم من اضطراب هذه الرواية ورفض بعض المؤرخين لها وعدم التعويل عليها[٥]، إلاّ أنها قد تعطي معانٍ أخرى أريد منها القول أنّ أبا المهاجر وصل ولاية أفريقية بصحبة جماعة من كبار المصريين ومنهم خالد بن ثابت إذ لا يُعقل أن يدخل أبو المهاجر دينار ولاية أفريقية

---

(١) عبد الحميد: المرجع السابق: ١/١٨٩.

(٢) مؤنس: المرجع السابق، ص١٥٧.

(٣) له مشاركة كبيرة في حروب التحرير فقد قاد بعض السرايا في بلاد الشام زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رض) وشهد فتح مصر وشارك في حملات المغرب العربي وأرّخ أبن يونس تاريخ دخوله أفريقية في سنة ٥٤هـ. تاريخ أبن يونس الصدفي ق١ ص١٤٧.

(٤) تاريخ ابن خياط: ١/٢١١.

(٥) عبد الحميد: المرجع السابق: ١/١٩٠.

منفرداً وان ذلك تم بقرار من مسلمة بن مخلد لإظهار هيبة ومكانة أبي المهاجر دينار. ويشير بعض المؤرخين أن أبا المهاجر دينار كره أن ينزل في الموضع الذي أختطه عقبة بن نافع الفهري وبنى على مسافة ميلين من ذلك المكان[١]، مدينة عُوفت باسم دكرور وسّماها البعض تاكروان[٢]، وذكر أبن عذارى: إنّ أبا المهاجر أراد بهذا العمل أن يفسد عمل عقبة بن نافع فبنى هذه المدينة وعمرها " وأمر الناس أن يحرقوا القيروان ويعمروا مدينته "[٣].

وفي هذه الروايات مبالغة كبيرة إذ لا يعقل أن يرضى المسلمون الذين بنوا مساكنهم في القيروان أن تدمر بهذه الصورة التي تذكرها المصادر ولكن هذه الروايات تدخل في جملة ما نسب إلى أبي المهاجر من الأعمال كنسبتهم إليه الإساءة إلى عقبة بن نافع من دون مسوغ واضح.

وأما حملات أبي المهاجر العسكرية ومنجزاته في بلاد المغرب فهي الأخرى قد أصابها حيف المؤرخين والرواة، فقد جاءت تلك الحملات والأعمال في كتبهم مختصرة جداً ومضطربة التوقيت وقد مرّ معنا في الفصول السابقة إن جميع الحملات العسكرية الكبيرة عدا حملة عمرو بن العاص على برقة كانت موجهة ضد القوات البيزنطية أو مراكز تجمعاتهم ولم تصادف هذه الحملات أي تجمع معادٍ لقبائل المغرب العربي في ولاية أفريقية. وبعد قيام مدينة القيروان وعندما تولى أبو المهاجر دينار بدأ البعض من هذه القبائل بالتحرك والاستعداد للمقاومة، فقد ظهر في هذا الوقت تكتل كبير لقبائل أوربة يقوده كسيلة بن لمزم[٤] وذلك بعد أن بدأت هذه القبائل تستشعر خطر القوات العربية على مناطق نفوذها، ولكن مقاومتهم لم تأخذ شكلاً ظاهراً إلاّ بعد أن بدأت القوات العربية بمهاجمة جبال الأوراس ومواطن هذه القبائل[٥]. وقد عرف عن هذه القبائل علاقاتها الوثيقة مع البيزنطيين فضلاً عن اعتناقهم للديانة النصرانية كما سبق أن أشرنا عند الكلام عن هذه القبيلة، وكانت أوربة خلال هذه الفترة تستقر في المنطقة الجبلية الواقعة بين تاهرت[٦] ووهران[٧] والتي تتوسطها مدينة تلمسان وهي المنطقة

---

(١) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص٢٦٦؛ وينظر: طه: المرجع السابق، ص١٢٣.

(٢) المالكي: المصدر السابق: ٣٢/١؛ الدباغ: المصدر السابق: ٤٧/١؛ النويري: المصدر السابق: ٢٥/٢٤.

(٣) البيان المغرب: ٢٢/١.

(٤) ابن خلدون:العبر: ١٤٦/٦.

(٥) مؤنس: المرجع السابق، ص١٦٥.

(٦) تاهرت: مدينة من مدن المغرب في الجزائر حالياً وهي في سفح جبل يمر بها نهر يأتيها من ناحية الغرب، وهي مدينة كثيرة الخيرات رخيصة الأسعار. البكري: المغرب، ص٦٦؛ الإدريسي: المصدر السابق: ٨٧/١؛ الأستبصار، ص١٧٨.

(٧) وهران: مدينة من مدن الجزائر تقع على البحر المتوسط بناها جماعة من الأندلسيين لأغراض تجارية ثم سكنتها قبائل المغرب وغيرهم وهي مدينة كثيرة البساتين والثمار. البكري: المغرب، ص٧٠و ٧١؛ الإدريسي: المصدر السابق، ٨٤/١؛ ابن حوقل: المصدر السابق، ص٥٢؛ الأستبصار، ص١٣٣و ١٣٤.

التي تأثرت بحضارة المحتلين منذ القدم، ولهذا ينظر البعض إلى مقاومة كسيلة وقبائل أوربة للقوات العربية بأنها مقاومة بيزنطية في واقع الحال ويجعلون للبيزنطيين دوراً كبيراً في تحريض كسيلة وقبيلته على الوقوف في وجه القوات العربية(١).

وفي رواية للمالكي إنّ أبا المهاجر دينار قام بحملته ضد قبيلة أوربة ومن حالفهم من البيزنطيين في سنة ٥٧هـ/٦٧٧م وخرج من القيروان بكامل قواته من دون أن يخلف عليها أحد ينظر في أمورها ولم يبق بها إلاّ الشيوخ والنساء والأطفال(٢). وزحف باتجاه منطقة تلمسان حيث تجمعات قبائل أوربة ومن حالفها. وقبل أن يدرك أبو المهاجر التجمعات المعادية في منطقة تلمسان دخل مدينة القيروان قوة كان يقودها حسان بن النعمان الغساني وتم ذلك وفق تنسيق مسبق بين القائدين وتنفيذاً لخطط القيادة العسكرية العليا في ولاية مصر، إذ ليس من الحكمة أن تترك الولاية وقاعدتها الحديثة التأسيس مدينة القيروان من دون حماية، مما قد يغري القوة المعادية من البيزنطيين أو غيرهم بمهاجمتها والنيل منها في محاولة لإزعاج قوات أبي المهاجر دينار إن لم تتمكن من إحباط مخططاته تماماً. فتواجد قوات حسان بن نعمان الغساني في القيروان وفي هذا الوقت بالذات يعدّ ضرورة أمنية لدرء أي خطر قد تتعرض له مدينة القيروان ومن ثّم لتأمين خطوط مواصلات القوات المتوغلة في العمق وحماية ظهرها والقضاء على أي فعل من شأنه أن يعطل فعاليتها فضلاً عن كونها تعطي القوات المتقدمة دفعاً معنوياً ومادياً متواصل الإمداد(٣).

نزل أبو المهاجر دينار في مكان من إقليم تلمسان وعسكر فيه وحفر في هذا المكان آباراً لتموين قواته بالماء فعُرف هذا المكان بعد ذلك بآبار أبي المهاجر أو عيون أبي المهاجر(٤).

وفي هذا المكان أعدّ قواته للحرب والمصادر لا تشير إلى معارك عنيفة بين الطرفين وأن أشارت إلى مناوشات انتهت بانتصار أبي المهاجر ثم صالحه وكسبه إلى جانبه فدخل في

---

(١) مؤنس: المرجع السابق، ص١٦٦.

(٢) المالكي: المصدر السابق: ٣٣/١، وقارن: أبو العرب: المصدر السابق، ص٧١، وينظر: الدباغ: المصدر السابق: ٣٦/١.

(٣) مطلوب: حسان ودوره في تحرير المغرب العربي، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي جـ١، م٤٧، بغداد، ٢٠٠٠، ص٢٣٨و ٢٣٩.

(٤) ابن عذارى: المصدر السابق: ٢٩/١؛ الناصري: المصدر السابق: ٨٠/١.

الإسلام وتبعته معظم قبيلته أوربة[١]، ولا تذكر المصادر فيما إذا كان أبو المهاجر دينار قد عاد إلى القيروان للراحة وإصلاح أمور قواته أو أنه أتجه من تلمسان مباشرة إلى عاصمة البيزنطيين وهي مدينة قرطا جنة. والظاهر من سير الأحداث إن حملة أبي المهاجر على قرطا جنة كانت مدبرة حتى قبل المسير إلى إقليم تلمسان، فعمل أولاً على إخضاع قبيلة أوربة وإخراجها من المعركة ثم يتفرغ بعد ذلك للقوات البيزنطية في مدينة قرطا جنة[٢].

ففي سنة ٥٩هـ/٦٧٨م دارت بين البيزنطيين والقوات العربية معارك عنيفة حول مدينة قرطا جنة لم تنته لصالح أحد[٣] وخلال هذه المعارك أرسل أبو المهاجر دينار سرية من جيشه بقيادة حنش الصنعاني[٤] لمحاصرة جزيرة باشو أو شريك وظلت محاصرة لها، في الوقت الذي كانت قواته توجه ضرباتها للقوات البيزنطية في قرطا جنة وتضيق عليها الحصار حتى أجبرتها على طلب الصلح، والموافقة على أن يتنازل البيزنطيون عن جزيرة باشو للعرب فضلاً عن بعض المناطق القريبة منها[٥] وتوجه أبو المهاجر دينار بعد ذلك ناحية الغرب وحرر مدينة ميلة[٦] من دون جهد كبير[٧]، وقد قلل مؤنس من أهمية تحرير هذه المدينة المتوغلة ناحية الغرب وتساءل عن جدوى تضييع الكثير من الوقت لتحريرها لأنها لم تكن من المدن الكبيرة، ولا من المحارس المهمة التي تستحق قطع كل هذه المسافة للوصول إليها، مع العلم أن هنالك مدائن أخرى كانت أعظم أهمية من الناحية السياسية والعسكرية أو حتى من ناحية الغنى ووفرة الغنائم من هذه المدينة[٨].

---

(١) المالكي: المصدر السابق: ٢٠/١؛ الدباغ: المصدر السابق: ٤٦/١؛ ابن عذاري: المصدر السابق: ٢٩/١؛ الناصري: المصدر السابق: ٨٠/١.وينظر: طه ، المرجع السابق: ص١٢٥.

(٢) مؤنس: المرجع السابق، ص١٧٢؛ السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص٧٠.

(٣) ابن تغري بردي: المصدر السابق: ١٥٢/١.

(٤) أبو العرب: المصدر السابق، ص١٨؛ المالكي: المصدر السابق: ٢٩/١. ويقال: أن قائد هذه القوة كان حسين بن عبد الله الصنهاجي. ينظر:زيتون: الفتح الإسلامي لشمال أفريقيا، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي، عدد ١٦، ١٩٨١، ص٦٥.

(٥) ابن تغري بردي: المصدر السابق: ١٥٢/١؛ لقبال موسى: المغرب الإسلامي، ط١، قسطنطينة، ١٩٦٩، ص٤٨و ٤٩؛ السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص١٦؛ طه: المرجع السابق: ص١٢٦.

(٦) مدينة ميلة: مدينة قديمة قريبة من مدينة بجاية، عامرة، كثيرة الخيرات ويحيطها سور متين. البكري: المغرب، ص٦٣؛ الإدريسي: المصدر السابق: ٩٤/١؛ الأستبصار، ص١٦٦.

(٧) ابن تغري بردي: المصدر السابق: ١٥٢/١، وينظر: مؤنس، ص١٧٤؛ السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص٧١.

(٨) مؤنس: المرجع السابق، ص١٧٢و١٧٣.

وقد قوّم المؤرخون أعمال أبي المهاجر دينار وسياسته في المغرب بآراء تدل على استحسانهم لتلك السياسة، فقد أشار المالكي إلى مصالحته لقبيلة أوربة ودخولهم الإسلام فضلاً عن مصالحته لعجم أفريقية[1]. والمقصود بعجم أفريقية هنا الروم أو الجماعات الموالية مثل الأفارقة[2].

وقال الناصري: وكان أبو المهاجر أول قائد يصل إلىالمغرب الأوسط ويخلف وراءه أثراً محموداً في هذه المناطق بعد دخول قبيلة أوربة في الإسلام[3]، وبذلك تمكن من تحطيم الحلف القائم بين هذه القبيلة والبيزنطيين[4].

ويقول مؤنس: ونلاحظ في منجزات أبي المهاجر دينار أمرين جديرين بالأهمية وكلاهما واضح الدلالة على التطور الذي حصل خلال هذه المرحلة على حروب التحرير العربية..

الأول، كسب قبيلة أوربة واعتناقها الإسلام وانخراطهم في صفوف القوات العربية لأجتثاث معاقل البيزنطيين،ولا خلاف فأن إسلام كسيلة بن لمزم كان حدثاً مهماً له معناه وأثره البعيدين ومعناه نجاح القوات العربية في الوصول إلى الهدف الأسمى من حملاتها العسكرية وهو نشر الإسلام في المناطق التي دخلتها قوات أبي المهاجر دينار.

والثاني، المهارة السياسية التي تميز بها أبو المهاجر دينار فهو لم يعاهد البيزنطيين على أن ينصرف من قرطا جنة لقاء مبلغ من المال وإنّما أصر على أن يتنازلوا له عن بعض المناطق التابعة لهم ممّا قد يساعد القوات العربية بعد ذلك في جعلها قاعدة لهم ينطلقون منها لتحرير ما لم يمكن تحريره في هذه الحملة، وهذا يعني إنّ أبا المهاجر دينار كان ينوي الاستيلاء على مدينة قرطا جنة وطرد البيزنطيين منها[5].

أمّا فورنل فقد أبدى شكوكه في قيمة إسلام كسيلة وأعد إسلامه مناورة لينجو من القتل[6].

وأمّا كودل فقد وقف من أعمال أبي المهاجر موقفاً متناقضاً فقال وهو يرد على فورنل إنّ أبا المهاجر كان قائداً من الدرجة الأولى يفوق مجده مجد عقبة بن نافع نفسه وكل الآخرين وكان رجلاً ماهراً لم يغره الانتصار بعد أن غلب كسيلة إنّما استفاد منه ومن حياده لمقاومة

---

(١) رياض النفوس: ٣٣/١، وينظر الدباغ: المصدر السابق: ٤٦/١.

(٢) عبد الحميد: المرجع السابق: ١٩١/١.

(٣) الأستقصا: ٨٠/١.

(٤) سالم: المرجع السابق: ٢١٦/٢.

(٥) فتح العرب للمغرب، ص١٧٤و ١٧٦ وينظر: موسى: المرجع السابق، ص٤٨و ٤٩؛ السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص٧١و ٧٢.

(٦) مؤنس: المرجع السابق، ص١٧٣. والهامش رقم (١).

البيزنطيين[١]، ثم عاد كودل وأستصغر من حال أبي المهاجر دينار وأعماله فقال: إنّ أبا المهاجر هو المثل في ذلك التاريخ للجندي الطاريء الذي نشأ وقفز إلى القيادة برضا سيده لا بمواهبه الشخصية وأراد قبل كل شيء أن يرضي سيده ولذلك كان يسعى إلى الحصول على الأموال بأي طريقة وإرسالها إلى مصر[٢].

ورد مؤنس على هذه الآراء معتبراً أن أبا المهاجر لم يكن يسعى إلى المال ولا إلى الغنيمة بل كان يرمي إلى إتمام حروب التحرير وكان بإمكانه أن يفرض على أهل قرطا جنة مبلغاً كبيراً ولكنه لم يفعل فصالحهم على أن يتنازلوا له عن شيء من أرضهم[٣].

عاد أبو المهاجر دينار إلى مدينة القيروان سنة ٦١هـ/٦٨٠م بعد أن أنجز كل الأهداف المتوخاة من حملته العسكرية.

وبعد وفاة معاوية أبن أبي سفيان سنة ٦٠هـ/٦٧٩م تولى الخلافة من بعده ولده يزيد أبن معاوية (٦٠-٦٤هـ/٦٨٠-٦٨٤م) وطبيعي إن تكون للخليفة الجديد وجهة نظر وسياسة خاصة في تعيين وعزل ولاة الأقاليم[٤]. وعلى هذا الأساس أمر الخليفة يزيد بفصل ولاية المغرب العربي عن ولاية مصر وأعاد تعيين عقبة بن نافع الفهري على ولاية المغرب وإعفاء أبي المهاجر دينار في سنة ٦٢هـ/٦٨١م[٥].

---

(١) المرجع نفسه، ص١٧٥ والهامش رقم (١).

(٢) المرجع نفسه، ص١٧٥ والهامش رقم (١).

(٣) فتح العرب للمغرب، ص١٧٥.

(٤) السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص٧٢.

(٥) المالكي: المصدر السابق: ٣٢/١؛ الدباغ: المصدر السابق: ٤٧/١؛ ابن الأثير: الكامل: ١٠٥/٤؛ ابن عذارى: المصدر السابق: ٣٣/١؛ أبن أبي دينار: المصدر السابق، ص٣٠. وعن اختلاف الباحثين في عودة عقبة بن نافع الفهري إلى ولاية المغرب وإعفاء أبي المهاجر دينار ينظر: عبد الحميد: المرجع السابق: ١٩٢/١وأيضاً : مؤنس: المرجع السابق، ص١٧٩؛ وسالم: المرجع السابق: ٢١٧/٢.

الخاتمة

١. لم تكن العمليات العسكرية مجرد غارات طال أمدها كما يصور البعض، وإنّما كانت حملات مخطط لها تخطيطاً مسبقاً، وقد أنجزت جميع أهدافها المرسومة لها.

٢. كانت جميع الحملات العسكرية الكبيرة موجهة ضد القوات البيزنطية، ولم نجد لقبائل المغرب دوراً في الأحداث الدائرة على الساحة،وبذلك كان الصراع صراعاً بين القوات العربية والقوات البيزنطية، فواقعة سبيطلة انتهت بالقضاء على أكبر تجمع للقوات البيزنطية بقيادة جرجير، وأجبرت رؤوساء المدن الأفريقية على طلب الصلح ودفع مبالغ كثيرة من الأموال، وكانت معركة ذات الصواري البحرية من المعارك الحاسمة التي منعت البيزنطيين ولمدة طويلة من التفكير بمهاجمة سواحل المغرب ومناطق النفوذ العربية، ولذلك استهدفت حملة معاوية بن حديج القواعد البيزنطية في جلولاء وسوسة وبقية المناطق الأخرى، وقد مثلت المرحلة بأكملها تفوقاً ساحقاً للقوات العربية على القوات البيزنطية في جميع المعارك التي دارت على الساحة المغربية.

٣. كان للأحداث الدائرة في مركز دار الخلافة وولاية مصر بعد استشهاد الخليفة عثمان بن عفان (رض)أثراً سلبياً على سير ومواصلة حروب التحرير في المغرب حيث تعطلت معها فعالية القوات العربية مدة أحدى عشرة سنة وفقدت معها الكثير من مناطق نفوذها ولم تعاود نشاطها مرة أخرى إلاّ بعد استقرار الأوضاع وخلوص الأمر لمعاوية بن أبي سفيان.

٤.شهدت المرحلة حدثاً تاريخياً مهماً بقيام أول مدينة عربية قامت على الإسلام فقد أستثمر عقبة بن نافع الفهري الأمان الذي ساد الأقاليم التي دخلتها القوات العربية، وشرع ببناء مدينة القيروان فأصبحت مركزاً من أهم مراكز الإشعاع الفكري والحضاري في المغرب، ومنها أخذت تنطلق حروب التحرير في العمق لضرب معاقل البيزنطيين وتجمعات القبائل.

٥. وفي هذه المرحلة بدأت أول الحملات العسكرية ضد مدينة قرطا جنة عاصمة البيزنطيين في المغرب ورمز قوتهم، فوجّه إليها أبو المهاجر دينار ضربات مركزة،فضلاً عن تمكنه من كسب قبائل أورية وزعيمهم كسيلة بن لمزم إلى جانبه وإدخالهم في الإسلام.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأولية

أ- المخطوطات

- أبن حيان

١- كتاب الأنساب: مخطوط مصور على الميكروفيلم، الجامعة الأردنية، المكتبة المركزية، برقم: ٣٦٧.

ب- المصادر المطبوعة

- ابن الآبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي (ت٦٥٨هـ/١٢٥٩م).

٢- الحلة السيراء: تحقيق حسين مؤنس، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٣.

- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي ألجزري (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م).

٣- أسد الغابة في معرفة الصحابة، طهران، ١٣٧٧هـ.

٤- الكامل في التاريخ، تحقيق عبد الله القاضي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥.

- ابن أبي دينار، أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني (ت١٠٩٢هـ/١٦٨١م).

٥- المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، تحقيق محمد شمام، تونس، المكتبة العتيقة، ١٩٦٧.

- ابن أبي الضياف، أبو العباس أحمد بن عمر (ت١٢٩١هـ/١٨٧٤م).

٦- إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تحقيق لجنة من كتاب الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، تونس، المطبعة الرسمية، ١٩٦٣.

- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (ت٥٦٠هـ/١١٦٤م).

٧- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٩.

- الأصطخري، إبراهيم بن محمد (القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي).

٨- المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبدالعال، القاهرة، ١٩٦١.

- الأصبهاني، عبد الله بن محمد (ت٣٦٩هـ/٩٧٩م).

٩- كتاب العظمة، تحقيق رضاء الله بن محمد، الرياض، ١٤٠٨هـ.

- ابن الأعثم، أبو محمد احمد بن الأعثم الكوفي (ت٣١٤هـ/٩٢٧م).

١٠- كتاب الفتوح، بيروت، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٦.

- ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي (ت٩٣٠هـ/١٥٢٣م).

١١- بدائع الزهور في وقائع الدهور، القاهرة، بولاق، ١٣١١هـ.

- البخاري، ابوعبدالله محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ/٨٧٠م).

١٢- التاريخ الكبير، حيدر آباد، الدكن، مطبعة دار المعارف العثمانية، ١٣٦٠هـ.
- البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت٧٣٩هـ/١٣٣٧م).
١٣- مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق محمد علي البجاوي، بيروت، ١٩٥٤
- البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م).
١٤- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، بيروت، ١٤٠٢هـ.
١٥- المغرب في ذكر بلاد افريقيه والمغرب، بغداد، مكتبه المثنى.
- البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م).
١٦- فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد، القاهرة، ١٩٥٩.
- التجاني، عبد الله بن محمد بن احمد (٧١٧هـ/ ١٣١٧م).
١٧- رحلة التجاني، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، تونس، المطبعة الرسمية، ١٩٥٨.
- أبن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأنابكي (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م).
١٨- النجوم الزاهرة، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٦٣.
- أبن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م).
١٩- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق مصطفى عبد القادر، بيروت، ١٩٩٢.
- ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٢٤٨م).
٢٠- الإصابة في تمييز الصحابة، القاهرة، ط١، ١٣٢٨هـ.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد (ت٤٥٦هـ/١٠٣٦م).
٢١- جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٢.
- الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م).
٢٢- معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ١٩٧٧.
- الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت٩٠٠هـ/١٤٩٤م).
٢٣- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٥.
- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م).
٢٤- صورة الأرض، بيروت، مكتبة دار الحياة، ١٩٧٩.
- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م).

٢٥- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت، دار الكتاب، ١٩٨٣.
٢٦- المقدمة، بيروت، دار البيان، ١٩٧٨.
- الخزرجى، صفي الدين أحمد بن عبد الله (ت٩٢٣هـ/١٥١٧م).
٢٧- خلاصة تذهيب الكمال في أسماء الرجال، القاهرة، المطبعة الخيرية، ١٣٢٢م.
- ابن خلكان، شمس الدين، أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م).
٢٨- وفيات الأعيان، تحقيق أحسان عباس، بيروت، ١٩٦٨م.
- ابن خياط، أبو عمرو خليفة العصفري (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م).
٢٩- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم العمري، النجف، ١٩٧١.
- الدباغ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري (ت٦٩٦هـ/١٢٩٦م).
٣٠- معالم الأيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق إبراهيم شبوح، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٦٨.
- الدينوري، أبو حنيفة احمد بن داؤد (ت٢٨٢هـ/٨٩٥م).
٣١- الاخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة، ١٩٥٩.
- الذهبي ، شمس الدين ، محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م).
٣٢- تاريخ الإسلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتب، ١٩٨٧-١٩٨٩.
٣٣- دول الإسلام، تحقيق فهيم شلتوت ومحمد مصطفى، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٤.
٣٤- سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦.
٣٥- العبر في خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، الكويت، ١٩٦٣.
- الرقيق القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم (ت٤١٧هـ/١٠٢٦م).
٣٦- تاريخ أفريقية والمغرب، تحقيق المنجي ألكعبي، تونس، ١٩٦٧.
- الزبيدي، محمد مرتضى (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م).
٣٧- تاج العروس من جواهر القاموس، القاهرة، ١٣٠٦هـ.
- ابن زنجويه، أبو احمد حميد بن مخلد الأزدي (ت٢٤٧هـ/٨٦١م).
٣٨- كتاب الأموال، تحقيق شاكر فياض، الرياض، ١٩٨٦.
- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م).
٣٩- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، بيروت، ١٩٩٣.
- السراج، محمد بن محمد بن الوزير الأندلسي (ت١١٤٩هـ/١٧٣٦م).

٤٠- الحلل السندسية في ذكر الأخبار التونسية، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٧٠.

- ابن سعد ، محمد (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م).

٤١- الطبقات الكبرى ، بيروت، دار صادر، ١٩٥٨.

- ابن سلام ، أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي (ت٢٢٤هـ/٨٣٨م).

٤٢- كتاب الأموال، القاهرة، ١٩٧٥.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر (ت٩١١هـ/١٥٠٥م).

٤٣- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٦٥.

٤٤- تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٦٤.

٤٥- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار احياء الكتب، ١٩٦٨.

- ابن الشماع، أبو عبد الله محمد بن احمد (كان حياً سنة٨٦١هـ/١٤٥٧م).

٤٦- الأدلة البينة النورانية، تونس، ١٩٨٤.

- الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي (ت٤٧٦هـ/١٠٨٣م).

٤٧- طبقات الفقهاء، تحقيق أحسان عباس، بيروت، ١٩٨١.

- الطبراني، سليمان بن احمد (ت٣٦٠هـ/٩٧٠م).

٤٨- المعجم الأوسط، تحقيق طارق بن عوض الله، القاهرة، ١٤١٥هـ.

- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م).

٤٩- تاريخ الرسل والملوك، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ.

- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله (ت٤٦٠هـ/١٠٨٦م).

٥٠- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، القاهرة، ط١، ١٣٢٨هـ.

- ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت٢٥٧هـ/٨٧١م).

٥١- فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة، لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٦١.

- ابن عبد الحليم، عبيد الله بن صالح، (القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي).

٥٢- نص جديد عن فتح العرب للمغرب، تحقيق ليفي بروفنسال.صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، العدد (٢)، ١٩٥٤. (ص١٩٣-٢٣٩).

- ابن عذارى، أبو عباس احمد بن محمد المراكشي (كان حياً سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م).

٥٣- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق كولان وليفي بروفنسال، بيروت، ١٩٨٠.

- **أبو العرب، محمد بن أحمد بن تميم القيرواني (ت٣٣٣هـ/٩٤٤م).**

٥٤- طبقات علماء أفريقية وتونس، تحقيق علي ألشابي ونعيم حسن أليافي، تونس، الدار التونسية، ١٩٦٨.

- **ابن العربي، محمد بن عبد الله المعافري (ت٥٤٣هـ/١١٤٨م).**

٥٥- العواصم من القواصم، تحقيق محمد جميل غازي، بيروت، دار الجيل، ١٤٠٧هـ.

- **أبن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسين (ت٥٧٣هـ/١١٧٦م).**

٥٦- تاريخ دمشق، تحقيق: سهيل زكار، ط١.

- **ابن العماد، عبد الحي بن أحمد الحنبلي (ت١٠٣٣هـ/١٦٧٨م).**

٥٧- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ.

- **أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م).**

٥٨- تقويم البلدان، باريس، ١٨٤٠.

- **ابن الفقيه الهمداني (ت٢٧٩هـ/٩٠١م).**

٥٩- مختصر كتاب البلدان، نشر دي غويه، ليدن، ١٨٨٥.

- **فودي، محمد بلو بن عثمان (ت١٢٥٣هـ/١٨٣٧م).**

٦٠- أنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، تحقيق بهيجة الشاذلي، الرباط، معهد الدراسات الأفريقية، ١٩٦٦.

- **الفيومي، أحمد بن محمد بن علي (ت٧٧٠هـ/١٣٦٨م).**

٦١- المصباح المنير، بيروت، المكتبة العلمية (د.ت).

- **الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ/١٤١٤م).**

٦٢- القاموس المحيط، القاهرة، ١٩٣٥.

- **ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م).**

٦٣- المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٩.

- **قدامة بن جعفر (ت ٣٢٩هـ/٩٤٠م).**

٦٤- الخراج وصنعة الكتابة، تحقيق محمد حسين الزبيدي، بغداد، دار الحرية للطباعة والنشر، ١٩٨١.

- **القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م).**

٦٥- مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، بيروت، ١٩٦٤م.

- **ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل الدمشقي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م).**

٦٦- البداية والنهاية، بيروت، مكتبة المعارف، ١٩٧٤.

- الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف (ت٣٥٠هـ/٩٦١م).

٦٧- كتاب الولاة وكتاب القضاة، تحقيق حسين نصار، بيروت، دار صادر، ١٩٥٩م.

- المالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد (كان حياً سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٧م).

٦٨- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية، تحقيق بشير البكوش، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٣.

- المالقي، محمد بن يحيى (ت٧٤١هـ/١٣٤٠م).

٦٩- التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان (رض)، تحقيق يوسف زايد، قطر، دار الثقافة، ١٤٠٥هـ.

- مؤلف مجهول (من أهل القرن السادس الهجري – الثاني عشر ميلادي).

٧٠- كتاب الأستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦.

- مؤلف مجهول.

٧١- نبذ تاريخية في أخبار البربر في القرون الوسطى منتخبة من المجموع، المسمى مفاخر البربر، تحقيق ليفي بروفنسال، الرباط، المطبعة الجديدة، ١٩٣٤.

- المراكشي، محي الدين أبو محمد عبد الله بن علي (ت٧٤٧هـ/١٢٤٩م).

٧٢- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي، القاهرة، ١٩٨٦.

- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م).

٧٣- مروج الذهب ومعادن الجوهر، بيروت، دار الأندلس، ١٩٦٥.

- المقدسي، المطهر بن طاهر (ت٥٠٧هـ/١١١٣م).

٧٤- البدء والتاريخ، القاهرة (د.ت).

- المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت٣٧٥هـ/٩٨٥م).

٧٥- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، ١٩٠٦م.

- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م).

٧٦- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، القاهرة، مطبعة النيل، ١٣٢٥هـ.

- ابن منظور، محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/١٣١١م).

٧٧- لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٩٥٦.

- الناصري، ابوالعباس أحمد بن خالد (ت١٣١٧هـ/١٨٩٩م).

٧٨- الأستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق ولدي المؤلف، الدار البيضاء، ١٩٩٧.

- **النووي، أبو زكريا محي الدين بن شرف (ت٦٧٦هـ/١٢٧٦م).**

٧٩- تهذيب الأسماء واللغات، القاهرة، المطبعة المنيرية (د.ت).

- **النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٢هـ/١٣٣٢م).**

٨٠- نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ٢٤ تحقيق حسين نصار، القاهرة، ١٩٨٣.

- **الهيثمي، علي بن بكر (ت٨٠٧هـ/١٤٠٤م).**

٨١- مجمع الزوائد، القاهرة، ١٤٠٧هـ.

- **الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر (ت٢٠٧هـ/٨٢٢م).**

٨٢- فتوح أفريقية، تونس ١٣٥١هـ.

- **الورثيلاني، حسين بن محمد (ت١١٩٣هـ/١٧٧٩م).**

٨٣- نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٤.

- **الوزان، الحسن بن محمد القاسي (كان حياً سنة ٩٥٧هـ/١٥٥٠م).**

٨٤- وصف أفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط، ١٩٨٠.

- **اليافعي، أبو السعادات عبد الله بن أسعد ٠ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م).**

٨٥- مرآة الجنان وعبرة اليقظان، حيدر آباد، الدكن، ١٣٣٨هـ.

- **اليعقوبي، أحمد بن واضح (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م).**

٨٦- كتاب البلدان، النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، ١٩٥٧.

٨٧- تاريخ اليعقوبي، بيروت، دار صادر (د.ت).

- **ابن يونس، عبد الرحمن بن أحمد الصدفي (ت٣٤٧هـ/٩٥٨م).**

٨٨- تاريخ أبن يونس، جمع وتحقيق عبد الفتاح فتحي، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م.

ثانياً: المراجع

المراجع العربية:

- **إسماعيل، محمود**

٨٩- الخوارج في المغرب الإسلامي، بيروت، دار العودة، ١٩٧٦.

- **بونار، رابح بن أحمد.**

٩٠- المغرب العربي تاريخه وحضارته، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر، ١٩٨١.

- **دحلان، أحمد.**

٩١- الفتوحات الإسلامية بعد عصر الفتوحات النبوية، القاهرة، المنيرية، ١٣١١هـ.
- **حسن، حسن إبراهيم.**
٩٢- تاريخ الإسلامي السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، القاهرة، ١٩٤٨.
- **حسن، حسن علي.**
٩٣- تاريخ المغرب العربي (عصر الولاة) القاهرة، ١٩٧٧.
- **حقي، أحسان.**
٩٤- المغرب العربي، بيروت، دار اليقضة العربية.
- **الحموي، محمد ياسين.**
٩٥- تاريخ الأسطول العربي، دمشق، مطبعة الترقي، ١٩٤٥.
- **خطاب، محمود شيت.**
٩٦- قادة فتح المغرب العربي، بيروت، دار الفكر، ١٩٦٦.
٩٧- عقبة بن نافع الفهري، بغداد، مطبعة العاني، ١٩٦٥.
- **دبوز، محمد علي.**
٩٨- تاريخ المغرب الكبير، القاهرة، مطبعة عيسى الحلبي، ١٩٦٤.
- **الديناصوري، جمال الدين.**
٩٩- جغرافية فزان، دراسة في الجغرافية المنهجية والإقليمية، بنغازي، ١٩٦٧.
- **الزاوي، الطاهر أحمد.**
١٠٠- تاريخ الفتح العربي في ليبيا، القاهرة، ١٩٦٣.
- **السائح ، حسن.**
١٠١- الحضارة المغربية عبر التاريخ، الرباط، ١٩٧٥.
- **سالم، السيد عبد العزيز.**
١٠٢- المغرب الكبير، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٦.
- **السامرائي وآخرون.**
١٠٣- تاريخ المغرب العربي، الموصل، دار الكتب، جامعة الموصل، ١٩٨٨.
- **سرور، محمد جمال الدين.**
١٠٤- الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة، بيروت، دار الفكر العربي، ١٩٦٤.

– صفوت، أحمد زكي

١٠٥- جمهرة خطب العرب، بيروت، المكتبة العلمية (د.ت).

– صقر، احمد.

١٠٦- مدنية المغرب العربي عبر العصور، تونس، ١٩٥٩.

– طقوش، محمد سهيل.

١٠٧- تاريخ الدولة الأموية، بيروت، دار النفائس، ١٩٩٦.

– طه، عبد الواحد ذنون.

١٠٨- الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقيا والأندلس، بغداد، دار الرشيد، ١٩٨٢.

– ألعبادي، أحمد مختار.

١٠٩- في تاريخ المغرب والأندلس، بيروت، ١٩٧٠.

– عبد الحميد، سعد زغلول.

١١٠- تاريخ المغرب العربي، الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٧٩.

– ابن عبد الله، عبد العزيز.

١١١- الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، المحمدية، مطبعة فضالة، مطبوعات وزارة الأوقاف المغربية، ١٩٨١.

– ابن عبود، محمد بن عبد السلام.

١١٢- تاريخ المغرب، تطوان، دار الطباعة المغربية، ١٩٥٧.

– ألعدوي، إبراهيم.

١١٣- الأساطيل العربية في البحر المتوسط، القاهرة، ١٩٥٧.

– العروي، عبد الله

١١٤- مجمل تاريخ المغرب، الرباط، ١٩٨٤.

– العريني، ألباز.

١١٥- الدولة البيزنطية، القاهرة، ١٩٦٥.

– فكري، احمد.

١١٦- مساجد الإسلام: المسجد الجامع بالقيروان، القاهرة، ١٩٣٦.

– ماجد، عبد المنعم.

١١٧- الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي في العصور الوسطى، بيروت، ط٢.

١١٨- التاريخ السياسي للدولة الأموية، القاهرة، ١٩٧١.

– محمود ، حسن.

١١٩- قيام دولة المرابطين، القاهرة، ١٩٥٧.
- **المطوي، محمد العروسي.**
١٢٠- سيرة القيروان ، تونس، ١٩٨١.
- **ابن منصور ، عبد الوهاب.**
١٢١- قبائل المغرب، الرباط، المطبعة الملكية، ١٩٦٨.
- **موسى، لقبال.**
١٢٢- المغرب الإسلامي، قسنطينة، مطبعة البعث، ١٩٦٩.
- **مؤنس، حسين.**
١٢٣- فتح العرب للمغرب، القاهرة، مكتبة الآداب، ١٩٤٧.
١٢٤- معالم تأريخ المغرب والأندلس، القاهرة، دار المستقبل، ١٩٨٠.
- **النائب ، احمد**
١٢٥- المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، طرابلس، (د.ت).
- **الناضوري، رشيد.**
١٢٦- المغرب الكبير (العصور القديمة) القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٦.

ب- المراجع المعربة

- **بيتز، نورمان**
١٢٧.الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة حسين مؤنس، القاهرة، ١٩٥٠.
- **جوليان، أندري شارل**
١٢٨.تاريخ أفريقيا الشمالية، ترجمة محمد مزالي والبشير بن سلامة، تونس، الدار التونسية، ١٩٧٨.
- **لومبارد، موريس**
١٢٩.الإسلام في فجر عظمته، ترجمة حسين العودة، دمشق ١٩٧٩.
- **فيرو، شارل**
١٣٠.الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، ترجمة محمد عبد الكريم، طرابلس الغرب، (د.ت).
- **هنتس، فالتر**
١٣١.المقاييس والأوزان الإسلامية، ترجمة كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٦٨.
- **هوبكنز، ج. ف**

١٣٢.النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، ترجمة أمين توفيق الطيبي، ليبيا – تونس، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٠.

ج- الرسائل الجامعية

- **أحمد، نهلة شهاب**

١٣٣. المغرب في عهد عقبة بن نافع الفهري، دراسة سياسية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، ١٩٨٧.

- **سعيد، محمد عطا الله**

١٣٤.عبد الرحمن بن عبد الحكم ومنهجه في كتابة التاريخ، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، ٢٠٠٢م.

- **شاكر، وميض محمد**

١٣٥.أبو عبيد البكري ومنهجه التاريخي في كتاب المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية التربية، ٢٠٠٣م.

- **الصباغ، لمياء عز الدين مصطفى.**

١٣٦.أحوال المغرب العربي بين استشهاد عقبة بن نافع الفهري وولاية موسى بن نصير، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، ١٩٨٧.

د- البحوث

- **حسين، أحمد الياس**

١٣٧.ليبيا من خلال كتابي " اليعقوبي التاريخ والبلدان في القرن الثالث الهجري، بحث منشور في مجلة البحوث التاريخية "، طرابلس، ١٩٧٩.

- **حسين، حازم غانم**

١٣٨.معاوية بن حديج السكوني وجهوده في بناء معسكر القرن في أفريقية، بحث منشور في مجلة التربية والعلم، جامعة الموصل، كلية التربية، العدد ١٦ لسنة ١٩٩٤.

- **طه، عبد الواحد ذنون**

١٣٩.دراسة في موارد أبي عبيد البكري عن تاريخ أفريقية والمغرب، مجلة دراسات أندلسية، تونس، العدد ٢٣، ١٩٨٩.

- **زيتون، محمد**

١٤٠.الفتح الإسلامي لشمال أفريقيا، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي، العدد ١٦، ١٩٨١.

- **عثمان، السعدي**

١٤١.الأصول العربية للبربر، بحث منشور في مجلة آفاق عربية، بغداد، العدد ٩، السنة الخامسة، ١٩٨٣.

- **مطلوب، ناطق صالح**

١٤٢.حسان بن النعمان الغساني ودوره في تحرير المغرب العربي، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي، ج١، م٤٧، بغداد، ٢٠٠٠م.

١٤٣.واقعة سبيطلة، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي، ج٢، م٤٩، ٢٠٠١م.

- **مطلوب، والصباغ، لمياء عز الدين.**

١٤٤.دور ولاة مصر في تحرير المغرب العربي، بحث منشور في مجلة الأنسانيات، كلية التربية للبنات، جامعة تكريت، م٧، ع٤، ٢٠٠٠م.

هـ- المراجع الأجنبية:

145. JACQUE-MEUNIE, Le Maroc Saharien des origins, Paris, 1982.
146. GAUTIER (E.F) le passede l'Afrique du Nord, less siecles, obscure. Paris, 1952.

Abstract

The era between 22-62 A.H / 642-682 A.D. is the topic of this thesis, which is considered as one of the most significant episodes of the Arab liberation wars in the Arab Maghrib areas on which later all the endeavors of the rulers and leaders hinge who succeeded to those wars there.

This study includes the introduction, five chapters, and the conclusion.

The first chapter sets out to investigate the situation in the Arab Maghrib prior to liberation wars. It discusses the denotation of the Maghrib, Africa, and the borders of each one of them. Moreover, it talks about the natives and the minorities who settled in those states, their religion, together with some detail of the political events in the Maghrib states before the liberation wars.

Chapter two is devoted to reviewing the beginnings of the liberation wars at the reign of Amr bin AlAS in 22 A.H / 642 A.D. as well as the liberation of Barqa, Fazan. It brings to light the reasons that motivated Amr bin AlAS to postpone the infiltration in the in-depth regions of the Arab Maghrib.

Chapter three is dedicated to the rule of Abdullah Bin Abi Sarh and the battle of Sbeitla in 28 A.H / 648 and the consequences resulted from it and the impact on the existence of the Byzantine empire in Maghrib, in addition to an account of the marine battle of That lSawari between the Arab and the Byzantine forces in 34 A.H. /654.

Chapter four is concerned with the most remarkable events that had taken place in Egypt after deposing Abdullah Bin ABi Sarh from it in 35 A.H. /655, and the disturbances that included the state after the murder of Caliph Uthman Bin Afan (may God be pleased with him) in 35 A.H. /655, that halted the efficiency of the Arab forces to pursue the liberation wars until their actual action came into effect in 45 A.H. /665 when Maawia Bin Hdeij succeeded in achieving several victories over the Byzantine forces in the African state.

Chapter five concentrates on two main matters: the first one on building Al-keirawan (50-55 A.H./670-675) by uqba Bin Nafi Al-Fahri and its significant construction at this particular time. The second matter is an investigation into the state of Abi-l mahajr Dinar (55-62 A.H /675-682 A.D.), his military expeditions, his relationships with Ukba Bin Nafi Al-fahri and what was attributed to him of such acts as his destruction of Al-Keirawan and his misdeed to uqba Bin Nafi Al-Fahri when he was deposed from his rank in 55 A.H.

Finally, the researcher has encountered some difficulties, which were due to the multiplicity of dates and mistiming of the important

events within the scope of the era of this research. Furthermore, the non-existence of the data accounting for some outstanding episodes like deposing or taking over of the rulers succeeded to the Maghrib liberation as well as the neglect and the condensed brief treatment of some historians of the works and achievements of Abual- Muhajir Dinar.

" The R0le of Rulers of Egypt in Liberating Arab Maghrib "

22-62 A.H. / 642-682 A.D.

A Thesis Submitted

By

Ahmed Natiq Sallah Matloub

To

The Council of the college of Education ,

University of Mosul

In Partial Fulfilment of the requirements

For the Master Degree

In

Islamic History

Supervised By

Dr. Hazim Ghanim Hussin Al. Sumeidaie

2004A.D **1425A.H**